الكافية الشافية
في الانتصار للفرقة الناجية
(القصيدة النونية)

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا جزين
00961 7 230841 - 07 230195
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
هـ 1437 - 2016

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

(القصيدة النونية)

تأليف

الإمام العلامة ابن قيّم الجوزية

ضبط نصه واعتنى به
محمد بن رياض الأحمد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فبين يديك أخي الحبيب كتاب جليل القدر، عظيم النفع، كثير الفوائد، ألا وهو كتاب «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» والمعروف بـ «القصيدة النونية» للإمام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح الجنة، وقد بيّن فيه رحمه الله عقيدة سلف الأمة ـ خاصة في باب الأسماء والصفات ـ ودحض فيه شبهات أهل البدع ـ من الجهمية والقدرية والمعتزلة وغيرهم ـ، بكلام رصين، وأسلوب رائع، وحجج دامغة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

أسأل الله تعالى بمنّه ورحمته أن ينفع به النفع العميم، ويطرح له القبول في الأرض وهو السميع العليم.

كما أسأله سبحانه أن يغفر لشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية، ويعلي درجته في الجنان، وسائر علمائنا ومشايخنا وجميع المسلمين، إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

الفقير إلى عفو ربه الغفور

محمد بن رياض الأحمد

ترجمة
شيخ الإسلام
ابن قيّم الجوزية

اسمه وولادته:

هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي، أبو عبد الله شمس الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، المشهور بابن قيم الجوزية.

ولد رحمه الله في السابع من شهر صفر الخير سنة (٦٩١ هـ).

أسرته ونشأته وطلبه للعلم:

نشأ ابن قيم الجوزية في جو علمي في كنف والده الشيخ الصالح قيم الجوزية، وأخذ عنه الفرائض، وأخوه زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر، وابن أخيه أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن زين الدين عبد الرحمن، وأبناؤه عبد الله، وإبراهيم، وكلهم معروف بالعلم وطلبه.

وعرف عن ابن قيم الجوزية رحمه الله الرغبة الصادقة الجامحة في طلب العلم، والجلد والتفاني في البحث منذ نعومة أظفاره؛ فقد سمع من الشهاب العابر المتوفى سنة (٦٩٧ هـ)؛ وبهذا يكون قد بدأ الطلب لسبع سنين مضت من عمره.

رحلاته:

قدم ابن قيم الجوزية رحمه الله القاهرة غير مرة، وناظر، وذاكر.

وزار بيت المقدس، وأعطى فيها دروساً.

وكان رحمه الله كثير الحج والمجاورة؛ كما ذكر في بعض كتبه.

مكتبته:

كان ابن قيم الجوزية رحمه الله مغرماً بجمع الكتب، وهذا دليل الرغبة الصادقة

للعلم بحثاً وتصنيفاً، وقراءة وإقراءً، يظهر ذلك في غزارة المادة العلمية فيه.

وقد وصف تلاميذه رحمه الله مكتبته؛ فأجادوا:

قال ابن رجب رحمه الله: «وكان شديد المحبة للعلم وكتابته، ومطالعته، وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره».

وقال ابن كثير رحمه الله: «واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشرِهِ من كتب السلف والخلف».

وقال ابن حجر رحمه الله واصفاً مكتبته: «وكان مغرىً بجمع الكتب، فحصل منها ما لا يحصى، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلًا سوى ما اصطفوه لأنفسهم».

مشاهير شيوخه:

تلقى ابن قيم الجوزية رحمه الله العلم على عدد كثير من المشايخ، منهم:

١ ـ قيم الجوزية، والده رحمه الله تعالى.

٢ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، لازمه، وتفقه به، وقرأ عليه كثيراً من الكتب، وبدأت ملازمته له سنة (٧١٢ هـ) حتى توفي شيخ الإسلام سجيناً في قلعة دمشق سنة (٧٢٨ هـ).

٣ ـ الحافظ المزي رحمه الله تعالى.

٤ ـ أبو بكر بن عبد الدائم رحمه الله تعالى.

٥ ـ أبو عبد الله بن أبي الفتح رحمه الله تعالى.

٦ ـ محمد صفي الدين الهندي رحمه الله تعالى.

٧ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الحنبلي المعروف بالشهاب العابر رحمه الله تعالى، وغيرهم كثير.

تلاميذه:

وقد تتلمذ على يديه عدد كبير من طلبة العلم الذين أصبحوا من كبار العلماء، واستفادوا من علمه الواسع، منهم:

١ ـ الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى.

٢ ـ الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى.

٣ ـ الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

٤ ـ الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى.

٥ ـ العلامة الفيروزآبادي، صاحب «القاموس المحيط» رحمه الله تعالى.

٦ ـ العلامة علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي رحمه الله تعالى.

٧ ـ العلامة عبد الله بن محمد ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى.

علاقته بشيخه ابن تيمية ومنهجه:

بدأت ملازمة ابن قيم الجوزية لشيخ الإسلام ابن تيمية عند قدومه إلى دمشق سنة (٧١٢ هـ)، واستمرت إلى وفاة الشيخ سنة (٧٢٨ هـ)، وبهذا تكون مدة مرافقة ابن قيم الجوزية لشيخه ستة عشر عاماً بقي طيلتها قريباً منه يتلقى عنه علماً جماً، وقرأ عليه فنوناً كثيرة.

قال الصفدي رحمه الله: «قرأ عليه قطعة من «المحرر» لجده المجد، وقرأ عليه من «المحصول»، ومن كتاب «الأحكام» للسيف الآمدي، وقرأ عليه قطعة من «الأربعين» و«المحصل»، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه».

وبدأت هذه الملازمة بتوبة ابن قيم الجوزية على يدي شيخه ابن تيمية، كما أشار إلى ذلك بقوله:

يا قوم والله العظيم نصيحة ... من مشفق وأخ لكم معوان

جربت هذا كله ووقعت في ... تلك الشباك وكنت ذا طيران

حتى أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

فتى أتى من أرض حرّان فيا ... أهلًا بمن قد جاء من حرَّان

وكان لهذه الملازمة أثر بالغ في نفس ابن قيم الجوزية؛ فشارك شيخه في الذب عن المنهج السلفي، وحمل رايته من بعده، وتحرر من كل تبعية لغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح.

قال الشوكاني رحمه الله: «وليس له على غير الدليل معول في الغالب، وقد يميل نادراً إلى المذهب الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسر على الدفع في وجوه الأدلة بالمحامل الباردة، كما يفعله غيره من المتمذهبين، بل لا بد من مستند في ذلك، وغالب أبحاثه الإنصاف والميل مع الدليل حيث مال، وعدم التعويل على القيل والقال، وإذا استوعب الكلام في بحث وطوَّل ذيوله أتى بما لم يأتِ به غيره، وساق

ما ينشرح له صدور الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل، وأظنها سرت إليه بركة ملازمته لشيخه ابن تيمية في السراء والضراء، والقيام معه في محنه، ومواساته بنفسه، وطول تردده إليه.

وبالجملة؛ فهو أحد من قام بنشر السنة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثة أعظم جنَّة، فرحمه الله، وجزاه عن المسلمين خيراً».

ومع هذا كله فلم يكن ابن قيم الجوزية رحمه الله نسخة من شيخه ابن تيمية، بل كان متفنناً في علوم شتى ـ باتفاق المتقدمين والمتأخرين ـ تدل على علو كعبه، ورسوخه في العلم.

ثناء العلماء عليه:

قال ابن كثير رحمه الله: «سمع الحديث، واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، ولا سيما علم التفسير والحديث والأصلين، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ؛ فأخذ عنه علماً جماً، مع ما سلف له من الاشتغال؛ فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلًا ونهاراً، وكثرة الابتهال، وكان حسن القراءة والخلق، وكثير التودد؛ لا يحسد أحداً، ولا يؤذيه، ولا يستغيبه، ولا يحقد على أحد، وكنت أصحب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدًّا، ويمد ركوعه وسجوده، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف.

وبالجملة؛ كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة، سامحه الله ورحمه».

وقال ابن رجب رحمه الله: «وتفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، والحديث معانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى.

وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسُّنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله».

وقال الصفدي رحمه الله: «... اشتغل كثيراً وناظر واجتهد وأكب على الطلب، وصنف، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول، فقهاً وكلاماً، والفروع والعربية، ولم يخلف الشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية مثله».

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله: «وكان ذا فنون في العلوم، وخاصة التفسير والأصول في المنطوق والمفهوم».

وقال السيوطي رحمه الله: «قد صنف، وناظر واجتهد، وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث، والفروع، والأصلين، والعربية».

مؤلفاته:

ضرب ابن قيم الجوزية بحظ وافر في علوم شتى يظهر هذا الأمر جليًّا لمن استقصى كتبه التي انتفع بها الناس إلى يومنا هذا، والتي تدل على سعة علمه واطلاعه.

قال ابن حجر رحمه الله: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته».

ومن هذه المصنفات القيمة التي صنفها:

١ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية.

٢ ـ أحكام أهل الذمة.

٣ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين.

٤ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.

٥ ـ بدائع الفوائد.

٦ ـ تحفة المودود في أحكام المولود.

٧ ـ تهذيب مختصر سنن أبي داود.

٨ ـ الجواب الكافي وهو المسمى «الداء والدواء».

٩ ـ جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على محمد ﷺ خير الأنام.

١٠ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

١١ ـ حكم تارك الصلاة.

١٢ ـ الرسالة التبوكية.

١٣ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

١٤ ـ الروح.

١٥ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد.

١٦ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

١٧ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

١٨ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين.

١٩ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

٢٠ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

٢١ ـ الفروسية.

٢٢ ـ الفوائد.

٢٣ ـ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، وهي القصيدة النونية.

٢٤ ـ الكلام على مسألة السماع.

٢٥ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

٢٦ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة.

٢٧ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

٢٨ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

٢٩ ـ الوابل الصيب في الكلم الطيب.

وفاتــه:

توفي رحمه الله في اليوم الثالث عشر من رجب سنة (٧٥١ هـ)، وصلي عليه بالجامع عقيب الظهر، ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير، وشيعه خلق كثير لا

يحصيهم إلا الله تعالى، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى، وجمعنا وإياه في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مقدمة المصنف]

الحمد للّه الذي شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته، وأدت له الشهادة جميع الكائنات أنه اللّه الذي لا إله إلّا هو بما أودعها من لطيف صنعه وبديع آياته، وسبحان اللّه وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، ولا إله إلّا اللّه الأحد الصمد، الذي لا شريك له في ربوبيته، ولا شبيه له في أفعاله ولا في صفاته ولا في ذاته. واللّه أكبر عدد ما أحاط به علمه، وجرى به قلمه، ونفذ فيه حكمه من جميع برياته[1]، ولا حول ولا قوة إلّا باللّه تفويض عبد لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بل هو باللّه وإلى اللّه في مبادئ أمره ونهاياته، وأشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد له، ولا كفؤ له الذي هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من بريته، وسفيره بينه وبين عباده، وحجته على خلقه، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى اللّه بإذنه وسراجًا منيرًا، أرسله على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، ودروس من الكتب، والكفر قد اضطرمت ناره، وتطايرت في الآفاق شراره، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى إليهم فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلّا بقايا من أهل الكتاب[2].

وقد استند كُلّ قوم إلى ظلم آرائهم وحكموا على اللّه سبحانه وتعالى بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم، وليل الكفر مدلهمٌّ ظلامه، شديد قتامه، وسبيل الحق عافية آثاره،

---

(١) أي مخلوقاته.

(٢) يشير إلى حديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ الطويل والذي أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٥) وفيه: «... وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، ...» الحديث.

مطموسة أعلامه، ففلق اللّه سبحانه بمحمد ﷺ صبح الإيمان، فأضاء حتى ملأ الآفاق نورًا، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس[١] الظلم سراجًا منيرًا، فهدى اللّه به من الضلالة، وعلّم به من الجهالة، وبصّر به من العمى، وأرشد به من الغيّ، وكثَّر به بعد القلّة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، واستنقذ به من الهلكة، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمّة، وجاهد في اللّه حق جهاده، وعبد اللّه حتى أتاه اليقين من ربِّه، وشرح اللّه له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمه باسمه، فإذا ذُكر ذُكر معه كما في الخطب والتشهد والتأذين، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين، فصلى اللّه وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه، كما عرّفنا باللّه وهدانا إليه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن اللّه جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبدًا بمعرفته ويجمع قلبه على محبته شرح صدره لقبول صفاته العلى وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول، وتلقاه بالرضا والتسليم، وأذعن له بالانقياد، فاستنار به قلبه، واتسع له صدره، وامتلأ به سرورًا ومحبة، وعلم أنه تعريف من تعريفات اللّه تعالى، تعرّف به على لسان رسوله، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء، أعظم ما كان إليه فاقة[٢]، ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة، فاشتدّ بها فرحه، وعظم بها غناه، وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجلّ ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن شرفه أيضًا بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفى[٣] عنده، ولا سبيل إلى هذا إلّا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان باللّه أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان باللّه أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد.

واللّه تعالى ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضًا، وعنها نافرًا منفرًا، فاللّه له أشد بغضًا، وعنه أعظم إعراضًا،

---

(١) الحنادس جمع حندس، وهو الظُّلْمة.
(٢) الفاقة: الفقر.
(٣) الزلفى: القربة والمنزلة الرفيعة.

وله أكبر مقتًا، حتى تعود القلوب إلى قلبين: قلب ذكر الأسماء والصفات قوته وحياته ونعيمه وقرة عينه، لو فارقه ذكرها ومحبتها لحظة لاستغاث: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فلسان حاله يقول:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

ويقول:

وإذا تقاضيت الفؤاد تناسيًا ألفيت أحشائي بذاك شحاحًا

ويقول:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته، نافر عن سماعها، معرض بكليّته عنها، زاعم أن السلامة في ذلك. كَلّا واللّه، إن هو إلّا الجهالة والخذلان، والإعراض عن العزيز الرحيم، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربِّه تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك، وكفى بالعبد عمًى وخذلانًا أن يضرب على قلبه سرادق الإعراض عنها والنفرة والتنفير، والاشتغال بما لو كان حقًّا لم ينفع إلّا بعد معرفة اللّه والإيمان به وبصفاته وأسمائه.

والقلب الثاني، قلب مضروب بسياط الجهالة، فهو عن معرفة ربِّه ومحبته مصدود، وطريق معرفة أسمائه وصفاته كما أنزلت عليه مسدود، قد قمش شُبَهًا من الكلام الباطل، وارتوى من ماءٍ آجن[١] غير طائل، تعج منه آيات الصفات وأحاديثها إلى اللّه عجيجًا، وتضج منه إلى منزلها ضجيجًا بما يسومها تحريفًا وتعطيلاً، ويولي معانيها تغييرًا وتبديلاً، قد أعدّ لدفعها أنواعًا من العدد، وهيأ لردها ضروبًا من القوانين، وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال: تلك أدلة لفظية لا تفيد شيئًا من اليقين، قد اتخذ التأويل جنّة يَتَتَرّسُ بها من مواقع سهام السُّنَّة والقُرآن، وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسيمًا وتشبيهًا يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان، مُزْجى البضاعة من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء، ولكنّه مليء بالشكوك والشبه، والجدال والمراء، خلع عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث، والتبديع لهم والتضليل، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب يتكفف أربابها، فانثنى[٢] بأخسّ المواهب والمطالب، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية

(١) أي متغير الطعم واللون.
(٢) أي رجع.

المراد وغاية الإحسان، فابتلي بالوقوف على الأبواب السافلة المليئة بالخيبة والحرمان، وقد لبس حلّة منسوجة من الجهل والتقليد والشّبه والعناد، فإذا بُذِلت له النصيحة، ودُعِي إلى الحق، أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم ولبئس المهاد.

فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان! وما أشد الجناية به على السُّنَّة والقُرآن! وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرّحمن! وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان! والجهاد بالحجّة والبيان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذارًا وتعذيرًا، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢].

وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

فالجهاد بالعلم والحجّة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق، ومن مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزوٍ مات على شعبة من النفاق.

وكفى بالعبد عمًى وخذلانًا أن يرى عساكر الإيمان وجنود السُّنَّة والقُرآن وقد لبسوا للحرب لأمته[1]، وأعدوا له عدته، وأخذوا مصافهم، ووقفوا مواقفهم، وقد حمي الوطيس، ودارت رحى الحرب، واشتد القتال، وتنادت الأقران: النزال النزال، وهو في الملجأ والمغارات، والمُدّخل مع الخوالف كمين. وإذا ساعد القدر وعزم على الخروج قعد فوق التل مع الناظرين، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين، ثم يأتيهم وهو يقسم باللّه جهد أيمانه: إني كنت معكم وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين.

فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن لا يعرضها غدًا بين يدي اللّه ورسوله لمواقف الخزي والهوان، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السُّنَّة والقُرآن، فكأن قد كشف الغطاء وانجلى الغبار، وأبان عن وجوه أهل السُّنَّة مسفرة ضاحكة مستبشرة، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة، ترهقها قترة، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تبيض وجوه أهل السُّنَّة والجماعة، وتسودّ وجوه أهل

(١) اللأمة أي السلاح.

البدعة والفرقة والضلالة، فواللّه لمفارقة أهل الأهواء، والبدع في هذه الدار أسهل من مرافقتهم إذا قيل: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: ٢٢].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده الإمام أحمد رحمه اللَّه: أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧]، فجُعِلَ صاحب الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته، هنالك واللّه يعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه، ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

فصل

وكان من قدر اللّه وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو وبين معطل لذلك، فاستطعم المُعَطّل المثبت الحديث استطعام غير جائع إليه، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه، فقال له: ما تقول في القُرآن ومسألة الاستواء؟ فقال المثبت: نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى وما قاله نبينا ﷺ، نصف اللّه تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فمن شبه اللّه بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف اللّه به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف اللّه به نفسه، أو ما وصفه به رسوله تشبيهًا، فالمشبّه يعبد صنمًا، والمُعَطّل يعبد عدمًا، والموحد يعبد إلٰهًا واحدًا صمدًا ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أنا نثبت ذاتًا لا تشبه الذوات، فكذا نقول في صفاته أنها لا تشبه الصفات، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا نشبه صفات اللّه بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل تشنيع المشنعين، وتلقيب المفترين.

كما أنا لا نبغض أصحاب رسول اللّه ﷺ لتسمية الروافض لنا نواصب، ولا نكذب بقدر اللّه ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدرية لنا مجبرة، ولا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية، ورحمة اللّه على القائل:

فإن كان تجسيمًا ثبوت صفاته فإني بحمد اللّه لها مثبت

إلى:

فإن كان تجسيمًا ثبوت صفاته لديكم فإني اليوم عبد مجسم

ورضي اللّه عن الشافعي حيث يقول:

إن كان رفضًا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقدس اللّه روح القائل ـ وهو شيخ الإسلام ابن تيمية ـ إذ يقول:

إن كان نَصْبًا حبّ صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

فصل

وأما القُرآن فإني أقول: إنه كلام اللّه منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلّم اللّه به صدقًا، وسمعه جبريل حقًّا، وبلغه محمّدًا ﷺ وحيًا، وإن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]، و ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١، ٢]، و﴿الٓرۚ﴾ [يوسف: ١]، و﴿قٓۚ﴾ [ق: ١]، و﴿نٓۚ﴾ [القلم: ١]، عين كلام اللّه حقيقة، وأن اللّه تعالى تكلّم بالقُرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ، وأن جميعه كلام اللّه، وليس قول البشر، ومن قال: إنه قول البشر فقد كفر، واللّه يصليه سقر، ومن قال: ليس للّه بيننا في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ، فإن اللّه بعثه يبلغ عنه كلامه، والرّسول إنما يبلغ كلام مرسله، فإذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرّسول.

ونقول: إن اللّه فوق سمواته مستو على عرشه، بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وإنه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح إليه، وإنه يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه، وإن المسيح رفع بذاته إلى اللّه، وإن رسول اللّه ﷺ عرج به إلى اللّه حقيقة، وإن أرواح المؤمنين تصعد إلى اللّه عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه، وإنه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو العلي الأعلى، وإن المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم، وإن أيدي السائلين ترفع إليه، وحوائجهم تعرض عليه، فإنه سبحانه هو العلي الأعلى بكُلّ اعتبار[1].

فلما سمع المُعَطّل منه ذلك أمسك، ثم أسرّها في نفسه، وخلا بشياطينه وبني

(١) وانظر للفائدة كتاب علو الله على خلقه للشيخ أسامة القصاص ﷾، وكتاب الكلمات الحسان في علو الرَّحمٰن للشيخ عبد الهادي وهبي حفظه الله تعالى.

جنسه، وأوحى بعضهم إلى بعض أصناف المكر والاحتيال، وراموا[١] أمرًا يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال، وعقدوا مجلسًا يبيّتون[٢] في مساء يومه ما لا يرضاه اللّه من القول، واللّه بما يعملون محيط.

وأتوا في مجلسهم ذلك بما قدروا عليه من الهذيان واللغط والتخليط، وراموا استدعاء المثبت إلى مجلسهم الذي عقدوه ليجعلوا نزله[٣] عند قدومه عليهم ما لفقوه من الكذب ونمّقوه، فحبس اللّه سبحانه عنهم أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه، وردّ اللّه كيدهم قي نحورهم فلم يصلوا بالسوء إليه، وخذلهم المُطَاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر، وقلب اللّه قلوب أوليائه وجنده عليهم من كُلّ باد وحاضر، وأخرج الناس لهم من المخبآت كمائنها، ومن الجوائف والمُنَقّلات دفائنها، وقوّى اللّه جأش عقد المثبت، وثبَّت قلبه ولسانه، وشيّد بالسُّنَّة المحمدية بنيانه، فسعى إلى عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السّلطان، وحكّم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه، وصرّح المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانيهم لقاصيهم، فلم يذعنوا لذلك واستعفوا من عَقْدِه فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث:

مناظرة في مجلس عام على شريطة العلم والإنصاف، تُحْضَر فيه النّصوص النبوية والآثار السلفية وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين، فقيل لهم: لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان وما لكم بمقاومة فرسانه يدان.

فدعاهم إلى مكاتبة بما يدعون إليه، فإن كان حقًّا قبله وشكركم عليه، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت، وتبيّن لكم حقيقة ما لديه، فأبوا ذلك أشد الإباء، واستعفوا غاية الاستعفاء.

فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قيامًا في مواقف الابتهال حاسري الرؤوس، نسأل اللّه أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال. وظن المثبت واللّه أن القوم يجيبونه إلى هذا، فوطن نفسه عليه غاية التوطين، وبات يحاسب نفسه، ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرد من كُلّ هوى يخالف الوحي المبين، ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين، فلم يجيبوا إلى ذلك أيضًا، وأتوا من الأعذار بما دلّ على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار،

(١) أي أرادوا.
(٢) أي يدبرون ويمكرون.
(٣) النزل هو ما أعدّ للضيف عند قدومه.

فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه، وعقد للّه مجلسًا بينه وبين خصمه، يشهده القريب والبعيد، ويقف على مضمونه الذكي والبليد، وجعله عقد مجلس التحكيم بين المُعَطّل الجاحد والمثبت المرمي بالتجسيم.

وقد خاصم في هذا المجلس باللّه وحاكم إليه، وبرئَ إلى اللّه من كُلّ هوى وبدعة وضلالة، وتحيُّز إلى فئة غير رسول اللّه ﷺ، وما كان أصحابه عليه. واللّه سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه ولا إلى شيء مما لديه، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه، فإن أزمّة الأمور بيديه.

وهو يرغب إلى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم للّه قيام متجرد عن هواه، قاصدًا لرضا مولاه، ثم يقرؤها متفكرًا، ويعيدها ويبديها متدبرًا، ثم يحكم فيها بما يرضي اللّه ورسوله وعباده المؤمنين، ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين، فإن رأى حقًّا قَبِله وشكر عليه، وإن رأى باطلاً رده على قائله وأهدى الصواب إليه، فإن الحق للّه ورسوله، والقصد أن تكون كلمة السُّنَّة هي العليا، جهادًا في اللّه وفي سبيله، واللّه عند لسان كُلّ قائل وقلبه، وهو المطّلع على نيته وكسبه، وما كان أهل التعطيل أولياءه، إن أولياؤه إلّا المتقون، المؤمنون المصدّقون: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة ١٠٥].

فصل

وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطّل والمشبّه والموحّد، ذكرناها قبل الشروع في المقصود، فإن ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود، وقد قال تعالى ـ وكلامُهُ المشتمل على أعظم الحجج وقواطع البراهين ـ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلاً، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه اشتدَّ بكاؤه، ويقول: لست من العالمين، وسنفرد لها إن شاء اللّه كتابًا مستقلاً متضمنًا لأسرارها ومعانيها وما تضمنته من كنوز العلم وحقائق الإيمان، واللّه المستعان وعليه التكلان.

المثل الأول: ثياب المُعَطّل ملطخة بعذرة التحريف، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل، وثياب المشبه متضمخة[1] بدم التشبيه، وشرابه متغير بفَرْث التمثيل،

(١) متضمخة أي متلطخة.

والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

المثل الثاني: شجرة المُعَطّل مغروسة على شفا جرف هار، وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كُلّ حين باذن ربها ويضرب اللّه الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.

المثل الثالث: شجرة المُعَطّل شجرة الزقوم، فالحلوق السليمة لا تبلعها، وشجرة المشبه شجرة الحنظل، فالنفوس المستقيمة لا تتبعها، وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها[١].

المثل الرابع: المُعَطّل قد اتخذ قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت، والمشبه قد خسف بعقله، فهو يَتَجَلْجَلُ[٢] في أرض التشبيه إلى البهموت[٣]، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظرًا إلى الحيّ الذي لا يموت.

المثل الخامس: مصباح المُعَطّل قد عصفت عليه أهوية التعطيل فطفىء وما أنار، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عَكَرَ التشبيه، فلا يقتبس منه الأنوار، ومصباح الموحد يتوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

المثل السادس: قلب المُعَطّل متعلق بالعدم فهو أحقر الحقير، وقلب المشبه عابد للصنم الذي نحت بالتصوير والتقدير، والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

المثل السابع: نقود المُعَطّل كلها زيوف فلا تروج علينا، وبضاعة المشبه كاسدة لا تنفق لدينا، وتجارة الموحد ينادي عليها يوم العرض على رؤوس الأشهاد هذه بضاعتنا رُدّت إلينا.

المثل الثامن: المُعَطّل كنافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإمّا أن ينجسك، وإمّا أن تجد منه ريحًا خبيثة، والمشبه كبائع الخمر، إمّا أن يسكرك، وإمّا أن ينجسك،

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٢٥٢، ٤٨٨١) ومسلم في صحيحه برقم (٢٨٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة سنة لا يقطعها».

(٢) أي يدخل في الأرض ويسيخ فيها.

(٣) أي إلى آخر أعماق الأرض.

والموحد كبائع المسك إمّا أن يحذيك، وإمّا أن يبيعك، وإمّا أن تجد منه ريحًا طيبة.

المثل التاسع: المُعَطّل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها فأدركه الطوفان، والمشبه قد انكسرت به اللجة، فهو يشاهد الغرق بالعيان، والموحد قد ركب سفينة نوح، وقد صاح به الربان: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١].

المثل العاشر: منهل المُعَطّل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا فرجع خاسئًا حسيرًا، ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييرًا، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافورًا، عينًا يشرب بها عباد اللّه يفجرونها تفجيرًا.

وقد سميتها بـ:

الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

وهذا حين الشروع في المحاكمة، واللّه المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلّا باللّه العلي العظيم.

حُكْمُ المحبة ثابت الأركان ... ما للصدود بفَسْخ ذاك يدان
أنّى وقاضي الحسن نَفّذَ حُكمها ... فلذا أقر بذلك الخصمان
وأتت شهود الوصل تشهد أنه ... حقًّا جرى في مجلس الإحسان
فتأكَّد الحكمُ العزيز فلم يجد ... فَسْخُ الوشاة[1] إليه من سلطان
ولأجل ذا حُكْمُ العَذول تداعت الْـ ... أركانُ منه فخرَّ للأركانِ
وأتى الوشاةُ فصادفوا الحكم الذي ... حكموا به متيقّن البطلان
ما صادف الحكم المحل ولا هو اسـ ... ـتوفى الشروط فصار ذا بطلان
فلذاك قاضي الحسن أثبت محضرًا ... بفساد حكم الهجر والسلوان
وحكى لك الحكم المُحال ونَقْضَه ... فاسمع إذًا يا من له أذنان
حَكَمَ الوشاة بغير ما برهان ... أن المحبة والصدود لدان
واللَّه ما هذا بحكم مقسط ... أين الغرام وصدّ ذي هجران
شتان بين الحالتين فإن تُرِد ... جمعًا فما الضدان يجتمعان
يا والهًا[2] هانت عليه نفسه ... إذ باعها غبنًا بكُلّ هوان
أتبيع من يهواه نفسه طائعًا ... بالصدّ والتعذيب والهجران
أجهلت أوصاف المبيع وقدره ... أم كنت ذا جهل بذي الأثمان
واهًا لقلب لا يفارق طيره الـ ... أغصان قائمة على الكثبان
ويظل يسجع فوقها ولغيره ... منها الثمار وكُلّ قطيف دان
ويبيت يبكي والمواصل ضاحك ... ويظل يشكو وهو ذو شكران
هذا ولو أن الجمال معلق ... بالنجم همّ إليه بالطيران

---

(١) جمع واشٍ: وهو النمام.
(٢) الوله: الحزن وذهاب العقل لفقد الحبيب.

لـــله زائـــرةٌ بـــليـــل لـــم تـــخـــف عَـسَـسَ الأمـيـر ومـرصـد الـسـجـان
قطعت بلاد الشام ثم تيمّمت[1] مـن أرض طَـيْـبَـةَ مـطـلـع الإيـمـان
وأتت على وادي العقيق فجاوزت مـيـقـاتـه حِـلًّا بـلا نـكـران
وأتت على وادي الأراك ولم يكن قـصـدًا لـهـا فَـأْلًا بـأن ستـرانـي
وأتت عـلى عـرفـات ثـم مـحـسّـر ومـنـى فـكـم نـحـرتـه مـن قـربـان
وأتت على الجمرات ثم تيممت ذات الـسـتـور وربّـة الأركـان
هذا وما طافت ولا استلمت ولا رمـت الـجـمـار ولا سـعـت لـقـران
ورقت إلى أعلى الصفا فتيمّمت دارًا هـنـالـك لـلمـحـب الـعـانـي[2]
أتـرى الـدلـيـل أعـارهـا أثـوابـه والـريـح أعـطـتـهـا مـن الـخـفـقـان
والـله لـو أن الـدلـيـل مـكـانـهـا مـا كـان ذلـك مـنـه فـي إمـكـان
هـذا ولـو سارت مسير الريح ما وصـلـت بـه لـيـلًا إلـى نـعـمـان
سارت وكان دليلها في سيرها سـعـد الـسـعـود ولـيـس بـالـدبـران
وردت جفار[3] الدمع وهي غزيرة فـلذاك مـا احـتـاجـت ورود الـضّـان
وعلت على مَتْنِ الهوى وتزوَّدت ذكـر الـحـبـيـب ووصـلهُ الـمـتـدانـي
وعـدت بـزورتـهـا فـأوفـت بـالـذي وعـدت وكـان بـمـلـتـقـى الأجـفـان
لـم تـفـجـأ الـمـشـتـاق إلا وهـي دا خـلة الـسـتـور بـغـيـر مـا اسـتـئـذان
قالت وقد كشفت نقاب الحسن ما بـالـصـبـر لـي عـن أن أراك يـدان
وتـحـدثـت عـنـدي حـديـثًـا خِـلْتُـه صـدقًـا وقـد كـذبـت بـه الـعـيـنـان
فعجبت منه وقلت من فرحي به طـمـعًـا ولـكـن الـمـنـام دهـانـي
إن كـنـت كـاذبـة الـذي حـدثـتـنـي فـعـلـيـك إثـم الـكـاذب الـفـتـان
جهـم بـن صـفـوان وشـيـعـتـه الألـى جـحـدوا صـفـات الـخـالـق الـديـان
بـل عـطـلوا مـنـه الـسـمـوات الـعـلـى والـعـرش أَخْـلـوهُ مـن الـرّحـمـن
ونـفـوا كـلام الـربّ جـل جـلالـه وقَـضَـوْا لـه بـالـخـلق والـحـدثـان

(١) أي قصدت.
(٢) أي الأسير والعبد.
(٣) الجفار جمع جفرة، وهي الحفرة الواسعة.

قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان
وكذاك ليس لربنا من قدرة ... وإرادة أو رحمة وحنان
كَلّا ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجردة بغير معان
وحياته هي نفسه وكلامُهُ ... هو غيره فاعْجَبْ لذا البهتان
وكذاك قالوا ما له من خلقه ... أحد يكون خليله النفساني
وخليله المحتاج عندهم وفي ... ذا الوصف يدخل عابد الأوثان
فالكُلّ مفتقر إليه لذاته ... في أسر قبضته ذليل عان
ولأجل ذا ضحى بِجَعْدٍ خالدُ الـ ... قسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كَلّا ولا موسى الكليم الداني[1]
شكر الضحية كُلّ صاحب سنة ... للّه درّك من أخي قربان

فصل

والعبد عندهم فليس بفاعل ... بل فعله كتحرك الرجفان
وهبوب ريح أو تحرك نائم ... وتحرك الأشجار للمَيَلان
واللّه يصليه على ما ليس من ... أفعاله حرّ الحميم الآني
لكن يعاقبه على أفعاله ... فيه تعالى اللّه ذو الإحسان
والظلم عندهم المحال لذاته ... أنّى ينزه عنه ذو السّلطان
ويكون مدحًا ذلك التنزيه ما ... هذا بمقبول لدى الأذهان

فصل

وكذلك قالوا ما له من حكمة ... هي غاية للأمر والإتقان
ما ثم غير مشيئة قد رجحت ... مِثْلاً على مِثْلٍ بلا رجحان
هذا وما تلك المشيئة وصفه ... بل ذاته أو فعله قولان
وكلامُهُ مُذْ كان غَيْرًا كان مخـ ... ـلوقًا له من جملة الأكوان
قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلّاقهم هو منتهى الإيمان

(١) أي القريب.

والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهُمُ من عابدي الأوثان
وسل اليهود وكُلّ أقلف[1] مشرك ... عَبَدَ المسيح مُقَبِّلَ الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ ... ـخلّاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق أعني أمة ... لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك أمام كُلّ معطل ... فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الـ ... ـرب العظيم مكوّن الأكوان
فليُبْشروا ما فيهم من كافر ... هم عند جهم كاملو الإيمان

فصل

وقضى بأن اللّه كان مُعَطّلاً ... والفعل ممتنع بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدورًا له ... من غير أمر قام بالديان
بل حاله سبحانه في ذاته ... قبل الحدوث وبعده سيان
وقضى بأن النار لم تُخْلَق ولا ... جَنّاتُ عدن بل هما عدمان
فإذا هما خُلِقا ليوم معادنا ... فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه ... فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون في الحركات لا ... في الذات واعجبا لذا الهذيان
أيصير أهل الخلد في جناتهم ... وجحيمهم كحجارة البنيان
ما حال من قد كان يغشى أهله ... عند انقضاء تحرك الحيوان
وكذاك ما حال الذي رفعت يدا ... ه أُكْلَةً من صَحْفَةٍ وخوان
فتناهت الحركات قبل وصولها ... للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذي امتدت يد ... منه إلى قِنْوٍ من القنوان[2]
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل ... يبقى كذلك سائر الأزمان

---

(١) أي غير مختون.
(٢) جمع القِنْو، وهو العذق بما فيه من الرطب.

تَبًّا لهاتيك العقول فإنّها ... واللّه قد مسخت على الأبدان
تَبًّا لمن أَضْحى يقدمها على الـ ... آثار والأخبار والقُرآن

فصل

وقضى بأن اللّه يجعل خلقه ... عدمًا ويَقْلِبُه وجودًا ثاني
العرش والكرسي والأرواح والـ ... أملاك والأفلاك والقمران
والأرض والبحر المحيط وسائر الـ ... أكوان من عرض ومن جثمان
كُلّ سيُفْنيه الفناء المحض لا ... يبقى له أثر كظل فان
ويعيد ذا المعدوم أيضًا ثانيًا ... محض الوجود إعادةً بزمان
هذا المعاد وذلك المبدا لدى ... جهم وقد نسبوه للقرآن
هذا الذي قاد ابن سينا والألى ... قالوا مقالته إلى الكفران
لم تقبل الأذهان ذا وتوهموا ... أن الرّسول عناه بالإيمان
هذا كتاب اللّه أنى قال ذا ... أو عَبْده المبعوث بالبرهان
أو صحبه من بعده أو تابع ... لهم على الإيمان والإحسان
بل صرح الوحي المبين بأنه ... حقًّا مغيّر هذه الأكوان
فيبدل اللّه السموات العلى ... والأرض أيضًا ذان تبديلان[1]
وهما كتبديل الجلود لساكني النـ ... ـيران عند النضج من نيران[2]
وكذاك يقبض أرضه وسماءه ... بيدَيْه ما العدمان مقبوضان[3]
وتحدث الأرض التي كنا بها ... أخبارها في الحشر للرحمن

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦].

(٣) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٤١٢) ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «يطوي الله السمٰوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وتظل تشهد وهي عدل بالذي ... من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيشهد العدم الذي هو كاسمه ... لا شيء هذا ليس في الإمكان
لكن تُسوّى ثم تبسط ثم تشـ ... ـهد ثم تُبْدَل وهي ذات كيان
وتُمَدّ أيضًا مثل مَدّ أديمنا ... من غير أودية ولا كثبان
وتقيء يوم العرض ذا أكبادها ... كالأسطوان نفائس الأثمان
كُلّ يراه بعينه وعيانه ... ما لامرىء بالأخذ منه يدان
وكذا الجبال تفتّت فتًّا؟ محكمًا ... فتعود مثل الرمل ذي الكثبان
وتكون كالعهن الذي ألوانه ... وصباغه من سائر الألوان[1]
وتُبَسّ بَسًّا مثل ذاك فَتَنْثَني ... مثل الهباء لناظر الإنسان[2]
وكذا البحار فإنها مسجورة ... قد فُجّرت تفجير ذي سلطان
وكذلك القمران يأذن ربنا ... لهما فيجتمعان يلتقيان
هذي مكوّرة وهذا خاسف ... وكلاهما في النار مطروحان
وكواكب الأفلاك تُنْثَرُ كلها ... كاللآلىء نثرت على ميدان
وكذا السماء تشق شَقًّا ظاهرًا ... وتمور أيضًا أيما موران
وتصير بعد الانشقاق كمثل هـ ... ـذا المهل أو تك وردة كدهان
والعرش والكرسي لا يُفْنيهما ... أيضًا وإنهما لمخلوقان
والحور لا تفنى كذلك جنة الـ ... ـمأوى وما فيها من الولدان
ولأجل هذا قال جهم إنها ... عدم ولم تخلق إلى ذا الآن
والأنبياء فإنّهم تحت الثرى ... أجسامهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبدًا وهم تحت التراب يدان
وكذاك عَجْبُ الظهر[3] لا يبلى بَلَى ... منه تركّب خِلْقَةُ الإنسان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ [الواقعة: ٥]، والعهن هو الصوف المصبوغ.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٤ ـ ٦]، وبُسّت الجبال أي تفتّت.

(٣) وهو العظم الصغير الذي في أسفل العمود الفقري، ويسميه الناس: العصعص، وهذا العظم لا يبلى في القبر، ومنه يركّب خلق الإنسان يوم القيامة كما قال ﷺ: «. . . وليس من =

وكـذلـك الأرواح لا تـبـلى كـمـا ... تـبلى الـجسـوم ولا بـلى الـلحـمـان
ولأجـل ذلـك لـم يـقـر الـجَهْـم بـالـ ... أرواح خـــارجـــة عـــن الأبـــدان
لـكـنّـهـا مـن بـعـض أعـراض بـهـا ... قـامـت وذا فـي غـايـة الـبـطـلان
فـالـشـأن لـلأرواح بـعـد فـراقـهـا ... أبـدانـهـا والـلّه أعـظـم شـان
إمـا عـذاب أو نـعـيـم دائـم ... قـد نـعـمـت بـالـروح والـريـحـان
وتـصـيـر طـيـرًا سـارحًـا مـع شـكـلـهـا ... تـجـنـي الـثـمـار بـجـنـة الـحـيـوان[1]
وتـظـل واردة لأنـهـار بـهـا ... حـتـى تـعـود لـذلـك الـجـثـمـان
لـكـن أرواح الـذيـن اسـتـشـهـدوا ... فـي جـوف طـيـر أخـضـر ريـان[2]
فـلهـم بـذاك مـزيّـة فـي عـيـشـهـم ... ونـعـيـمـهـم لـلروح والأبـدان
بـذلـوا الـجسـوم لـربـهـم فـأعـاضـهـم ... أجـسـام تـلك الـطـيـر بـالإحـسـان
ولـهـا قـنـاديـل إلـيـهـا تـنـتـهـي ... مـأوىً لـهـا كـمـسـاكـن الإنـسـان
فـالـروح بـعـد الـمـوت أكـمـل حـالـة ... مـنـهـا بـهـذي الـدار فـي جـثـمـان
وعـذاب أشـقـاهـا أشـد مـن الـذي ... قـد عـايـنـت أبـصـارنـا بـعـيـان
والـقـائـلون بـأنـهـا عـرض أبـوا ... ذا كـلَّه تَـبًّـا لـذي نـكـران
وإذا أراد الـلّه إخـراج الـورى ... بـعـد الـمـمـات إلـى الـمـعـاد الـثـانـي
ألـقـى عـلـى الأرض الـتـي هـم تـحـتـهـا ... والـلّه مـقـتـدر وذو سـلـطـان
مـطـرًا غـلـيـظًـا أَبْـيَـضًـا مـتـتـابـعًـا ... عـشـرًا وعـشـرًا بـعـدهـا عـشـران

= الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» وقد أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٩٣٥) ومسلم في صحيحه برقم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (١/ ٣٠٩) والنسائي في سننه (١/ ٢٩٢) وأحمد في المسند (٣/ ٤٥٥) من حديث كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده يوم القيامة» والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (٩٩٥).

(٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال في الشهداء: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت...» الحديث.

فتظل تنبت منه أجسام الورى ولحومهم كمنابت الريحان
حتى إذا ما الأمّ حان ولادها وتمخضت فنفاسها متدان
أوحى لها رب السماء فتشقّقت فبدا الجنين كأكمل الشُبّان
وتخلت الأمّ الولود وأخرجت أثقالها أنثى ومن ذكران
واللّه ينشئ خلقه في نشأة أخرى كما قد قال في الفرقان
هذا الذي جاء الكتاب وسنة الـ ـهادي به فاحْرِص على الإيمان
ما قال إن اللّه يُعْدِمُ خلقه طُرًّا[1] كقول الجاهل الحيران

فصل

وقضى بأن اللّه ليس بفاعل فعلاً يقوم به بلا برهان
بل فعله المفعول خارج ذاته كالوصف غير الذات في الحسبان
والجبر مذهبه الذي قرّت به عين العصاة وشيعة الشيطان
كانوا على وَجَلٍ من العصيان إذ هو فعلهم والذنب للإنسان
واللوم لا يعدوه إذ هو فاعل بإرادة وبقدرة الحيوان
فأراحهم جهم وشيعته من الـ ـوم العنيف وما قضوا بأمان
لكنّهم حملوا ذنوبهم على رب العباد بعزة وأمان
وتبرأوا منها وقالوا إنها أفعاله ما حيلة الإنسان
ما كَلّفَ الجبار نفسًا وسعها أنّى وقد جبلت على العصيان
وكذا على الطاعات أيضًا قد غدت مجبورة فلها إذا جبران
والعبد في التحقيق شبه نعامة قد كُلّفت بالحَمْل والطيران
إذ كان صورتُها تدلّ عليهما هذا وليس لها بذاك يدان
فلذاك قال بأن طاعات الورى وكذاك ما فعلوه من عصيان
هي عين فعل الربّ لا أفعالهم فيصح عنهم عند ذا نفيان
نفي لقدرتهم عليها أوّلاً وصدورها منهم بنفي ثان
فيقال ما صاموا ولا صلّوا ولا زكّوا ولا ذبحوا من القربان

(١) أي جميعًا.

وكذاك ما شربوا وما قتلوا وما سرقوا ولا فيهم غوي زان
وكذاك لم يأتوا اختيارًا منهم بالكفر والإسلام والإيمان
إلّا على وجه المجاز لأنها قامت بهم كالطعم والألوان
جبروا على ما شاءه خلّاقهم ما ثم ذو عون وغير معان
الكُلّ مجبور وغيرُ ميسّر كالميت أُدْرِجَ داخل الأكفان
وكذاك أفعال المهيمن لم تقم أيضًا به خوفًا من الحدثان
فإذا جمعت مَقالَتَيْه أَنْتَجَا كذبًا وزورًا واضح البهتان
إذ ليست الأفعال فعل إلٰهنا والربّ ليس بفاعل العصيان
فإذا انتفت صفة الإلٰه وفعله وكلامُهُ وفعائل الإنسان
فهناك لا خلق ولا أمر ولا وحي ولا تكليف عبد فان
وقضى على أسمائه بحدوثها وبخلقها من جملة الأكوان
فانْظُرْ إلى تعطيله الأوصاف والـ أفعال والأسماء للرحمن
ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من نفي ومن جحد ومن كفران
لكنّه أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمٰن
وأتى إلى الكفر العظيم فصاغه عِجْلًا ليفتن أمة الثيران
وكساه أنواع الجواهر والحلى من لؤلؤ صاف ومن عقيان
فرآه ثيران الورى فأصابهم كمصاب إخوتهم قديم زمان
عجلان قد فتنا العباد بصوته إحداهما وبحرفه ذا الثاني
والناس أكثرهم فأهل ظواهر تبدو لهم ليسوا بأهل معان
فهم القشور وبالقشور قوامهم واللب حظ خلاصة الإنسان
ولذا تقسمت الطوائف قوله وتوارثوه إرث ذي السهمان
لم ينج من أقواله طُرًّا سوى أهل الحديث وشيعة القُرآن
فتبرأوا منها براءة حيدر وبراءة المولود من عمران
من كُلّ شيعي خبيث وصفه وصف اليهود محللي الحيتان

فصل
في مقدمة نافعة قبل التحكيم

يا أيُّها الرجل المريد نجاته ... اسمع مقالة ناصح معوان
كن في أمورك كلها متمسّكًا ... بالوحي لا بزخارف الهذيان
وانصر كتاب اللّه والسُّنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان
واضرب بسيف الوحي كُلّ معطل ... ضرب المجاهد فوق كُلّ بنان
واحمل بعزم الصدق حَمْلَةَ مخلص ... متجرد للّه غير جبان
واثبت بصبرك تحت أَلْوِيَة الهدى ... فإذا أصبت ففي رضا الرّحمٰن
واجعل كتاب اللّه والسُّنن التي ... ثبتت سلاحك ثم صِحْ بجنان
من ذا يبارز فليقدّم نفسه ... أو من يسابق يَبْدُ في الميدان
واصدع بما قال الرّسول ولا تخف ... من قلة الأنصار والأعوان
فاللّه ناصر دينه وكتابه ... واللّه كاف عبده بأمان
لا تخش من كيد العدو ومكرهم ... فقتالهم بالكِذْبِ والبهتان
فجنود أتباع الرّسول ملائك ... وجنودهم فعساكر الشيطان
شتان بين العسكرين فمن يكن ... متحيّزًا فلينظر الفئتان
واثبت وقاتل تحت رايات الهدى ... واصبر فنصر اللّه ربك دان
واذكر مقاتلهم لفرسان الهدى ... للّه دَرّ مقاتل الفرسان
وادرأ بلفظ النص في نحر العدا ... وارجمهم بشواقب الشهبان
لا تخش كثرتهم فهم هَمَجُ[1] الورى ... وذُبابُه أَتَخافُ من ذِبّان
واشغلهم عند الجدال ببعضهم ... بعضًا فذاك الحزم للفرسان
وإذا هم حملوا عَلَيْك فلا تكن ... فزعًا لحملتهم ولا بجبان
واثبت ولا تحمل بلا جُنْدٍ فما ... هذا بمحمود لدى الشجعان
فإذا رأيت عصابة الإسلام قد ... وافَتْ[2] عساكرها مع السّلطان

---

(١) أي رعاع الناس ورذالهم.
(٢) أي أتت وأقبلت.

فهناك فاخترق الصفوف ولا تكن ... بالعاجز الواني[1] ولا الفزعان
وتَعَرّ من ثوبين من يلبسهما ... يلق الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحلّ بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرّحمٰن مع ... نصح الرّسول فحبذا الأمران
وتمسكن بحبله وبوَحْيه ... وتوكّلَنّ حقيقة التكلان
فالحق وصف الربّ وهو صراطه الـ ... ـهادي إليه لصاحب الإيمان
وهو الصّراط عليه رب العرش أيـ ... ـضًا ذا وذا قد جاء في القُرآن
والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرّحمن
وبذاك يظهر حِزْبُهُ من حَرْبِهِ ... ولأجل ذاك الناس طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ ... ـكفار مذ قام الورى سَجْلان
لكنّما العقبى لأهل الحق إن ... فاتت هنا كانت لدى الديان
فاجعل لقلبك هجرتين ولا تنم ... فهما على كُلّ امرئ فرضان
فالهجرة الأولى إلى الرّحمٰن بالـ ... ـإخلاص في سِرٍّ وفي إعلان
فالقصد وجه اللّه بالأقوال والـ ... ـأعمال والطاعات والشكران
فبذاك ينجو العبد من أشراكه ... ويصير حقًّا عابد الرّحمن
والهجرة الأخرى إلى المبعوث بالـ ... ـحق المبين وواضح البرهان
فيدور مع قول الرّسول وفعله ... نفيًا وإثباتًا بلا روغان
ويُحَكّم الوحي المبين على الذي ... قال الشيوخ فعنده حكمان
لا يحكمان بباطل أبدًا وكلّ ... العدل قد جاءت به الحكمان
وهما كتاب اللّه أعدل حاكم ... فيه الشفا وهداية الحيران
والحاكم الثاني كلام رسوله ... ما ثَمّ غيرهما لذي إيمان
فإذا دعوك لغير حكمهما فلا ... سمعًا لداعي الكفر والعصيان
قل لا كرامة لا ولا نعمى ولا ... طوعًا لمن يدعو إلى طغيان

(١) أي الضعيف.

وإذا دعيت إلى الرّسول فقل لهم سمعًا وطوعًا لست ذا عصيان
وإذا تكاثرت الخصوم وصيّحوا فاثبت فَصَيْحَتُهم كمثل دخان
يرقى إلى الأوج الرفيع وبعده يهوي إلى قعر الحضيض الداني
هذا وإن قتال حزب اللّه بالـ أعمال لا بكتائب الشجعان
واللّه ما فتحوا البلاد بكثرة أنّى وأعداهم[1] بلا حسبان
وكذاك ما فتحوا القلوب بهذه الـ آراء بل بالعلم والإيمان
وشجاعة الفرسان نفس الزهد في نفس وذا محذور كُلّ جبان
وشجاعة الحكام والعلماء زهـ ـد في الثنا من كُلّ ذي بطلان
فإذا هما اجتمعا لقلب صادق شدت ركائبه إلى الرّحمن
واقصد إلى الأقران لا أطرافها فالعز تحت مقاتل الأقران
واسمع نصيحة من له خبر بما عند الورى من كثرة الجولان
ما عندهم واللّه خير غير ما أخذوه عمن جاء بالقُرآن
والكُلّ بَعْدُ فبدعة أو فرية أو بحث تشكيك ورأي فلان
فاصدع بأمر اللّه لا تخش الورى في اللّه واخشاه تَفُزْ بأمان
واهجر ولو كُلّ الورى في ذاته لا في هواك ونخوة الشيطان
واصبر بغير تسخط وشكاية واصفح بغير عتاب من هو جان
واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى إن لم يكن بُدٌّ من الهجران
وانظر إلى الأقدار جارية بما قد شاء من غيٍّ ومن إيمان
واجعل لقلبك مُقْلَتَين كلاهما بالحق في ذا الخلق باصرتان
فانْظُرْ بعين الحكم وارحمهم بها إذ لا تُرَدّ مشيئة الديان
وانظر بعين الأمر واحملهم على أحكامه فهما إذًا نظران
واجعل لوجهك مُقْلَتَيْنِ كلاهما من خشية الرّحمٰن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضًا مثلهم فالقلب بين أصابع الرّحمن
واحذر كمائن نفسك اللّاتي متى خرجت عَلَيْك كُسرت كسر مهان

(١) أي أعداؤهم.

وإذا انتصرت لها تكون كمن بغى ... طَفْيَ الدّخان بموقد النيران
واللّه أخبر وهو أصدق قائل ... أن ليس ينصر عبده بأماني
من يعمل السوأى سيجزى مثلها ... أو يعمل الحسنى يفز بجنان
هذي وصية ناصح ولنفسه ... وصّى وبعد لسائر الاخوان

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم

فاجلس إذًا في مجلس الحكمين للر ... حمن لا للنفس والشيطان
إحداهما النقل الصحيح وبعده الـ ... ـعقل الصريح وفطرة الرّحمن
واحكم إذًا في رفقة قد سافروا ... يبغون فاطر هذه الأكوان
فترافقوا في سيرهم وتفارقوا ... عند افتراق الطُّرْق بالحيران
فأتى فريق ثم قال وجدته ... هذا الوجود بعينه وعِيان
ما ثم موجود سواه وإنما ... غَلِطَ اللسان فقال موجودان
فهو السماء بعينها ونجومها ... وكذلك الأفلاك والقمران
وهو الغمام بعينه والثلج والـ ... ـأمطار مع برد ومع حسبان
وهو الهواء بعينه والماء والتّـ ... ـرْبُ الثقيل ونفس ذي النيران
هذي بسائطه ومنه تركبت ... هذي المظاهر ما هنا شيئًان
وهو الفقير لها لأجل ظهوره ... فيها كفقر الروح للأبدان
وهي التي افتقرت إليه لأنه ... هو ذاتها ووجودها الحقاني[1]
وتظل تلبسه وتخلعه وذا الـ ... ـإيجاد والإعدام كُلّ أوان
ويظل يلبسها ويخلعها وذا ... حكم المظاهر كي تُرى بعيان
وتكثّر الموجود كالأعضاء في الـ ... ـمحسوس من بشر ومن حيوان
أو كالقوى في النفس ذلك واحد ... متكثر قامت به الأمران
فيكون كُلًّا هذه أجزاؤه ... هذي مقالة مُدّعي العرفان

(١) نسبة إلى الحق.

أو أنـهـا كَـتَـكَـثّـر الأنـواع فـي ... جِـنْـسٍ كـمـا قـال الـفـريـق الـثـانـي
فـيـكـون كـلّيًّـا وجـزئـيـاتـه ... هـذا الـوجـود فـهـذه قـولان
أولاهـمـا نـص الـفـصـوص وبـعـده ... قـول ابـن سـبـعـيـن ومـا الـقـولان
عـنـد الـعـفـيـف الـتـلـمـسـانـي الـذي ... هـو غـايـة فـي الـكـفـر والـبـهـتـان
إلّا مـن الأغـلاط فـي حـسٍّ وفـي ... وَهْـمٍ وتـلك طـبـيـعـة الإنـسـان
والـكُـلّ شـيء واحـد فـي نـفـسـه ... مـا لـلـتـعـدّد فـيـه مـن سـلـطـان
فـالـضـيـف والـمـأكـول شـيء واحـد ... والـوَهْـمُ يـحـسـب هـا هـنـا شـيـئـان
وكـذلـك الـمـوطـوء عـيـن الـوطء والـ ... ـوهـم الـبـعـيـد يـقـول ذان اثـنـان
ولـربـمـا قـالا مـقـالـتـه كـمـا ... قـد قـال قـولـهـمـا بـلا فـرقـان
وأبـى سـواهـم ذا وقـال مـظـاهـر ... تـجـلـوه ذات تـوحـد ومـثـان
فـالـظـاهـر الـمَـجْـلوّ شـيء واحـد ... لـكـن مـظـاهـره بـلا حـسـبـان
هـذي عـبـارات لـهـم مـضـمـونـهـا ... مـا ثَـمّ غـيـر قـط فـي الأعـيـان
فـالـقـوم مـا صـانـوه عـن إنْـس ولا ... جـن ولا شـجـر ولا حـيـوان
كَـلّا ولا عُـلْوٍ ولا سُـفْـلٍ ولا ... واد ولا جـبـل ولا كـثـبـان
كَـلّا ولا طـعـم ولا ريـح ولا ... صـوت ولا لـون مـن الألـوان
لـكـنّـه الـمـطـعـوم والـمـلـبـوس والـ ... ـمـشـمـوم والـمـسـمـوع بـالآذان
وكـذاك قـالـوا إنـه الـمـنـكـوح والـ ... ـمـذبـوح بـل عـيـن الـغـويّ الـزانـي
والـكـفـر عـنـدهـم هُـدًى ولـو أنـه ... ديـن الـمـجـوس وعـابـدي الأوثـان
قـالـوا ومـا عـبـدوا سـواه وإنـمـا ... ضـلـوا بـمـا خـصـوا مـن الأعـيـان
ولـو أنـهـم عـمّـوا وقـالـوا كـلـهـا ... مـعـبـودة مـا كـان مـن كـفـران
فالكفر ستر حقيقة المعبود بالتـ ... ـخـصـيـص عـنـد مـحـقـق ربـانـي
قـالـوا ولـم يـك كـافـرًا فـي قـولـه ... أنـا ربـكـم فـرعـون ذو الـطـغـيـان
بـل كـان حـقًّـا قـولـه إذ كـان عـيـ ... ـن الـحـق مُـضْـطَـلِعًـا بـهـذا الـشـان
ولـذا غـدا تـغـريـقـه فـي الـبـحـر تـطـ ... ـهـيـرًا مـن الأوهـام والـحـسـبـان
قـالـوا ولـم يـك مـنـكـرًا مـوسـى لـمـا ... عـبـدوه مـن عـجـل لـذي الـخـوران
إلّا عـلـى مـن كـان لـيـس بـعـابـد ... مـعـهـم وأصـبـح ضـيّـق الأعـطـان

ولذاك جر بلحية الأخ حيث لم ... يك واسعًا في قومه لبطان
بل فرّق الإنكار منه بينهم ... لمّا سرى في وهمه غيران
ولقد رأى إبليس عارفهم فأهـ ... ـوى بالسجود هُوِيّ ذي خضعان
قالوا له ماذا صنعت فقال هل ... غير الإلٰه وأنتما عميان
ما ثم غَيْرٌ فاسجدوا إن شئتم ... للشمس والأصنام والشيطان
فالكُلّ عين اللّه عند محقق ... والكُلّ معبود لذي العرفان
هذا هو المعبود عندهم فقل ... سبحانك اللهم ذا السبحان
يا أمة معبودها موطوؤها ... أين الإلٰه وثُغْرَةُ الطّعّان
يا أمة قد صار من كفرانها ... جزءًا يسير جملة الكفران

فصل
في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قال وجدته ... بالذات موجودًا بكُلّ مكان
هو كالهواء بعينه لا عينه ... ملأ الخُلُوّ ولا يرى بعيان
والقوم ما صانوه عن بئر ولا ... قبر ولا حُشٍّ ولا أعطان
بل منهم من قد رأى تشبيهه ... بالروح داخل هذه الأبدان
ما فيهم من قال ليس بداخل ... أو خارج عن جملة الأكوان
لكنّهم حاموا على هذا ولم ... يتجاسروا من عسكر الإيمان
وعليهم رد الأئمة أحمد ... وصحابه من كُلّ ذي عرفان
فهم الخصوم لكُلّ صاحب سنة ... وهم الخصوم لمُنْزِل القُرآن
ولهم مقالات ذكرتُ أصولها ... لما ذكرت الجَهْم في الأوزان

فصل
في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثمّ قارب وصفه ... هذا ولكن جدّ في النكران
فَأَسَرّ قول معطّل ومكذّب ... في قالب التنزيه للرحمٰن

إذ قال ليس بداخل فينا ولا ... هو خارج عن جملة الأكوان
بل قال ليس ببائن عنها ولا ... فيها ولا هو عينُها ببيان
كَلّا ولا فوق السمٰوات العلى ... والعرش من رب ولا رحمٰن
والعرش ليس عليه معبود سوى الـ ... عَدَمِ الذي لا شيء في الأعيان
بل حظّه من ربِّه حظ الثري ... منه وحظّ قواعد البنيان
لو كان فوق العرش كان كهذه الـ ... أجسام سبحان العظيم الشان
ولقد وجدت لفاضل منهم مقا ... مًا قامه في الناس منذ زمان
قال اسمعوا يا قوم إن نبيكم ... قد قال قولًا واضح البرهان
لا تحكموا بالفضل لي أصلاً على ... ذي النون يونس ذلك الغضبان
هذا يرد على المجسم قوله ... اللّه فوق العَرْش والأكوان
ويدل أن إلٰهنا سبحانه ... وبحمده يُلْفىٰ[1] بكُلّ مكان
قالوا له بَيّن لنا هذا فلم ... يفعل فأعطوه من الأثمان
ألفًا من الذهب العتيق فقال في ... تبيانه فاسمع لذا التبيان
قد كان يونس في قرار البحر تحـ ... ـت الماء في قبر من الحيتان
ومحمد صعد السماء وجاوز السـ ... ـبع الطباق وجاز كُلّ عنان
وكلاهما في قربه من ربِّه ... سبحانه إذ ذاك مستويان
فالعُلْوُ والسُّفْلُ اللذان كلاهما ... في بعده من ضده طرفان
إن ينسبا للّه نُزِّهَ عنهما ... بالاختصاص بلى هما سيان
في قرب من أَضْحى مُقيمًا فيهما ... من ربِّه فكلاهما مثلان
فلأجل هذا خُصّ يونس دونهم ... بالذكر تحقيقًا لهذا الشان
فأتى النِّثارُ عليه من أصحابه ... من كُلّ ناحية بلا حسبان
فاحمد إلٰهك أيُّها السني إذ ... عافاك من تحريف ذي بهتان
واللّه ما يرضى بهذا خائف ... من ربِّه أمسى على الإيمان
هذا هو الإلحاد حقًّا بل هو التحـ ... ـريف مَحْضًا أبردُ الهذيان

(١) أي يوجد.

واللّه ما بلي المجسّم قطّ ذي الـ ... بَلْوى ولا أمسى بذي الخذلان
أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ ... أديان حين سرى إلى الأديان
واللّه لولا اللّه حافظ دينه ... لتهدمت منه قوى البنيان

فصل
في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه ... هذا وزاد عليه في الميزان
قال اسمعوا يا قوم لا تلهيكم ... هذي الأماني هنّ شرّ أماني
أتعبتُ راحلتي وكَلّ مطيّتي ... وبذلت مجهودي وقد أعياني
فتّشت فوق وتحت ثُمّ أمامنا ... ووراء ثم يسار مع أيْمان
ما دلّني أحد عليه هُناكُمُ ... كَلّا ولا بشر إليه هداني
إلّا طوائف بالحديث تمسكت ... تُعْزى[1] مذاهبها إلى القُرآن
قالوا الذي تبغيه فوق عباده ... فوق السماء وفوق كُلّ مكان[2]
وهو الذي حقًّا على العرش استوى[3] ... لكنّه استولى على الأكوان
وإليه يصعد كُلّ قول طيب ... وإليه يرفع سعي ذي الشكران[4]
والروح والأملاك منه تنزلت[5] ... وإليه تعرج عند كُلّ أوان[6]
وإليه أيدي السائلين توجهت ... نحو العلوّ بفطرة الرّحمن

---

(١) أي تنسب.
(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٧].
(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] وغيرها من الآيات.
(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].
(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: ٤].
(٦) يشير إلى قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤].

وإليه قد عرج الرّسول فقُدّرت ... من قربه من ربِّه قوسان
وإليه قد رفع المسيح حقيقة[١] ... ولسوف ينزل كي يُرى بعيان[٢]
وإليه تصعد روح كُلّ مصدق ... عند الممات فتنثني بأمان
وإليه آمال العباد توجهت ... نحو العُلُوّ بلا تواص ثان
بل فطرة اللّه التي لم يفطروا ... إلا عليها الخلق والثقلان
ونظير هذا أنهم فُطِروا على ... إقرارهم لا شك بالديان
لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا ... مرضى بداء الجهل والخذلان
فسألت عنهم رفقتي وأحبتي ... أصحاب جهم حزب جنكيزخان
مَنْ هؤلاء ومَنْ يُقالُ لهم فقد ... جاءوا بأمر مالئ الآذان
ولهم علينا صولة ما صالها ... ذو باطل بل صاحب البرهان
أو ما سمعتم قولهم وكلامُهُم ... مثل الصواعق ليس ذا لجبان
جاءوكم من فوقكم وأتيتم ... من تحتهم ما أنتم سيان
جاءوكم بالوحي لكن جئتم ... بنُحاتَةِ الأفكار والأذهان
قالوا مشبهة مجسمة فلا ... تسمع مقال مجسّم حيوان
والعنهم لعنًا كبيرًا واغزهم ... بعساكر التعطيل غير جبان
واحكم بسفك دمائهم وبحبسهم ... أو لا فشردهم عن الأوطان
حَذِّر صحابك منهم فهم أضل ... من اليهود وعابدي الصلبان
واحذر تجادلهم بقال اللّه أو ... قال الرّسول فتنثني بهوان
أنّى وهم أولى به قد أنفذوا ... فيه قوى الأذهان والأبدان
فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأ ... ويل للأخبار والقُرآن

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

(٢) كما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٢٢٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويقبض المال حتى لا يقبله أحد».

وكذاك غالطهم على التكذيب لـ آحاد ذان لصحبنا أصلان
أوصى بها أشياخنا أشياخهم فاحفظهما بيديك والأسنان
وإذا اجتمعت وهم بمشهد مجلس فابدر بإيراد وشغل زمان
لا يملكوه عَلَيْك بالآثار والـ أخبار والتفسير للفرقان
فتصير إن وافقت مثلهم وإن عارضت زنديقًا أخا كفران
وإذا سكت يقال هذا جاهل فابدر ولو بالفشر والهذيان
هذا الذي واللّه أوصانا به أشياخنا في سالف الأزمان
فرجعت من سفري وقلت لصاحبي ومطيتي قد آذنت بحران
عطل ركابك واسترح من سيرها ما ثَمَّ شيء غير ذي الأكوان
لو كان للأكوان رب خالق كان المجسم صاحب البرهان
أو كان رب بائن عن ذا الورى كان المجسم صاحب الإيمان
ولكان عند الناس أولى الخلق بالـ إسلام والإيمان والإحسان
ولكان هذا الحزب فوق رؤوسهم لم يختلف منهم عليه اثنان
فدع التكاليف التي حُمّلْتها واخلع عِذارَكَ وارم بالأرسان
ما ثَمّ فوق العرش من رب ولم يتكلم الرّحمٰن بالقُرآن
لو كان فوق العرش رب ناظر لزم التحيز وافتقار مكان
لو كان ذا القُرآن عين كلامه حرفًا وصوتًا كان ذا جثمان
فإذا انتفى هذا وهذا ما الذي يبقى على ذا النَّفْي من إيمان
فدع الحلال مع الحرام لأهله فهما السياج لهم على البستان
فاخْرِقْهُ ثم ادخل ترى في ضمنه قد هيئت لك سائر الألوان
وترى به ما لا يراه محجب من كُلّ ما تهوى به زوجان
واقطع علائقك التي قد قيدت هذا الورى مُذْ سالف الأزمان
لتصير حُرًّا لست تحت أوامر كَلّا ولا نهي ولا فرقان
لكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى فوق السما للناس من ديان
لو قلت ما فوق السماء مدبّر والعرش تُخْليه من الرحمٰن
واللّهُ ليس مكلّمًا لعباده كَلّا ولا متكلمًا بقران

ما قال قطّ ولا يقول ولا له ... قول بدا منه إلى إنسان
لَحَلَلْتَ طِلِّسْمًا[1] وفزت بكنزه ... وعلمت أن الناس في هذيان
لكن زعمت بأن ربك بائن ... مِنْ خلقه إذ قلت موجودان
وزعمت أن اللّه فوق العرش والـ ... ـكرسي حقًّا فوقه القدمان
وزعمت أن اللّه يسمع خلقه ... ويراهم من فوق سبع ثمان
وزعمت أن كلامه منه بدا ... وإليه يرجع آخر الأزمان
ووصفته بالسمع والبصر الذي ... لا ينبغي إلّا لذي الجثمان
ووصفته بإرادة وبقدرة ... وكراهة ومحبة وحنان
وزعمت أن اللّه يعلم كُلّ ما ... في الكون من سِرٍّ ومن إعلان
والعلم وصف زائد عن ذاته ... عَرَضٌ يقوم بغير ذي جثمان
وزعمت أن اللّه كلم عبده ... موسى فأسمعه ندا الرّحمٰن
أفتسمع الأذنان غير الحرف والصـ ... ـوت الذي خصت به الأذنان
وكذا النداء فإنه صوت بإجمـ ... ـاع النحاة وأهل كُلّ لسان
لكنّه صوت رفيع وهو ضدُّ ... للنجاء كلاهما صوتان
فزعمت أن اللّه ناداه ونا ... جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكان وبعده والصوت بل ... نوعاه محذوران ممتنعان
وزعمت أن محمّدًا أسرى به ... ليلاً إليه فهو منه دان
وزعمت أن محمّدًا يوم الملقا ... يدنيه رب العرش بالرضوان
حتى يُرى المختار حقًّا قاعدًا ... معه على العرش الرفيع الشان
وزعمت أن لعرشه أطًّا به ... كالرحل أطّ براكب عجلان
وزعمت أن اللّه أبدى بعضه ... للطور حتى عاد كالكثبان
لما تجلى يوم تكليم الرضى ... موسى الكليم مكلم الرّحمٰن
وزعمت للمعبود وجهًا باقيًا ... وله يمين بل زعمت يدان
وزعمت أن يديه للسبع العلى ... والأرض يوم الحشر قابضتان

(١) هو السحر والعقد التي لا تنحل.

وزعمت أن يمينه ملأى من الـ ... خيرات ما غاضت[1] على الأزمان
وزعمت أن العدل في الأخرى بها ... رفع وخفض وهو بالميزان
وزعمت أن الخلق طُرًّا[2] عندما ... يهتز فوق أصابع الرّحمن
وزعمت أيضًا أن قلب العبد ما ... بين اثنتين من الأصابع عان[3]
وزعمت أن اللّه يضحك عندما ... يتقابل الصفان يقتتلان
من عبده يأتي فيبدي نحره ... لعدوه طلبًا لنيل جنان
وكذاك يضحك عندما يثب الفتى ... من فرشه لتلاوة القُرآن
وكذاك يضحك من قنوط عباده ... إذ أجدبوا والغيث منهم دان
وزعمت أن اللّه يرضى عن أولي الـ ... حسنى ويغضب من أولي العصيان
وزعمت أن اللّه يسمع صوته ... يوم المعاد بعيدهم والدّاني
لمّا يناديهم أنا الديان لا ... ظُلْمٌ لديّ فيسمع الثقلان
وزعمت أن اللّه يشرق نوره ... في الأرض يوم الفصل والميزان
وزعمت أن اللّه يكشف ساقه ... فيخرّ ذاك الجمع للأذقان
وزعمت أن اللّه يبسط كفه ... لمسيئنا ليتوب من عصيان
وزعمت أن يمينه تطوي السما ... طي السجل على كتاب بيان
وزعمت أن اللّه ينزل في الدجى ... في ثلث ليل آخر أو ثان
فيقول هل من سائل فأجيبه ... فأنا القريب أجيب من ناداني[4]
وزعمت أن له نزولاً ثانيًا ... يوم القيامة للقضاء الثاني

---

(١) أي نقصت.
(٢) أي جميعًا.
(٣) العاني هو الأسير والخاضع.
(٤) يشير إلى حديث النزول الذي أخرجه البخاري في صحيحه بالأرقام (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤) ومسلم في صحيحه برقم (٧٥٨) ومالك في الموطأ (١/ ٢١٤) وأبو داود في سننه برقم (١٣١٥) والترمذي في سننه برقم (٣٤٩٨) وابن ماجه في سننه برقم (١٣٦٦) والدارمي في سننه (١/ ٣٤٧) وأحمد في المسند (٢/ ٢٦٤، ٢٦٧، ٤٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟».

وزعمت أن اللّه يبدو جهرة ... لعباده حتى يُرى بعيان
بل يسمعون كلامه ويرونه ... فالمقلتان إليه ناظرتان[1]
وزعمت أن لربنا قدمًا وأن ... اللّه واضعها على النيران
فهناك يدنو بعضُها من بَعْضِها ... وتقول قط قط حاجتي وكفاني[2]
وزعمت أن الناس يوم مزيدهم ... كُلّ يحاضر ربّه ويداني
بالحاء مع ضاد وجامع صادها ... وجهان في ذا اللفظ محفوظان
في الترمذي ومسند وسواهما ... من كتب تجسيم بلا كتمان
ووصفته بصفات حيّ فاعل ... بالاختيار وذانك الأصلان
أصلا التفرق بين هذا الخلق في الـ ... باري فكن في النفي غير جبان
أو لا فلا تلعب بدينك ناقضًا ... نفيًا بإثبات بلا فرقان
فالناس بين معطل أو مثبت ... أو ثالث متناقض صنفان
واللّه لَسْتَ برابع لهم بلى ... إما حمارًا أو من الثيران
فاسمح بإنكار الجميع ولا تكن ... متناقضًا رجلاً له وجهان
أو لا ففرّق بين ما أثبتّه ... ونفيته بالنص والبرهان
فالباب باب واحد في النفي والـ ... إثبات في عقل وفي ميزان
فمتى أقر ببعض ذلك مثبت ... لزم الجميع أو ائت بالفرقان
ومتى نفى شيئًا وأثبت مثله ... فمجسم متناقض ديّاني
فذروا المراء وصرحوا بمذاهب الـ ... قدماء وانسلخوا من الإيمان
أو قاتلوا مع أمة التجسيم والتشـ ... ـبيه تحت لواء ذي القُرآن

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٨٥٠) ومسلم في صحيحه برقم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلىء، فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط، فهنالك تمتلىء، ويزوي بعضها إلى بعض».

أو لا فلا تتلاعبوا بعقولكم ... وكتابكم وبسائر الأديان
فجميعها قد صرحت بصفاته ... وكلامُهُ وعلوّه ببيان
والناس بين مصدق أو جاحد ... أو بين ذلك أو شبيه أتان
فاصنع من التنزيه تُرْسًا مُحْكَمًا ... وانف الجميع بصنعة وبيان
وكذاك لَقِّبْ مذهب الإثبات بالتـ ... ـجسيم ثم احمل على الأقران
فمتى سمحت لهم بوصف واحد ... حملوا عَلَيْك بحملة الفرسان
فصرعت صرعة من غدا متلبّطًا[1] ... وسط العرين[2] ممزق اللحمان
فلذاك أنكرنا الجميع مخافة التّـ ... ـجسيم إن صرنا إلى القُرآن
ولذا خلعنا ربقة الأديان من ... أعناقنا في سالف الأزمان
ولنا ملوك قاوموا الرسل الأُلى ... جاءوا بإثبات الصفات كماني
في آل فرعون وقارون ونمـ ... ـرود وهامان وجنكيزخان
ولنا الأئمة كالفلاسفة الألى ... لم يعبأوا أصلاً بذي الأديان
منهم أرسطو ثم شيعته إلى ... هذا الأوان وعند كُلّ أوان
ما فيهم من قال إن اللّه فو ... ق العرش خارج هذه الأكوان
كَلّا ولا قالوا بأن إلٰهنا ... متكلم بالوحي والقُرآن
ولأجل هذا رد فرعون على ... موسى ولم يقدر على الإيمان
إذ قال موسى ربنا متكلم ... فوق السماء وإنه ناداني
وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا ... أتباعه بل صانعوا بدهان
وكذلك الطوسي لمّا أن غدا ... ذا قدرة لم يخش من سلطان
قتل الخليفة والقضاة وحاملي الـ ... ـقرآن والفقهاء في البلدان
إذ هم مشبهة مجسمة وما ... دانوا بدين أكابر اليونان
ولنا الملاحدة الفحول أئمة التـ ... ـعطيل والتسكين آل سنان
ولنا تصانيف بها غالبتم ... مثل الشفا ورسائل الإخوان
وكذا الإشارات التي هي عندكم ... قد ضمّنت لقواطع البرهان

(١) أي متقلبًا.
(٢) وهو مأوى الأسد.

قد صرّحت بالضد مما جاء في التـ ـوراة والإنجيل والفرقان
هي عندكم مثل النّصوص وفوقها في حجة قطعيّة وبيان
وإذا تحاكمنا فإن إليهم يقع التحاكم لا إلى القُرآن
إذ قد تساعدنا بأن نصوصه لفظية عُزِلَت عن الإيقان
فلذاك حكمنا عليه وأنتم قول المعلم أولاً والثاني
يا ويح جهم وابن درهم والألى قالوا بقولهما من الخوران
بقيت من التشبيه فيه بقيّة نقضت قواعده من الأركان
بنفي الصفات مخافة التجسيم لا يلوي على خبر ولا قرآن
ويقول أن اللّه يسمع أو يرى وكذاك يعلم سر كُلّ جنان
ويقول أن اللّه قد شاء الذي هو كائن من هذه الأكوان
ويقول أن الفعل مقدور له والكون ينسبه إلى الحدثان
وبنفيه التجسيم يَصْرُخُ في الورى واللّه ما هذان متفقان
لكننا قلنا محال كُلّ ذا حذرًا من التجسيم والإمكان

فصل
في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن

وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا قد جئتكم من مطلع الإيمان
من أرض طيبة من مهاجر أحمد بالحق والبرهان والتبيان
سافرت في طلب الإلٰه فدلني الـ ـهادي عليه ومحكم القُرآن
مع فطرة الرّحمٰن جل جلاله وصريح عقل فاعتلي بنياني
فتوافق العقل الصريح وفطرة الرَّ حمٰن والمنقول في إيماني
شهدوا بأن اللّه جل جلاله متفرد بالملك والسّلطان
وهو الإلٰه الحق لا معبود إلا وجهه الأعلى العظيم الشان
بل كُلّ معبود سواه فباطل من عرشه حتى الحضيض الداني
وعبادة الرّحمٰن غاية حُبّه مع ذُلّ عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

فقيام دين اللّه بالإخلاص والـ إحسان إنهما له أصلان
لم ينج من غضب الإلٰه وناره إلّا الذي قامت به الأصلان
والناس بعد فمشرك بإلٰهه أو ذو ابتداع أو له الوصفان
واللّه لا يرضى بكثرة فعلنا لكن بأحسنه مع الإيمان
فالعارفون مرادهم إحسانه والجاهلون عموا عن الإحسان
وكذاك قد شهدوا بأن اللّه ذو سمع وذو بصر هما صفتان
وهو العلي يرى ويسمع خلقه من فوق عرش فوق ست ثمان
فيرى دبيب النمل في غسق الدجى ويرى كذاك تقلب الأجفان
وضجيج أصوات العباد بسمعه ولديه لا يتشابه الصوتان
وهو العليم بما يوسوس عبده في نفسه من غير نطق لسان
بل يستوي في علمه الداني مع الـ ـقاصي وذو الإسرار والإعلان
وهو العليم بما يكون غدًا وما قد كان والمعلوم في ذا الآن
وبكُلّ شيء لم يكن لو كان كيـ ـف يكون موجودًا لدى الأعيان
وهو القدير فكُلّ شيء فهو مقـ ـدور له طوعًا بلا عصيان
وعموم قدرته تدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان
هي خلقه حقًّا وأفعال لهم حقًّا ولا يتناقض الأمران
لكن أهل الجبر والتكذيب بالـ أقدار ما انفتحت لهم عينان
نظروا بعيني أَعْوَرٍ إذ فاتهم نظر البصير وغارث العينان
فحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرّحمٰن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضا الرباني
قال الإمام شفا القلوب بلفظه ذات اختصار وهي ذات بيان

فصل

وله الحياة كمالها فلأجل ذا ما للممات عليه من سلطان
وكذلك القيّوم من أوصافه ما للمنام لديه من غشيان
وكذاك أوصاف الكمال جميعها ثبتت له ومدارها الوصفان

فمصحح الأوصاف والأفعال والـ أسماء حقًّا ذانك الأصلان
ولأجل ذا جاء الحديث بأنه في آية الكرسي وذي عمران
اسم الإلٰه الأعظم اشتملا على اسـ ـم الحيّ والقيوم مقترنان[1]
فالكُلّ مرجعها إلى الاسمين يد ري ذاك ذو بصر بهذا الشان
وله الإرادة والكراهة والرضا وله المحبة وهو ذو الإحسان
وله الكمال المطلق العاري عن التـ ـشبيه والتمثيل بالإنسان
وكمال من أعطى الكمال لنفسه أولى وأقدم وهو أعظم شان
أيكون قد أعطى الكمال وما له ذاك الكمال أذاك ذو إمكان
أيكون إنسان سميعًا مبصرًا متكلمًا بمشيئة وبيان
وله الحياة وقدرة وإرادة والعلم بالكلي والأعيان
واللّه قد أعطاه ذاك وليس هـ ـذا وصفه فاعجب من البهتان
بخلاف نوم العبد ثم جِماعِهِ والأكل منه وحاجة الأبدان
إذ تلك ملزومات كون العبد محـ ـتاجًا وتلك لوازم النقصان
وكذا لوازم كونه جسدًا نعم ولوازم الإحداث والإمكان
يتقدس الرحمٰن جل جلاله عنها وعن أعضاء ذي جثمان
واللّهُ ربي لم يزل متكلمًا وكلامُهُ المسموع بالآذان
صدقًا وعدلاً أحكمت كلماته طلبًا وإخبارًا بلا نقصان
ورسوله قد عاذ بالكلمات من لدغ ومن عين ومن شيطان
أيعوذُ بالمخلوق حاشاه من الـ إشراك وهو معلّم الإيمان
بل عاذ بالكلمات وهي صفاته سبحانه ليست من الأكوان
وكذلك القُرآن عين كلامه الـ ـمَسْموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كلَّه لا بعضه لفظًا ومعنىً ما هما خَلْقان

(١) يشير إلى ما أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٣٨٥٦) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٦) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٦٣) من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث: في البقرة، وآل عمران، وطه».
والحديث صححه العلامة الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة برقم (٧٤٦).

تنزيل رب العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا رَوَغان
لكنّ أصوات العباد وفعلهم ... كمدادهم[١] والرّقّ[٢] مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلا ... م كلام رب العرش ذي الإحسان
هذا إذا ما كان ثَمّ وَسَاطةٌ ... كقراءة المخلوق للقرآن
فإذا انتفت تلك الوساطة مثلما ... قد كلم المولود من عمران
فهنالك المخلوق نفس السمع لا ... شيء من المسموع فافهم ذان
هذي مقالة أحمد ومحمد ... وخصومهم من بعد طائفتان
إحداهما زعمت بأن كلامه ... خلق له ألفاظه ومعاني
والآخرون أبوا وقالوا شطره ... خلق وشطر قام بالرّحمن
زعموا القُران عبارة وحكاية ... قلنا كما زعموه قرآنان
هذا الذي نتلوه مخلوق كما ... قال الوليد وبعده الفئتان
والآخر المعنى القديم فقائم ... بالنفس لم يُسْمَع من الديان
والأمر عين النهي واستفهامه ... هو عين إخبار وذا وحداني
وهو الزبور وعين توراة وإنـ ... ـجيل وعين الذكر والفرقان
الكُلّ معنًى واحد في نفسه ... لا يقبل التّبعيض في الأذهان
ما إن له كُلّ ولا بعض ولا لفظ ... ولا حرف ولا عربي ولا عبراني
ودليلهم في ذاك بيت قاله ... فما يقال الأخطل النصراني
يا قوم قد غلط النصارى قبل في ... معنى الكلام وما اهتدوا لبيان
ولأجل ذا ظنّوا المسيح إلٰههم ... إذ قيل كِلْمَةُ خالقٍ رحمٰن
ولأجل ذا جعلوه ناسوتًا ولا ... هوتًا قديمًا بَعْدُ متّحدان
ونظير هذا من يقول كلامه ... معنىً قديم غير ذي حدثان
والشطر مخلوق وتلك حروفه ... ناسوتُهُ لكن هما غيران
فانْظُرْ إلى ذا الاتفاق فإنه ... عَجَبٌ وطالع سنة الرّحمٰن
وتكايست أخرى وقالت إن ذا ... قول مُحالٌ وهو خمس معان

(١) وهو الحبر الذي يكتب فيه.
(٢) وهو جلد رقيق يكتب عليه.

تلك التي ذُكِرَت ومعنى جامع لجميعها كالأسّ للبنيان
فيكون أنواعًا وعند نظيرهم أوصافه وهما فمتفقان
أن الذي جاء الرّسول به فَمَخْ لوق ولم يُسْمَع من الديان
والخلف بينهم فقيل محمد أَنْشاه تعبيرًا عن القُرآن
والآخرون أبوا وقالوا إنما جبريل أنشاه عن المنان
وتكايست أخرى وقالت إنه نقل من اللوح الرفيع الشان
فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد أنشاه خلقًا فيه ذا حدثان
هذي مقالات لهم فانْظُرْ ترى في كتبهم يا من له عينان
لكنّ أهل الحق قالوا إنما جبريل بلّغه عن الرّحمٰن
ألقاه مسموعًا له من ربِّه للصادق المصدوق بالبرهان

فصل

في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القُرآن

وإذا أردت مجامع الطرق التي فيها افتراق الناس في القُرآن
فمدارها أصلان قام عليهما هذا الخلاف هما له ركنان
هل قوله بمشيئة أم لا وهل في ذاته أم خارج هذان
أصلا اختلاف جميع أهل الأرض في الـ قُرآن فاطلب مقتضى البرهان
ثم الألى قالوا بغير مشيئة وإرادة منه فطائفتان
إحداهما جعلته معنى قائمًا بالنفس أو قالوا بخمس معان
واللّه أحدث هذه الألفاظ كي تُبْديه معقولاً إلى الأذهان
ولذاك قالوا إنها ليست هي الـ قرآن بل دلّت على القُرآن
ولربما سُمّي بها القُرآن تسـ ـمية المجاز وذاك وضع ثان
ولذلك اختلفوا فقيل حكاية عنه وقيل عبارة لبيان
إذ كان ما يحكى كمحكي وهـ ذا اللفظ والمعنى فمختلفان
ولذا يقال حكى الحديث بعينه إذ كان أوله نظير الثاني
فلذاك قالوا لا نقول حكاية ونقول ذاك عبارة الفرقان
والآخرون يرون هذا البحث لفـ ظيًّا وما فيه كبير معان

فصل
في مذهب الاقترانية

والفرقة الأخرى فقالت إنه ... لفظ ومعنى ليس ينفصلان
واللفظ كالمعنى قديم قائم ... بالنفس ليس بقابل الحدثان
فالسين عند الباء لا مسبوقة ... لكن هما حرفان مقترنان
والقائلون بذا يقولوا إنما ... ترتيبها في السمع بالآذان
ولها اقتران ثابت لذواتها ... فأعجب لذا التخليط والهذيان
لكن زاغونيّهم قد قال إنّ ... ذواتها ووجودها غَيْران
فترتبت بوجودها لا ذاتها ... يا للعقول وزيغة الأذهان
ليس الوجود سوى حقيقتها لذي الـ ... أذهان بل في هذه الأعيان
لكن إذا أخذ الحقيقة خارجًا ... ووجودها ذهنًا فمختلفان
والعكس أيضًا مثل ذا فإذا هما اتّـ ... ـحدا اعتبارًا لم يكن شيئًان
وبذا تزول جميع إشكالاتهم ... في ذاته ووجوده الرّحمٰن

فصل
في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة

والقائلون بأنه بمشيئة ... وإرادة أيضًا فهم صنفان
إحداهما جعلته خارج ذاته ... كمشيئة للخلق والأكوان
قالوا وصار كلامه بإضافة التّـ ... ـشريف مثل البيت ذي الأركان
ما قال عندهم ولا هو قائل ... والقول لم يسمع من الديان
فالقول مفعول لديهم قائم ... بالغَيْر كالأعراض والأكوان
هذي مقالة كُلّ جهمي وهم ... فيها الشيوخ معلمو الصبيان
لكنّ أهل الاعتزال قديمهم ... لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني
وهم الأُلى اعتزلوا عن الحسن الرضا الـ ... ـبصري ذاك العالم الرباني
وكذاك أتباع على منهاجهم ... من قبل جهم صاحب الحدثان
لكنّما متأخروهم بعد ذ ... لك وافقوا جهمًا على الكفران

فـهـم بـذا جـهـمـيـة أهـل اعـتـزا ل ثـوبـهـم أَضْـحـى لـه عـلمـان
ولـقـد تـقـلد كـفـرهـم خـمـسـون في عـشـر مـن الـعـلمـاء فـي الـبـلدان
والـلالـكـائـي الإمـام حـكـاه عـنـ ـهـم بـل حـكـاه قـبـلـه الـطـبـرانـي

فصل
في مذهب الكرامية

والـقـائـلون بـأنـه بـمـشـيـئـة فـي ذاتـه أيـضًـا فـهـم نـوعـان
إحـداهـمـا جـعـلتـه مـبـدوءًا بـه نـوعًـا حـذار تـسـلسـل الأعـيـان
فـيـسـد ذاك عـلـيـهـم فـي زعـمـهـم إثـبـات خـالـق هـذه الأكـوان
فـلذاك قـالـوا إنـه ذو أوّل مـا لـلفـنـاء عـلـيـه مـن سـلطـان
وكـلامُـهُ كـفـعـالـه وكـلاهـمـا ذو مـبـدأ بـل لـيـس يـنـتـهـيـان
قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا وأتـوا بـتـشـنـيـع بـلا بـرهـان
قـلنـا كـمـا قـالـوه فـي أفـعـالـه بـل بـيـنـنـا بـون مـن الـفـرقـان
بل نحن أسعد منهم بالحق إذ قـلنـا هـمـا بـاللّه قـائـمـتـان
وَهُـمُ فـقـالـوا لـم يـقـم بـاللّه لا فـعـل ولا قـول فـتـعـطـيـلان
لـفـعـالـه ومـقـالـه شـرّ وأبـ ـطـل مـن حـلول حـوادث بـبـيـان
تـعـطـيـله عـن فـعـله وكـلامُـهُ شـر مـن الـتـشـنـيـع بـالـهـذيـان
هـذي مـقـالات ابـن كـرّام ومـا ردُّوا عـلـيـه قـط بـالـبـرهـان
أنّـى ومـا قـد قـال أقـرب مـنـهـم لـلـعـقـل والآثـار والـقُـرآن
لـكـنّـهـم جـاءوا لـه بـجـعـاجـع وفـراقـع وقـعـاقـع بـشـنـان

فصل
في ذكر مذهب أهل الحديث

والآخـرون أولـو الـحـديـث كـأحـمـد ومـحـمـد وأئـمـة الإيـمـان
قـالـوا بـأن الـلّه حـقًّـا لـم يـزل مـتـكـلمًـا بـمـشـيـئـة وبـيـان
إن الكلام هو الكمال فكيف يخـ ـلو عـنـه فـي أزل بـلا إمـكـان
ويـصـيـر فـيـمـا لـم يـزل مـتـكـلمًـا مـاذا اقـتـضـاه لـه مـن الإمـكـان

وتـعـاقـب الـكـلـمـات أمـر ثـابـت ... لـلـذات مـثـل تـعـاقـب الأزمـان
والـلّه رب الـعـرش قـال حـقـيـقـة ... «حـم» مـع «طـه» بـغـيـر قـران
بـل أحـرف مـتـرتـبـات مـثْـلَمـا ... قـد رُتّـبـت فـي مـسـمـع الإنـسـان
وَقْـتـان فـي وقـت مـحـال هـكـذا ... حـرفـان أيـضًـا يـوجـدا فـي آن
مـن واحـد مـتـكـلـم بـل يـوجـدا ... بـالـرسـم أو يـتـكـلـم الـرجـلان
هـذا هـو الـمـعـقـول أمـا الاقـتـرا ... ن فـلـيـس مـعـقـولاً لـذي الأذهـان
وكـذا كـلام مـن سـوى مـتـكـلـم ... أيـضًـا مـحـال لـيـس فـي إمـكـان
إلّا لـمـن قـام الـكـلام بـه فـذا ... ك كـلامـه الـمـعـقـول لـلإنـسـان
أيـكـون حـيًّـا سـامـعًـا أو مُـبْـصـرًا ... مـن غـيـر مـا سـمـع وغـيـر عـيـان
والـسـمـع والإبـصـار قـام بـغـيـره ... هـذا الـمـحـال وواضـح الـبـهـتـان
وكـذا مـريـد والإرادة لـم تـكـن ... وصـفًـا لـه هـذا مـن الـهـذيـان
وكـذا قـديـر مـا لـه مـن قـدرة ... قـامـت بـه مـن واضـح الـبـطـلان
والـلّه جـل جـلالـه مـتـكـلـم ... بـالـنـقـل والـمـعـقـول والـبـرهـان
قـد أجـمـعـت رسـل الإلٰـه عـلـيـه لـم ... يـنـكـره مـن أتـبـاعـهـم رجـلان
فـكـلامـه حـقًّـا يـقـوم بـه وإلّا ... لـم يـكـن مـتـكـلـمًـا بـقـران
والـلّه قـال وقـائـل وكـذا يـقـو ... ل الـحـق لـيـس كـلامـه بـالـفـانـي
ويـكـلّـم الـثَّـقَـلَيْـن يـوم مـعـادهـم ... حـقًّـا فـيـسـمـع قـولـه الـثـقـلان
وكـذا يـكـلـم حـزبـه فـي جـنـة الـ ... ـحـيـوان بـالـتـسـلـيـم والـرضـوان
وكـذا يـكـلـم رسـلـه يـوم الـلقـا ... حـقًّـا فـيـسـألـهـم عـن الـتـبـيـان
ويـراجـع الـتـكـلـيـم جـل جـلالـه ... وقـت الـجـدال لـه مـن الإنـسـان
ويـكـلـم الـكـفـار في الـعـرصـات تـو ... بـيـخًـا وتـقـريـعًـا بـلا غـفـران
ويـكـلـم الـكـفـار أيـضًـا في الـجحـ ... ـيـم أن اخـسـأوا فـيـهـا بـكُـلّ هـوان
والـلّه قـد نـادى الـكـلـيـم وقـبـلـه ... سـمـع الـنّـدا فـي الـجـنـة الأبـوان
وأتـى الـنّـدا فـي تـسـع آيـات لـه ... وصـفـا فـراجـعـهـا مـن الـقُـرآن(١)

---

(١) وهي: قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢].
=

وكذا يكلم جبرئيل بأمره ... حتى ينفّذه بكُلّ مكان
واذكر حديثًا في صحيح محمد ... ذاك البخاري العظيم الشان
فيه نداء اللّه يوم معادنا ... بالصوت يبلغ قاصيا والداني[1]
هب أن هذا اللفظ ليس بثابت ... بل ذكره مع حذفه سيان
ورواه عندكم البخاري المجسّـ ... ـم بل رواه مجسّم فوقاني
أيصح في عقل وفي نقل ندا ... ء ليس مسموعًا لنا كأذان
أم أجمع العلماء والعقلاء من ... أهل اللسان وأهل كُلّ لسان
أن الندا الصوت الرفيع وضدّه ... فهو النّجاء كلاهما صوتان
واللّه موصوف بذاك حقيقة ... هذا الحديث ومحكم القُرآن
واذكر حديثًا لابن مسعود صر ... يحًا أنه ذو أحرف ببيان

= وقوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢].
وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء: ١٠].
وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢].
وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].
وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: ٤٦].
وقوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٤ ـ ١٠٥].
وقوله تعالى: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ [فصلت: ٤٧].
وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النازعات: ١٥ ـ ١٦].

(١) يشير إلى ما رواه عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة ـ أو قال: العباد ـ عراة غزلاً بُهْمًا» قال: قلنا: وما بُهْما؟ قال: «ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الديان، أنا الملك، . . .» الحديث.
علقه البخاري في صحيحه (١/ ١٧٣) كتاب العلم، ووصله في الأدب المفرد برقم (٩٧٠) وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في تعليقه على الأدب المفرد (ص٣٤٩).

للحرف منه في الجزا عشر من الـ ... حسنات ما فيهن من نقصان[1]
وانظر إلى السّور التي افتتحت بأحـ ... ـرفها ترى سرًّا عظيم الشان
لم يأت قط بسورة إلّا أتى ... في إثرها خبر عن القُرآن
إذ كان إخبارًا به عنها وفي ... هذا الشفاء لطالب الإيمان
ويدل أن كلامه هو نفسها ... لا غيرها والحق ذو تبيان
فانْظُرْ إلى مبدا الكتاب وبعدها الـ ... ـأعراف ثم كذا إلى لقمان
مع تلوها أيضًا ومع «حم» مع ... «يس» وافهم مقتضى القُرآن

فصل
في الزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام

واللّه عز وجل موص آمر ... ناه منيب مرسِل لبيان
ومخاطب ومحاسب ومنبّىء ... ومحدّث ومخبّر بالشان
ومكلم متكلم بل قائل ... ومحذّر ومبشّر بأمان
هاد يقول الحق مرشد خلقه ... بكلامه للحق والإيمان
فإذا انتفت صفة الكلام فكل ... هذا منتف متحقق البطلان
وإذا انتفت صفة الكلام كذلك الـ ... ـإرسال منفيّ بلا فرقان
فرسالة المبعوث تبليغ كلا ... م المرسل الداعي بلا نقصان
وحقيقة الإرسال نفس خطابه ... للمرسلين وإنّه نوعان
نوع بغير وساطة ككلامه ... موسى وجبريل القريب الداني
منه إليه من وراء حجابه ... إذ لا تراه هٰهنا العينان
والآخر التكليم منه بالوَسا ... طَةِ وهو أيضًا عنده ضربان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٩١٠) والحاكم في المستدرك (٨/ ٧٤١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».
والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٣٢٧).

وحي وإرسال إليه وذاك في الشـ ـورى أتى في أحسن التبيان

فصل
في إلزامهم التشبيه للرب بالجماد الناقص إذا انتفت صفة الكلام

وإذا انتفت صفة الكلام فضدّها خرس وذلك غاية النقصان
فلئن زعمتم أن ذلك في الذي هو قابل من أمة الحيوان
والربّ ليس بقابل صفة الكلا م فنفيها ما فيه من نقصان
فيقال سلب كلامه وقبوله صفة الكلام أتم للنقصان
إذ أخرس الإنسان أكمل حالة من ذا الجماد بأوضح البرهان
فجحدت أوصاف الكمال مخافة التـ ـجسيم والتشبيه بالإنسان
ووقعت في تشبيهه بالجامدا ت الناقصات وذا من الخذلان
اللّه أكبر هُتِّكت أستارُكُم حتى غدوتم ضُحْكة الصبيان

فصل
في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله هو عين كلام اللّه سبحانه

أوليس قد قام الدليل بأن أفـ ـعال العباد خليقة الرّحمٰن
من ألف وجه أو قريب الألف يحـ ـصيها الذي يُعْنٰى بهذا الشان
فيكون كُلّ كلام هذا الخلق عَيْـ ـنُ كلامه سبحانه ذي السّلطان
إذ كان منسوبًا إليه كلامه خلقًا كَبَيَتْ اللّه ذي الأركان
هذا ولازم قولكم قد قاله ذو الاتحاد مصرّحًا ببيان
حذر التناقض إذ تناقضتم ولـ ـكن طرده في غاية الكفران
فلئن زعمتم أن تخصيص القرا ن كبيته وكلاهما خلقان
فيقال ذا التخصيص لا ينفي العمو م كَرَبّ ذي الأكوان
ويقال رب العرش أيضًا هكذا تخصيصه لإضافة القُرآن

لا يمنع التعميم في الباقي وذا ... في غاية الإيضاح والتبيان

فصل
في التفريق بين الخلق والأمر

ولقد أتى الفرقان بين الخلق والـ ... أمر الصريح وذاك في الفرقان
وكلاهما عند المنازع واحدٌ ... والكُلّ خلق ما هنا شيئًان
والعطف عندهم كعطف الفرد من ... نوع عليه وذاك في القُرآن
فيقال هذا ذو امتناع ظاهر ... في آية التفريق ذو تبيان
فاللّه بعد الخلق أخبر أنها ... قد سخّرت بالأمر للجريان
وأبان عن تسخيرها سبحانه ... بالأمر بعد الخلق بالتبيان
والأمر إما مصدر أو كان مفـ ... ـعولاً هما في ذاك مستويان
مأموره هو قابل للأمر كالـ ... ـمصنوع قابل صنعة الرّحمن
فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور كالـ ... ـمخلوق ينفى لانتفا الحدثان
وانظر إلى نظم السياق تجد به ... سرًّا عجيبًا واضح البرهان
ذكر الخصوص وفعله متقدمًا ... والوصف والتعميم في ذا الثاني
فأتى بِنَوْعَيْ خلقه وبأمره ... فعلاً ووصفًا موجزًا ببيان
فتدبر القُرآن إن رمت الهدى ... فالعلم تحت تدبر القُرآن

فصل
في التفريق بين ما يضاف إلى الربّ تعالى من الأوصاف والأعيان

واللّه أخبر في الكتاب بأنه ... منه ومجرور بِمِنْ نوعان
عين ووصف قائم بالغير فالـ ... أعيان خلق الخالق الرّحمن
والوصف بالمجرور قام لأنه ... أولى به في عرف كُلّ لسان
ونظير ذا أيضًا سواء ما يضا ... ف إليه من صفة ومن أعيان
فإضافة الأوصاف ثابتة لمن ... قامت به كإرادة الرّحمن

وإضـافـة الأعـيـان ثـابـتـة لـه ... مـلكًـا وخَـلْقًـا مـا هـمـا سيّـان
فـانْـظُـرْ إلـى بـيـت الإلٰـه وعـلمـه ... لـمّـا أُضـيـفـا كـيـف يـفـتـرقـان
وكـلامُـهُ كـحـيـاتـه وكـعـلمـه ... فـي ذي الإضـافـة إذ هـمـا وصـفـان
لـكـنّ نـاقـتـه وبـيـت إلٰـهـنـا ... فـكـعـبـده أيـضًـا هـمـا ذاتـان
فـانْـظُرْ إلى الـجـهـمـي لـمـا فـاتـه الـ ... ـحـق الـمـبـيـن وواضـح الـبـرهـان
كـان الـجـمـيـع لـديـه بـابًـا واحـدًا ... والـصـبـح لاح لـمـن لـه عـيـنـان

فصل

وأتـى ابـن حـزم بـعـد ذاك فـقـال مـا ... لـلـنـاس قـرآن لا اثـنـان
بـل أربـع كُـلّ يـسـمـى بـالـقـرا ... ن وذاك قـول بـيّـن الـبـطـلان
هـذا الـذي يـتـلى وآخـر ثـابـت ... في الرسم يدعى المصحف العثماني
والـثـالـث الـمـحـفـوظ بـيـن صـدورنـا ... هـذي الـثـلاث خـلـيـقـة الـرّحـمٰـن
والـرابـع الـمـعـنـى الـقـديـم كـعـلمـه ... كُـلّ يـعـبّـر عـنـه بـالـقُـرآن
وأظـنـه قـد رام شـيـئًـا لـم يـجـد ... عـنـه عـبـارة نـاطـق بـبـيـان
أن الـمـعـيّـن ذو مـراتـب أربـع ... عُـقِـلَت فـلا تـخـفـى عـلى إنـسـان
فـي الـعـيـن ثـم الـذهـن ثـم الـلفـظ ... ثـم الـرسـم حـيـن تـخـطـه بـبـنـان
وعلى الجميع الاسم يطلق لكن الـ ... ـأولـى بـه الـمـوجـود فـي الأعـيـان
بـخـلاف قـول ابـن الـخـطـيـب فـإنـه ... قـد قـال إن الـوضـع لـلأذهـان
فـالـشـيء شـيء واحـد لا أربـع ... فـدهـى ابـن حـزم قـلّة الـفـرقـان
والـلّه أخـبـر أنـه سـبـحـانـه ... مـتـكـلم بـالـوحـي والـفـرقـان
وكـذاك أخـبـرنـا بـأن كـتـابـه ... بـصـدور أهـل الـعـلم والإيـمـان
وكـذاك أخـبـر أنـه الـمـكـتـوب فـي ... صـحـف مـطـهـرة مـن الـشـيـطـان
وكـذاك أخـبـر أنـه الـمـتـلو والـ ... ـمـقـروء عـنـد تـلاوة الإنـسـان
والـكُـلّ شـيء واحـد لا أنـه ... هـو أربـع وثـلاثـة واثـنـان
وتـلاوة الـقُـرآن أفـعـال لـنـا ... وكـذا الـكـتـابـة فـهـي خـط بـنـان
لـكـنّـمـا الـمـتـلو والـمـكـتـوب والـ ... ـمـحـفـوظ قـول الـواحـد الـمـنّـان

والعبد يقرؤه بصوت طيب وبضده فَهُما له صوتان
وكذاك يكتبه بخط جيد وبضده فَهُما له خطان
أصواتنا ومدادنا وأداتنا والرق ثم كتابة القُرآن
ولقد أتى بصوابه في نظمه من قال قول الحق غير جبان
إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيُهُ وحروفه ومدادنا والرق مخلوقان
فشفى وفرق بين متلو ومصـ ـنوع وذاك حقيقة العرفان
الكُلّ مخلوق وليس كلامه الـ ـمتلو مخلوقًا هما شيئًان
فعَلَيْك بالتفصيل والتمييز فالـ إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخَبّطا الـ أذهان والآراء كُلّ زمان
وتلاوة القُرآن في تعريفها باللام قد يُعْنى بها شيئًان
يُعْنى بها المتلو فهو كلامه هو غير مخلوق كذي الأكوان
ويراد أفعال العباد كصوتهم وأدائهم وكلاهما خلقان
هذا الذي نصت عليه أئمة الـ إسلام أهل العلم والعرفان
وهو الذي قصد البخاري الرضا لكن تقاصر قاصر الأذهان
عن فهمه كتقاصر الأفهام عن قول الإمام الأعظم الشيباني
في اللفظ لما أن نفى الضدين عنه واهتدى للنفي ذو عرفان
فاللفظ يصلح مصدرًا هو فعلنا كَتَلَفّظٍ بتلاوة القُرآن
وكذاك يصلح نفس ملفوظ به وهو القُران فذان محتملان
فلذاك أنكر أحمد الإطلاق في نفي وإثبات بلا فرقان

فصل
في مقالات الفلاسفة والقرامطة
في كلام الربّ جل جلاله

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعًا للمسلمين بإفك ذي بهتان
فرآه فيضًا فاض من عقل هو الـ ـفعال علة هذه الأكوان

حتى تلقّاه زكي فاضل ... حسن التخيل جيد التبيان
فأتى به للعالمين خطابةً ... ومواعظًا عريت عن البرهان
ما صرحت أخباره بالحق بل ... رمزت إليه إشارةً لِمَعان
وخطاب هذا الخلق والجمهور بالـ ... ـحق الصريح فغير ذي إمكان
لا يقبلون حقائق المعقول إلا ... في مثال الحسّ والأعيان
ومشارب العقلاء لا يردونها ... إلّا إذا وُضِعَت لهم بأوان
من جنس ما ألفت طباعهم من الـ ... ـمحسوس في ذا العالم الجثماني
فأَتَوْا بتشبيه وتمثيل وتجـ ... ـسيم وتخييل إلى الأذهان
ولذاك يحرم عندهم تأويله ... لكنّه حل لذي العرفان
فإذا تأولناه كان جناية ... منّا وخرق سياج ذا البستان
لكن حقيقة قولهم أن قد أتوا ... بالكذب عند مصالح الإنسان
والفيلسوف وذا الرّسول لديهم ... متفاوتان وما هما عدلان[1]
أما الرّسول ففيلسوف عوامهم ... والفيلسوف نبي ذي البرهان
والحق عندهم ففيما قاله ... أتباع صاحب منطق اليونان
ومضى على هذي المقالة أمة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان
منهم نصير الكفر في أصحابه ... الناصرين لملة الشيطان
فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء كُلّ موحد رباني
واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... أعداء رسل اللّه والقُرآن
صوفيّهم عَبْدُ الوجود المطلق الـ ... ـمعدوم عند العقل في الأعيان
أو ملحد بالاتحاد يدين لا التّـ ... ـوحيد منسلخ من الأديان
معبوده موطوءه فيه يرى ... وصف الجمال ومظهر الإحسان
اللّه أكبر كم على ذا المذهب الـ ... ـملعون بين الناس من شيخان
يبغون منهم دعوة ويقبلو ... ن أياديًا منهم رجا الغفران
ولو أنهم عرفوا حقيقة أمرهم ... رجموهم لا شك بالصّوّان

(١) أي مِثلان.

فابذر لهم إن كنت تبغي كشفهم ... وافرش لهم كفًّا من الأتبان
واظهر بمظهر قابل منهم ولا ... تظهر بمظهر صاحب النكران
وانظر إلى أنهار كُفْرٍ فُجّرت ... وَتَهُمُّ لولا السيف بالجريان

فصل
في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الربّ جل جلاله

وأتت طوائف الاتحاد بملة ... طمت على ما قال كُلّ لسان
قالوا كلام اللّه كُلّ كلام هـ ... ـذا الخلق من جن ومن إنسان
نظمًا ونثرًا زُورُهُ وصحيحه ... صدقًا وكذبًا واضح البطلان
فالسب والشتم القبيح وقذفهم ... للمحصنات وكُلّ نوع أغان
والنّوْح والتعزيم والسحر المبيـ ... ـن وسائر البهتان والهذيان
هو عين قول اللّه جل جلاله ... وكلامُهُ حقًّا بلا نكران
هذا الذي أدى إليه أصلهم ... وعليه قام مكسّح البنيان
إذ أصلُهُم أن الإلٰه حقيقة ... عين الوجود وعين ذي الأكوان
فكلامها وصفاتها هو قوله ... وصفاته ما هٰهنا غَيْران
وكذاك قالوا أنه الموصوف بالضـ ... ـدّين من قبح ومن إحسان
ولذاك قد وصفوه أيضًا بالكما ... ل وضده من سائر النقصان
هذي مقالات الطوائف كلها ... حُمِلت إليك رخيصة الأثمان
وأظن لو فتشت كتب الناس ما ... ألفيتها[1] أبدًا بذا التبيان
زُفّت إليك فإن يكن لك ناظر ... أبصرت ذات الحُسْن والإحسان
فاعطف على الجهمية المُغْل[2] الأُلى ... خرقوا سياج العقل والقُرآن
شرّد بهم من خلفهم واكْسِرْهُمُ ... بل ناد في ناديهم بأذان
أفسدتم المعقول والمنقول والـ ... ـمسموع من لغة بكُلّ لسان
أَيَصِحّ وَصْفُ الشيء بالمشتق لل ... ـمسلوب معناه لدى الأذهان

(١) أي وجدتها.
(٢) المُغْلِ أي المغول وهم التتار.

أَيصِحّ صبّار ولا صبر له ... ويصحّ شكّارٌ بلا شكران
ويصحّ علّام ولا علمٌ له ... ويصحّ غفار بلا غفران
ويقال هذا سامع أو مبصر ... والسمع والإبصار مفقودان
هذا محال في العقول وفي النقو ... ل وفي اللغات وغير ذي إمكان
فلئن زعمتم أنه متكلم ... لكن بقول قام بالإنسان
أو غيره فيقال هذا باطل ... وعَلَيْكم في ذاك محذوران
نفي اشتقاق اللفظ للموجود مع ... ناه به وثبوته للثاني
أعني الذي ما قام معناه به ... قلب الحقائق أقبح البهتان
ونظير ذا إخوان هذا مبصر ... وأخوه معدود من العميان
سمّيتم الأعمى بصيرًا إذ أخو ... ه مبصر وبعكسه في الثاني
فلئن زعمتم أن ذلك ثابت ... في فعله كالخلق للأكوان
والفعل ليس بقائم بإلٰهنا ... إذ لا يكون محل ذي حدثان
ويصحّ أن يُشْتَق منه خالق ... فكذلك المتكلم الوحداني
هو فاعل لكلامه وكتابه ... ليس الكلام له بوصف معان
ومخالف المعقول والمنقول والـ ... ـفطرات والمسموع للإنسان
من قال إن كلامه سبحانه ... وصفٌ قديم أحرفًا ومعاني
والسين عند الباء ليست بعدها ... لكن هما حرفان مقترنان
أو قال إن كلامه سبحانه ... معنى قديم قام بالرّحمٰن
ما إن له كُلّ ولا بعض ولا الـ ... ـعربي حقيقته ولا العبراني
والأمر عين النهي واستفهامه ... هو عين إخبار بلا فرقان
وكلامُهُ كحياته ما ذاك مقـ ... ـدورًا له بل لازم الرّحمٰن
هذا الذي قد خالف المعقول والـ ... ـمنقول والفطرات للإنسان
أما الذي قد قال إن كلامه ... ذو أحرف قد رُتّبت ببيان
وكلامُهُ بمشيئة وإرادة ... كالفعل منه كلاهما سيّان
فهو الذي قد قال قولاً يعلم الـ ... ـعقلاء صحته بلا نكران
فلأي شيء كان ما قد قلتم ... أولى وأقرب منه للبرهان

ولأي شـــيء دائـــمًـــا كَـــفّـــرْتُـــمُ أصـحـاب هـذا الـقـول بـالـعـدوان
فدعوا الدعاوي وابحثوا معنا بتحـ ـقـيـق وإنـصـاف بـلا عـدوان
وارفوا مذاهبكم وسدوا خرقها إن كـان ذاك الـرفـو فـي الإمـكـان
فاحكم هداك اللّه بينهم فقد أدلـوا الـيـك بـحـجـة وبـيـان
لا تنصرن سوى الحديث وأهله هـم عـسـكـر الـقُـرآن والإيـمـان
وتحيزن إليهِمُ لا غيرهم لـتـكـون مـنـصـورًا لـدى الـرّحـمٰـن
فتقول هذا القدر قد أعيا على أهـل الـكـلام وقـاده أصـلان
إحداهما هل فعل مفعوله أو غـيـره فـهـمـا لـهـم قـولان
والقائلون بأنه هو عينه فـرّوا مـن الأوصـاف بـالـحـدثـان
لكن حقيقة قولهم وصريحُهُ تـعـطـيـل خـالـق هـذه الأكـوان
عن فعله إذ فعله مفعوله لـكـنّـه مـا قـام بـالـرّحـمٰـن
فعلى الحقيقة ما له فعل إذ الـ ـمـفـعـول مُـنْـفَـصِـلٌ عـن الـديـان
والقائلون بأنه غير له مـتـنـازعـون وهـم فـطـائـفـتـان
إحداهما قالت قديم قائم بـالـذات وهـو كـقـدرة الـمـنـان
سموه تكوينًا قديمًا قاله أتـبـاع شـيـخ الـعـالـم الـنـعـمـانـي
وخصومهم لم ينصفوا في رده بـل كـابـروهـم مـا أَتَـوْا بـبـيـان
والآخرون لما رأوه أمرًا حادثًا بـالـذات قـام وإنـهـم نـوعـان
إحداهما جعلته مفتتحًا به حـذر الـتـسـلسـل لـيـس ذا إمـكـان
هذا الذي قالته كرّاميّة فـفـعـالـه وكـلامُـهُ سـيـان
والآخرون أولو الحديث كأحمد ذاك ابـن حـنـبـل الـرضـا الـشـيـبـانـي
قد قال إن اللّه حقًّا لم يزل مـتـكـلمًـا إن شـاء ذو إحـسـان
جعل الكلام صفات فعل قائم بـالـذات لـم يـفـقـد مـن الـرّحـمـن
وكذاك نصّ على دوام الفعل بالـ إحـسـان أيـضًـا فـي مـكـان ثـان
وكذا ابن عباس فراجع قوله لـمـا أجـاب مـسـائـل الـقُـرآن
وكذاك جعفر الإمام الصادق الـ ـمـقـبـول عـنـد الـخـلق ذو الـعـرفـان
قد قال لم يزل المهيمن مُحْسِنًا بـرًّا جـوادًا عـنـد كُـلّ أوان

وكـذا الإمـام الـدارمـي فـإنّـه قـد قـال مـا فـيـه هـدى الـحـيـران
قـال الـحـيـاة مـع الـفـعـال كـلاهـمـا مـتـلازمـان فـلـيـس يـفـتـرقـان
صَـدَق الإمـام فـكُـلّ حـي فـهـو فـعّـ ـال وذا فـي غـايـة الـتـبـيـان
إلّا إذا مـا كـان ثَـمّ مـوانـع مـن آفـة أو قـاسـر الـحـيـوان
والـربّ لـيـس لـفـعـله مـن مـانـع مـا شـاء كـان بـقـدرة الـديـان
ومـشـيـئـة الـرّحـمٰـن لازمـةٌ لـه وكـذاك قـدرة ربـنـا الـرّحـمٰـن
هـذا وقـد فـطـر الإلٰـه عـبـاده أن الـمـهـيـمـن دائـم الإحـسـان
أو لـسـت تـسـمـع قـول كُـلّ مـوحـد يـا دائـم الـمـعـروف والـسّـلـطـان
وقـديـم الاحـسـان الـكـثـيـر ودائـم الـ ـجـود الـعـظـيـم وصـاحـب الـغـفـران
مـن غـيـر إنـكـار عـلـيـهـم فـطـرة فُـطِـروا عـلـيـهـا لا تـواص ثـان
أو لـيـس فـعـل الـربّ تـابـع وصـفـه وكـمـالـه أفـذاك ذو حـدثـان
وكـمـالـه سـبـب الـفـعـال وخـلـقـه أفـعـالـهـم سـبـب الـكـمـال الـثـانـي
أو مـا فـعـال الـربّ عـيـن كـمـالـه أفـذاك مـمـتـنـع عـلـى الـمـنـان
أزلا إلـى أن صـار فـيـمـا لـم يـزل مـتـمـكـنًـا والـفـعـل ذو إمـكـان
تـاللّه قـد ضـلـت عـقـول الـقـوم إذ قـالـوا بـهـذا الـقـول ذي الـبـطـلان
مـاذا الـذي أَضْـحـى لـه مـتـجـددًا حـتـى تـمـكـن فـانـطـقـوا بـبـيـان
والـربّ لـيـس مـعـطّـلاً عـن فـعـله بـل كُـلّ يـوم ربـنـا فـي شـان
والأمـر والـتـكـويـن وصـف كـمـالـه مـا فَـقْـدُ ذا ووجـوده سـيّـان
وتـخـلـف الـتـأثـيـر بـعـد اتـمـام مـو جـبـه مـحـال لـيـس فـي الإمـكـان
واللّه ربـي لـم يـزل ذا قـدرة ومـشـيـئـة ويـلـيـهـمـا وصـفـان
الـعـلـم مـع وصـف الـحـيـاة وهـذه أوصـاف ذات الـخـالـق الـمـنـان
وبـهـا تـمـام الـفـعـل لـيـس بـدونـهـا فِـعْـلٌ يَـتِـمّ بـواضـح الـبـرهـان
فـلأي شـيء قـد تـأخـر فـعـله مـع مـوجـب قـد تـمّ بـالأركـان
مـا كـان مـمـتـنعًـا عـلـيـه الـفـعـل بـل مـا زال فـعـل الـلّـه ذا إمـكـان
واللّه عـاب الـمـشـركـيـن بـأنـهـم عـبـدوا الـحـجّـارة فـي رضـا الـشـيـطـان
ونـعـى عـلـيـهـم كـونـهـا لـيـسـت بـخـا لـقـة ولـيـسـت ذات نـطـق بـيـان

فأبان أن الفعل والتكليم من ... أوثانهم لا شك مفقودان
وإذا هما فقدوا فما مسلوبُها ... بإلٰه حق وهو ذو بطلان
واللّه فهو إلٰه الحق دائمًا ... أفعنه ذا الوصفان مسلوبان
أزلاً وليس لفقدها من غاية ... هذا المحال وأعظم البطلان
إن كان رب العرش حقًّا لم يزل ... أبدًا إلٰه الحق ذا سلطان
فكذاك أيضًا لم يزل متكلمًا ... بل فاعلاً ما شاء ذا إحسان
واللّه ما في العقل ما يقضي لذا ... بالرد والإبطال والنكران
بل ليس في المعقول غير ثبوته ... للخالق الأزليّ ذي الإحسان
هذا وما دون المهيمن حادث ... ليس القديم سواه في الأكوان
واللّه سابق كُلّ شيء غيره ... ما ربّنا والخلق مقْتَرنان
واللَّه كان وليس شيء غيرُهُ ... سبحانه جل العظيم الشان
لسنا نقول كما يقول الملحد الز ... نديق صاحب منطق اليونان
بدوام هذا العالم المشهود والـ ... أرواح في أزل وليس بفان
هذي مقالات الملاحدة الأُلى ... كفروا بخالق هذه الأكوان
وأتى ابن سينا بعد ذاك مصانعًا ... للمسلمين فقال بالإمكان
لكنّه الأزلي ليس بمحدث ... ما كان معدومًا ولا هو فان
وأتى بصلح بين طائفتين بيـ ... ـنهما الحروب وما هما سِلْمان
أنّى يكون المسلمون وشيعة الـ ... ـيونان صلحا قط في الإيمان؟
والسّيف بين الأنبياء وبينهم ... والحرب بينهم فحرب عوان
ولذا أتى الطوسي بالحرب الصريـ ... ـح بصارم منه وسلّ لسان
وأتى إلى الإسلام يهدم أصله ... من أسّه وقواعد البنيان
عَمَرَ المدارس للفلاسفة الأُلى ... كفروا بدين اللّه والقُرآن
وأتى إلى أوقاف أهل الدين ينـ ... ـقلها إليهم فعل ذي أضغان
وأراد تحويل الإشارت التي ... هي لابن سينا موضع الفرقان
وأراد تحويل الشريعة بالنّوا ... ميس التي كانت لدى اليونان
لكنّه عَلِمَ اللعين بأن ها ... ذا ليس في المقدور والإمكان

إلّا إذا قتل الخليفة والقضا ... ة وسائر الفقهاء في البلدان
فسعى لذاك وساعد المقدور بالـ ... أمر الذي هو حكمة الرّحمن
فأشار أن يضع التتار سيوفهم ... في عسكر الإيمان والقُرآن
لكنّهم يبقون أهل صنائع الد ... نيا لأجل مصالح الأبدان
فغدا على سيف التتار الألف في ... مِثْلٍ لها مضروبة بوزان
وكذا ثمان مئينها في أَلْفِها ... مضروبة بالعد والحسبان
حتى بكى الإسلام أعداه اليهو ... د كذا المجوس وعابدو الصلبان
فشفى اللعين النفس من حزب الرسو ... ل وعسكر الإيمان والقُرآن
وَبِوُدّه لو كان في أُحُدٍ وقد ... شهد الوقيعة مع أبي سفيان
لأقر أعينهم وأوفى نذره ... أو أن يرى متمزق اللحمان
وشواهد الأحداث ظاهرة على ... ذا العالم المخلوق بالبرهان
وأدلة التوحيد تشهد كلها ... بحدوث كُلِّ ما سوى الرّحمٰن
أو كان غير اللّه جل جلاله ... معه قديمًا كان ربًّا ثاني
أو كان عن رب العلى مستغنيًا ... فيكون حينئذ لنا ربان
والربّ باستقلاله متوحد ... أفممكن أن يستقل اثنان
لو كان ذاك تنافيًا وتساقطًا ... فإذا هما عدمان ممتنعان
والقهر والتوحيد يشهد منهما ... كُلّ لصاحبه هما عدلان
ولذلك اقترنا جميعًا في صفا ... ت اللّه فانْظُرْ ذاك في القُرآن
فالواحد القهار حقًّا ليس في الـ ... إمكان أن تحظى به ذاتان

فصل
في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الربّ تعالى وكلامُهُ والانفصال عنه

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل ... قلنا صدقتم وهو ذو إمكان
كتسلسل التأثير في مستقبل ... هل بين ذينك قط من فرقان
واللّه ما افترقا لذي عقل ولا ... نقل ولا نظر ولا برهان

في سلب إمكان ولا في ضده ... هذي العقول ونحن ذو أذهان
فليأت بالفرقان من هو فارق ... فرقًا يبين لصالح الأذهان
ولذاك سوّى الجَهْم بينهما كـ ... ـذا العلاف في الإنكار والبطلان
ولأجل ذا حكما بحكم باطل ... قطعًا على الجَنّاتُ والنّيران
فالجَهْم أفنى الذات والعلّاف لـ ... ـحركات أفنى قاله الثوران
وأبو عليٍّ وابنه والأشعري ... وبعده ابن الطيب الرباني
وجميع أرباب الكلام الباطل الـ ... ـمذموم عند أئمة الإيمان
فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل ... حق وفي أزل بلا إمكان
قالوا لأجل تناقض الأزلي والـ ... إحداث ما هذان يجتمعان
لكن دوام الفعل في مستقبل ... ما فيه محذور من النكران
فانْظُرْ إلى التلبيس في ذا الفرق تر ... ويجًا على العوران والعميان
ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو ... أزل لذي ذهن ولا أعيان
بل كُلّ فرد فهو مسبوق بفر ... د قبله أبدًا بلا حسبان
ونظير هذا كُلّ فرد فهو مل ... حوق بفرد بعده حكمان
للنّوع والآحاد مسبوق ومل ... حوق وكُلّ فهو منها فان
والنوع لا يفنى أخيرًا فهو لا ... يفنى كذلك أولًا ببيان
وتعاقب الآنات أمر ثابت ... في الذهن وهو كذاك في الأعيان
فإذا أَبَيْتُم ذا وقلتم أول الـ ... ـآنات مفتتح بلا نكران
ما كان ذاك الآن مسبوقًا يُرى ... إلّا بسلب وجوده الحقاني
فيقال ما تعنون بالآنات هل ... تعنون مدة هذه الأزمان
من حين إحداث السموات العلى ... والأرض والأفلاك والقمران
ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن ... من قبلها شيء من الأكوان
هل جاءكم في ذاك من أثر ومن ... نص ومن نظر ومن برهان
هذا الكتاب وهذه الآثار والـ ... ـمعقول في الفطرات والأذهان
إنا نحاكمكم إلى ما شئتُمُ ... منها فحكم الحق ذو تبيان
أوليس خلق الكون في الأيام كا ... ن وذاك مأخوذ من القُرآن

أوليس ذلكم الزمان بمدة ... لحدوث شيء وهو عين زمان
فحقيقة الأزمان نسبة حادث ... لسواه تلك حقيقة الأزمان
واذكر حديث السبق للتقدير والتّـ ... ـوقيت قبل جميع ذي الأعيان
خمسين ألفا من سنين عدها الـ ... ـمختار سابقة لذي الأكوان
هذا وعرش الربّ فوق الماء من ... قبل السنين بمدة وزمان[1]
والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذاني
والحق أن العرش قبل لأنه ... قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت ... ايجاده من غير فصل زمان
لمّا براه اللّه قال اكْتُبْ كذا ... فغدا بأمر اللّه ذا جريان
فجرى بما هو كائن أبدًا إلى ... يوم المعاد بقدرة الرّحمٰن[2]
أفكان رب العرش جل جلاله ... من قبل ذا عجز وذا نقصان
أم لم يزل ذا قدرة والفعل مقـ ... ـدور له أبدًا وذو إمكان
فلئن سألت وقلت ما هذا الذي ... أدّاهم لخلاف ذا التبيان
ولأي شيء لم يقولوا إنه ... سبحانه هو دائم الإحسان
فاعلم بأن القوم لما أسّسوا ... أصل الكلام عَمُوا عن القُرآن
وعن الحديث ومقتضى المعقول بل ... عن فطرة الرّحمٰن والبرهان
وبنوا قواعدهم عليه فقادهم ... قسرًا إلى التعطيل والبطلان
نفي القيام لكُلّ أمر حادث ... بالربّ خوف تسلسل الأعيان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٣) والترمذي في سننه برقم (٢١٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة» قال: «وعرشه على الماء».

(٢) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٧٠٠) والترمذي في سننه برقم (٢٢٥٨) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد». والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٩٣٣).

فيسد ذاك عليهِمُ في زعمهم إثبات صانع هذه الأكوان
إذ أثبتوه يكون ذي الأجساد حا دثة فلا تنفك عن حدثان
فإذا تسلسلت الحوادث لم يكن لحدوثها إذ ذاك من برهان
فلأجل ذا قالوا التسلسل باطل والجسم لا يخلو عن الحدثان
فيصح حينئذ حدوث الجسم من هذا الدليل بواضح البرهان
هذي نهايات لأقدام الورى في ذا المقام الضيق الأعطان
فمن الذي يأتي بفتح بيّن ينجي الورى من غمرة الحيران
فالله يجزيه الذي هو أهله من جنة المأوى مع الرضوان

فصل

فاسمع إذًا وافْهم فذاك معطل ومشبّهٌ وهداك ذو الغفران
هذا الدليل هو الذي أرداهم بل هَدّ كُلّ قواعد القُرآن
وهو الدليل الباطل المردود عند أئمة التحقيق والعرفان
ما زال أمر الناس معتدلاً إلى أَنْ دارَ في الأوراق والأذهان
وتمكنت أجزاؤه بقلوبهم فأتت لوازمه إلى الإيمان
رفعتْ قواعده ونَحَّتْ أُسّه فهوى البناء وخرّ للأركان
وجنوا على الإسلام كُلّ جناية إذ سلطوا الأعداء بالعدوان
حملوا بأسلحة المحال فخانهم ذاك السلاح فما اشتفوا بطعان
وأتى العدو إلى سلاحهم فَقَا تَلَهُم به في غيبة الفرسان
يا محنة الإسلام والقُرآن من جهل الصديق وبغي ذي طغيان
والله لولا الله ناصر دينه وكتابه بالحق والبرهان
لتخطّفت أعداؤه أرواحنا ولَقُطِّعت منّا عرى الإيمان
أيكون حقًّا ذا الدليل وما اهتدى خير القرون له محال ذان
وفِّقْتُم للحق إذ حرموه في أصل اليقين ومقعد العرفان
وهديتمونا للذي لم يهتدوا أبدًا به واشِدّة الحرمان
ودخلتم للحق من باب وما دخلوه واعجبًا لذا الخذلان

وسلكتم طرق الهدى والعلم دو ... ن القوم واعجبًا لذا البهتان
وعرفتم الرّحمٰن بالأجسام والـ ... أعراض والحركات والألوان
وهم فما عرفوه منها بل من الـ ... آيات وهْيَ فغيرُ ذي برهان
اللّه أكبر أنتم أو هُمْ على ... حق وفي غيّ وفي خسران
دع ذا أليس اللَّه قد أبدى لنا ... حق الأدلة وهي في القُرآن
متنوعات صُرّفت وتظاهرت ... من كُلّ وجه فهي ذو أفنان
معلومة للعقل أو مشهودة ... للحسّ أو في فطرة الرّحمٰن
أسمعتم لدليلكم في بعضها ... خَبَرًا أو أحسستم له ببيان
أيكون أصل الدين ما تم الهدى ... إلّا به وبه قوى الإيمان
وسواه ليس بموجب من لم يحط ... علمًا به لم ينج من كفران
واللّه ثم رسوله قد بيّنا ... طرق الهدى في غاية التبيان
فلأي شيء أعرضا عنه ولم ... نسمعه في أثر ولا قرآن
لكن أتانا بَعْدَ خير قرونا ... وظهور أحداث من الشيطان
وعلى لسان الجَهْم جاء وحزبه ... من كُلّ صاحب بدعة حيران
ولذلك اشتد النكير عليهم ... من سائر العلماء في البلدان
صاحوا بهم من كُلّ قطر بل رموا ... في إثرهم بثواقب الشهبان
عرفوا الذي يفضي إليه قولهم ... ودليلهم بحقيقة العرفان
وأخو الجهالة في خفارة جهله ... والجهل قد ينجي من الكفران

فصل

في الرد على الجهمية المُعَطّلة القائلين بأنه ليس على العرش إلـه يعبد، ولا فوق السموات إلـه يصلى له ويسجد، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة

واللّه كان وليس شيء غيره ... ويرى البرية وهي ذو حدثان
فسل المُعَطّل هل يراها خارجًا ... عن ذاته أم فيه حلت ذان
لا بد من إحداهما أو أنها ... هي عينه ما ثم موجودان

ما ثم مخلوق وخالقه وما شيء مغايرُ هذه الأكوان
لا بد من إحدى ثلاث ما لها من رابع خلّوا من الروغان
ولذاك قال محقق القوم الذي رفع القواعد مدعي العرفان
هو عين هذا الكون ليس بغيره أنّى وليس مباين الأكوان
كَلّا وليس مجانبا أيضًا لها فهو الوجود بعينه وعيان
إن لم يكن فوق الخلائق ربها فالقول هذا القول في الميزان
إذ ليس يعقل بعد إلّا أنه قد حل فيها وهي كالأبدان
والروح ذات الحق جل جلاله حلت بها كمقالة النصراني
فاحكم على من قال ليس بخارج عنها ولا فيها بحكم بيان
بخلافه الوحيين والإجماع والـ ـعقل الصريح وفطرة الرّحمن
فعليه أوقع حدّ معدوم وذا حد المحال بغير ما فرقان
يا للعقول إذا نفيتم مخبرًا ونقيضه هل ذاك في إمكان
إن كان نفي دخوله وخروجه لا يصدقان معًا لدى الإمكان
إلّا على عدم صريح نفيه متحقق ببداهة الإنسان
أيصح في المعقول يا أهل النهي ذاتان لا بالغير قائمتان
ليست تباين منهما ذاتٌ لأخـ ـرى أو تحايثها فتجتمعان
إن كان في الدنيا محال فهو ذا فارجع إلى المعقول والبرهان
فلئن زعمتم أن ذلك في الذي هو قابل من جسم أو جسمان
والربّ ليس كذا فنفي دخوله وخروجه ما فيه من بطلان
فيقال هذا أولًا من قولكم دعوى مجردة بلا برهان
ذاك اصطلاح من فريق فارقوا الـ ـوحي المبين لحكمة اليونان
والشيء يصدق نفيه عن قابل وسواه في معهود كُلّ لسان
أنسيت نفي الظلم عنه وقولك الـ ـظلم المحال وليس ذا إمكان
ونسيت نفي النوم والسِّنَةِ التي ليست لرب العرش في الإمكان
ونسيت نفي الطعم عنه وليس ذا مقبولة والنفي في القُرآن
ونسيت نفي ولادة أو زوجة وهما على الرّحمٰن ممتنعان

والـلّه قـد وصـف الـجـمـاد بـأنـه ... مـيـت أصـم ومـا لـه عـيـنـان
وكـذا نـفـى عـنـه الـشـعـور ونـطـقـه ... والـخـلق نـفـيًـا واضـح الـتـبـيـان
هـذا ولـيـس بـهـا قـبـول لـلذي ... يُـنْـفـى ولا مـن جـمـلة الـحـيـوان
ويـقـال أيـضًـا ثـانـيًـا لـو صـح هـ ... ـذا الـشـرط كـان لـمـا هـمـا ضـدان
لا في الـنـقـيـضـيـن الـلـذيـن كـلاهـمـا ... لا يـثـبـتـان ولـيـس يـرتـفـعـان
ويـقـال أيـضًـا نـفـيـكـم لـقـبـولـه ... لـهـمـا يـزيـل حـقـيـقـة الإمـكـان
بـل ذا كـنـفـي قـيـامـه بـالـنـفـس أو ... بـالـغـيـر فـي الـفـطـرات والأذهـان
فـإذا الـمُـعَـطّـل قـال إن قـيـامـه ... بـالـنـفـس أو بـالـغـيـر ذو بـطـلان
إذ لـيـس يـقـبـل واحـدًا مـن ذيـنـك الـ ... ـأمـريـن إلّا وهـو ذو إمـكـان
جـسـم يـقـوم بـنـفـسـه أيـضًـا كـذا ... عـرض يـقـوم بـغـيـره أخـوان
فـي حـكـم إمـكـان ولـيـس بـواجـب ... مـا كـان فـيـه حـقـيـقـة الإمـكـان
فـكـلاكـمـا يـنـفـي الإلٰـه حـقـيـقـة ... وكـلاكـمـا فـي نـفـيـه سـيّـان
مـاذا يـرد عـلـيـه مـن هـو مـثـله ... فـي الـنـفـي صـرفًـا إذ هـمـا عـدلان
والـفـرق لـيـس بـمـمـكـن لـك بـعـدمـا ... ضـاهـيـت هـذا الـنـفـي فـي الـبـطـلان
فـوزان هـذا الـنـفـي مـا قـد قـلـتـه ... حـرفًـا بـحـرف أنـتـمـا صـنـوان[1]
والـخـصـم يـزعـم أن مـا هـو قـابـل ... لـكـلـيـهـمـا فـكـقـابـلٍ لـمـكـان
فـافـرق لـنـا فـرقًـا يـبـيـن مـواقـع الـ ... ـإثـبـات والـتـعـطـيـل بـالـبـرهـان
أو لا فـأعـط الـقـوس بـاريـهـا وخـلّ ... الـفـشـر عـنـك وكـثـرة الـهـذيـان

فصل
في سياق هذا الدليل على وجه آخر

وسل الـمُـعَـطّـل عـن مسائل خـمسة ... تـردي قـواعـده مـن الأركـان
قـل لـلمـعـطـل هـل تـقـول إلٰـهـنـا الـ ... ـمـعـبـود حـقًّـا خـارج الأذهـان
فـإذا نـفـى هـذا فـذاك مـعـطـل ... لـلـرب حـقًّـا بـالـغ الـكـفـران
وإذا أقـر بـه فـسـلـه ثـانـيًـا ... أتـراه غـيـر جـمـيـع ذي الأكـوان

(١) أي مِثلان.

فـإذا نـفـى هـذا وقـال بـأنـه ... هـو عـيـنـهـا مـا هٰـهـنـا غـيـران
فـقـد ارتـدى بـالاتـحـاد مـصـرِّحًـا ... بـالـكـفـر جـاحـد ربِّـه الـرّحـمٰـن
حـاشـا الـنـصـارى أن يـكـونـوا مـثـله ... وهـم الـحـمـيـر وعـابـدو الـصـلـبـان
هـم خـصّـصـوه بـالـمـسـيـح وأمـه ... وأولاء مـا صـانـوه عـن حـيـوان
فـإذا أقـر بـأنـه غـيـر الـورى ... عـبـد ومـعـبـود هـمـا شـيـئـان
فـاسـألـه هـل هـذا الـورى فـي ذاتـه ... أم ذاتـه فـيـه هـنـا أمـران
فـإذا أقـر بـواحـد مـن ذيـنـك الـ ... أمـريـن قـبّـل خـده الـنـصـرانـي
ويـقـول أهـلاً بـالـذي هـو مـثـلـنـا ... خـشـداشـنـا وحـبـيـبـنـا الـحـقـانـي
وإذا نـفـى الأمـريـن فـاسـألـه إذًا ... هـل ذاتـه اسـتـغـنـت عـن الأكـوان
فـلـذاك قـام بـنـفـسـه أم قـام بـالـ ... أعـيـان كـالأعـراض والألـوان
فـإذا أقـر وقـال بـل هـو قـائـم ... بـالـنـفـس فـاسـألـه وقـل ذاتـان
بـالـنـفـس قـائـمـتـان أخـبـرنـي هـمـا ... مـثـلان أو ضـدان أو غـيـران
وعـلـى الـتـقـاديـر الـثـلاث فـإنـه ... لـولا الـتـبـايـن لـم يـكـن شـيـئـان
ضـديـن أو مـثـلـيـن أو غـيـريـن كـا ... نـا بـل هـمـا لا شـك مـتـحـدان
فـلـذاك قـلـنـا إنـكـم بـاب لـمـن ... بـالاتـحـاد يـقـول بـل بـابـان
نَـقّـطْـتُـمُ لـهـم وهـم خـطُّـو عـلـى ... نـقـط لـكـم كـمـعـلـم الـصـبـيـان

فصل
في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة
على أن اللّه تعالى فوق سمٰواته على عرشه

ولـقـد أتـانـا عـشـر أنـواع مـن الـ ... ـمـنـقـول فـي فـوقـيـة الـرّحـمٰـن
مـع مـثـلـهـا أيـضًـا تـزيـد بـواحـد ... هـا نـحـن نـسـردهـا بـلا كـتـمـان
منـهـا استـواء الـربّ فـوق الـعـرش في ... سـبـع أتـت فـي مـحـكـم الـقُـرآن[1]

(١) وهي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]. =

ولـذلـك اطّـردت بـلا لام ولـو ... كـانـت بـمـعـنـى الـلام فـي الأذهـان
لأتت بها في موضع كي يُحمل الـ ... ـبـاقـي عـلـيـهـا بـالـبـيـان الـثـانـي
ونـظـيـر ذا إضـمـارهـم فـي مـوضـع ... حـمـلًا عـلى الـمـذكـور فـي الـتـبـيـان
لا يـضـمـرون مـع اطّـراد دون ذكـ ... ـر الـمـضـمـر الـمـحـذوف دون بـيـان
بـل فـي مـحـل الـحـذف يـكـثـر ذكـره ... فـإذا هـم ألـفـوه إلـف لـسـان
حـذفـوه تـخـفـيـفًـا وإيـجـازًا فـلا ... يـخـفـى الـمـراد بـه عـلى الإنـسـان
هـذا ومـن عـشـريـن وجـهًـا يـبـطـل الـتـ ... ـفـسـيـر بـ«اسـتـولـى» لـذي عـرفـان
قـد أفـردت بـمـصـنـف لإمـام هـ ... ـذا الـشـان بـحـر الـعـالـم الـحـرانـي

فصل

هـذا وثـانـيـهـا صـريـح عـلـوه ... ولـه بـحـكـم صـريـحـه لـفـظـان
لـفـظ الـعـلى ولـفـظـة الأعـلى مـعـر ... فـة أتـت فـيـه لـقـصـد بـيـان[1]
أن الـعـلـو لـه بـمـطـلـقـه عـلى الـتـ ... ـعـمـيـم والإطـلاق بـالـبـرهـان
ولـه الـعـلـو مـن الـوجـوه جـمـيـعـهـا ... ذاتًـا وقـهـرًا مـع عـلـو الـشـان
لـكـن نـفـاة عـلـوه سـلـبـوه إكـ ... ـمـال الـعـلـو فـصـار ذا نـقـصـان

= وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].
وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢].
وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥].
وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: ٥٩].
وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة: ٤].
وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١] وغير ذلك من الآيات.

حاشاه من إفك النفاة وسلبهم ... فله الكمال المطلق الرباني
وعلوه فوق الخليقة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان
لا يستطيع معطل تبديلها ... أبدًا وذلك سنة الرّحمٰن
كُلّ إذا ما نابه أمر يُرى ... متوجهًا بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه ... وأمامه أو جانب الإنسان
ونهاية الشبهات تشكيك وتخـ ... ـميش وتغبير على الإيمان
لا يستطيع تعارض المعلوم والـ ... ـمعقول عند بدائه الإنسان
فمن المحال القدح في المعلوم بالشـ ... ـبهات هذا بين البطلان
وإذا البدائة قابلتها هذه الشـ ... ـبهات لم تحتج إلى بطلان
شتان بين مقالة أوصى بها ... بعض لبعض أوّلًا للثاني
ومقالة فطر الإلٰه عباده ... حقًّا عليها ما هما عدلان

فصل

هذا وثالثها صريح الفوق مصـ ... ـحوبًا بـ «من» وبدونها نوعان
احداهما هو قابل التأويل والـ ... أصل الحقيقة وحدها ببيان
فإذا ادعى تأويل ذلك مدع ... لم تقبل الدعوى بلا برهان
لكنّما المجرور ليس بقابل التـ ... ـأويل في لغة وعرف لسان
وأصِخْ[1] لفائدة جليل قدرها ... تهديك للتحقيق والعرفان
إن الكلام إذا أتى بسياقة ... يبدي المراد لمن له أذنان
أَضْحى كنص قاطع لا يقبل التـ ... ـأويل يعرف ذا أولو الأذهان
فسياقة الألفاظ مثل شواهد الـ ... أحوال إنهما لنا صنوان
إحداهما للعين مشهود بها ... لكن ذاك لمسمع الإنسان
فإذا أتى التأويل بعد سياقة ... تبدي المراد أتى على استهجان
وإذا اتى الكتمان بعد شواهد الـ ... أحوال كان كأقبح الكتمان
فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي ... سيقت له إن كنت ذا عرفان
والفوق وصف ثابت بالذات من ... كُلّ الوجوه لفاطر الأكوان

(١) أي استمع وأنصت.

لكن نفاة الفوق ما وفّوا به ... جحدوا كمال الفوق للديان
بل فسروه بأن قدر اللّه أعـ ... لى لا بفوق الذات للرحمن
قالوا وهذا مثل قول الناس في ... ذهب يُرى من خالص العقيان[1]
هو فوق جنس الفضة البيضاء لا ... بالذات بل في مقتضى الأثمان
والفوق أنواع ثلاث كلها ... للّه ثابتة بلا نكران
هذا الذي قالوا وفوق القهر والـ ... ـفوقية العليا على الأكوان

فصل

هذا ورابعها عروج الروح والـ ... أملاك صاعدة إلى الرّحمن
ولقد أتى في سورتين كلاهما اشـ ... ـتملا على التقدير بالأزمان
في سورة فيها المعارج قدرت ... خمسين ألفًا كامل الحسبان
وبسجدة التنزيل ألفا قدرت ... فلأجل ذا قالوا هما يومان
يوم المعاد بذي المعارج ذكره ... واليوم في «تنزيل» في ذا الآن
وكلاهما عندي فيوم واحد ... وعروجهم فيه إلى الديان
فالألف فيه مسافة لنزولهم ... وصعودهم نحو الرفيع الداني
هذي السماء فإنها قد قدرت ... خمسين في عشر وذا ضعفان
لكنّما الخمسون ألف مسافة السـ ... ـبع الطباق وبعد ذي الأكوان
من عرش رب العالمين إلى الثرى ... عند الحضيض الأسفل التحتاني
واختار هذا القول في تفسيره الـ ... ـبغوي ذاك العالم الرباني
ومجاهد قد قال هذا القول لـ ... كن ابن اسحاق الجليل الشان
قال المسافة بيننا والعرش ذا الـ ... ـمقدار في سَيْر من الإنسان
والقول الأول قول عكرمة وقو ... ل قتادة وهما لنا علمان
واختاره الحسن الرضا ورواه عن ... بحر العلوم مفسر القُرآن
ويرجّح القول الذي قد قاله ... ساداتنا في فرقهم أمران
إحداهما ما في الصحيح لمانع ... لزكاته من هذه الأعيان

(١) وهو الذهب الخالص.

يكوى بها يوم القيامة ظهره ... وجبينه وكذلك الجنبان
خمسون ألفا قدر ذاك اليوم في ... هذا الحديث وذاك ذو تبيان[1]
فالظاهر اليومان في الوجهين يو ... م واحد ما إن هما يومان
قالوا وإيراد السياق يبين الـ ... ـمقصود منه بأوضح التبيان
فانْظُرْ إلى الإضمار ضمن يرونه ... وتراه ما تفسيره ببيان
فاليوم بالتفسير أولى من عذا ... ب واقع للقرب والجيران
ويكون ذكر عروجهم في هذه الد ... نيا ويوم قيامة الأبدان
فنزولهم أيضًا هنالك ثابت ... كنزولهم أيضًا هنا للشان
وعروجهم بعد القضا كعروجهم ... أيضًا هنا فلهم إذا شأنان
ويزول هذا السقف يوم معادنا ... فعروجهم للعرش والرّحمٰن
هذا وما اتضحت لدي وعلْمُها الـ ... ـموكول بعد لمُنْزل القُرآن
وأعوذ بالرّحمٰن من جزم بلا ... علم وهذا غاية الإمكان
واللّه أعلم بالمراد بقوله ... ورسوله المبعوث بالفرقان

فصل

هذا وخامسها صعود كلامنا ... بالطيبات إليه والإحسان
وكذا صعود الباقيات الصالحا ... ت إليه من أعمال ذي الإيمان[2]
وكذا صعود تصدُّقٍ من طَيّب ... أيضًا إليه عند كُلّ أوان[3]

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه بالأرقام (٢٣٧١، ٣٦٤٦، ٤٩٦٢، ٧٣٥٦) ومسلم في صحيحه برقم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يُرَى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار...» الحديث.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

(٣) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٤١٠، ٧٤٣٠) ومسلم في صحيحه برقم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيّب، ولا يقبل الله إلا الطيّب، إلا أخذها الرَّحمٰن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرَّحمٰن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يُرَبّي أحدكم فُلُوّه أو فصيله».

وكـذا عـروج مـلائـك قـد وكّـلوا ... مـنـا بـأعـمـال وهـم بـدلان
فـإلـيـه تـعـرج بـكـرة وعـشـيـة ... والصبح يجمعهم على القُرآن[1]
كـي يـشـهـدوه ويـعـرجـوا إلـيـه بـالـ ... أعـمـال سـبـحـان الـعـظـيـم الـشـان
وكذاك سعي الليل يرفعه إلى الر ... حـمٰـن من قبل النهار الثاني
وكـذاك سـعـي الـيـوم يـرفـعـه لـه ... مـن قـبـل لـيـل حـافِـظُ الإنـسـان
وكذلك معراج الرّسول إليه حقًا ... ثـابـت مـا فـيـه مـن نـكـران[2]
بل جاوز السبع الطباق وقد دنا ... مـنـه إلـى أن قُـدّرت قـوسـان
بل عاد من موسى إليه صاعدًا ... خمسًا عداد الفرض في الحسبان
وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى ... حـقًّـا إلـيـه جـاء فـي الـقُـرآن
وكـذاك تـصـعـد روح كُـلّ مـصـدق ... لـمـا تـفـوز بـفـرقـة الأبـدان
حـقًّـا إلـيـه كـي تـفـوز بـقـربـه ... وتـعـود يـوم الـعـرض لـلجـثـمـان
وكـذا دعـا الـمـظـلوم أيـضًـا صـاعـد ... حـقًّـا إلـيـه قـاطـع الأكـوان[3]

فصل

هـذا وسـادسـهـا وسـابـعـهـا الـنـزو ... ل كـذلـك الـتـنـزيـل لـلقـرآن
والـلّه أخـبـرنـا بـأن كـتـابـه ... تـنـزيـله بـالـحـق والـبـرهـان
أيـكـون تـنـزيـلاً ولـيـس كـلام مَـنْ ... فـوق الـعـبـاد أذاك ذو إمـكـان
أيـكـون تـنـزيـلاً مـن الـرّحـمٰـن والـر ... حـمٰـن لـيـس مـبـايـن الأكـوان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٥٥، ٧٤٢٩) ومسلم في صحيحه برقم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

(٢) كما أخرجه بطوله البخاري في صحيحه برقم (٣٥٧٠، ٧٥١٧) ومسلم في صحيحه برقم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) كما أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار» والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (٨٧١).

وكـذا نـزول الـربّ جـل جـلالـه ... فـي الـنـصـف مـن لـيـل وذاك الـثـانـي
فـيـقـول لـسـت بـسـائـل غـيـري بـأحـ ... ـوال الـعـبـاد أنـا الـعـظـيـم الـشـأن
مـن ذاك يـسـألـنـي فـيـعـطـي سـؤلـه ... مـن ذا يـتـوب إلـيّ مـن عـصـيـان
مـن ذاك يـسـألـنـي فـأغـفـر ذنـبـه ... فـأنـا الـودود الـواسـع الـغـفـران
مـن ذا يـريـد شـفـاءه مـن سـقـمـه ... فـأنـا الـقـريـب مـجـيـب مـن نـادانـي
ذا شـأنـه سـبـحـانـه وبـحـمـده ... حـتـى يـكـون الـفـجـر فـجـرًا ثـانـي
يـا قـوم لـيـس نـزولـه وعـلـوه ... حـقًّـا لـديـكـم بـل هـمـا عـدمـان
وكـذاك لـيـس يـقـول شـيـئًا عـنـدكـم ... لا ذا ولا قـــول ســـواه ثـــان
كُـلّ مـجـاز لا حـقـيـقـة تـحـتـه ... أوِّل وزد وانـقـص بـلا بـرهـان

فصل

هـذا وثـامـنـهـا بـسـورة غـافـر ... هـو رفـعـة الـدرجـات لـلـرحـمٰـن
درجـاتـه مـرفـوعـة كـمـعـارج ... أيـضًـا لـه وكـلاهـمـا رفـعـان
وفـعِـيـل فـيـهـا لـيـس مـعـنـى فـاعـل ... وسـيـاقـهـا يـأبـاه ذو الـتـبـيـان
لـكـنّـهـا مـرفـوعـة درجـاتـه ... لـكـمـال رفـعـتـه عـلـى الأكـوان
هذا هو القول الصحيح فلا تحد ... عـنـه وخـذ مـعـنـاه فـي الـقُـرآن
فـنـظـيـرهـا الـمـبـدي لـنـا تـفـسـيـرهـا ... فـي ذي الـمـعـارج لـيـس يـفـتـرقـان
والـروح والأمـلاك تـصـعـد فـي مـعـا ... رجـه إلـيـه جـلّ ذو الـسّـلـطـان
ذا رِفْـعَـةُ الـدرجـات حـقًّـا مـا هـمـا ... إلّا ســواء أو هــمــا شــبــهــان
فـخـذ الـكـتـاب بـبـعـضـه بـعـضًـا كـذا ... تـفـسـيـر أهـل الـعـلـم لـلـقـرآن

فصل

هـذا وتـاسـعـهـا الـنّـصـوص بـأنـه ... فـوق الـسـمـاء وذا بـلا حـسـبـان
فاستحضر الوحيين وانظر ذاك تل ... قـاه مُـبـيـنًـا واضـح الـتـبـيـان
ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريـ ... ـب كـي تـقـوم شـواهـد الإيـمـان
وإذا أتت «في» فلا تكن مستوحشًا ... مـنـهـا ولا تـك عـنـدهـا بـجـبـان
لـيـسـت تـدل عـلـى انـحـصـار إلٰـهـنـا ... عـقـلاً ولا عـرفًـا ولا بـلـسـان

إذ أجمع السلف الكرام بأن معـ ـناها كمعنى الفوق بالبرهان
أو أنَّ لفظ سمائه يُعنَى به نفس العلو المطلق الحقاني
والربّ فيه وليس يحصره من الـ ـمخلوق شيء عز ذو السّلطان
كُلّ الجهات بأسرها عدمية في حقه هو فوقها ببيان
قد بان عنها كلها فهو المحيـ ـط ولا يحاط بخالق الأكوان
ما ذاك ينقم بعد ذو التعطيل من وصف العلو لربنا الرّحمٰن
أيرد ذو عقل سليم قط ذا بعد التصور يا أولي الأذهان
واللّه ما رد امرؤ هذا بغيـ ـر الجهل أو بحميّة الشيطان

فصل

هذا وعاشرها اختصاص البعض من أملاكه بالعند للرحمن
وكذا اختصاص كتاب رحمته بعنـ ـد اللّه فوق العرش ذو تبيان[1]
لو لم يكن سبحانه فوق الورى كانوا جميعًا عند ذي السّلطان
ويكون عند اللّه إبليسٌ وجبـ ـريلٌ هما في العند مستويان
وتمام ذاك القول أن محبة الر حمٰن عين إرادة الأكوان
وكلاهما محبوبه ومراده وكلاهما هو عنده سيّان
إن قلتم عنديّة التكوين فالذ اتان عند اللّه مخلوقان
أو قلتم عندية التقريب تقـ ـريب الحبيب وما هما عدلان
فالحب عندكم المشيئة نفسها وكلاهما في حكمها مثلان
لكن منازعكم يقول بأنها عندية حقًّا بلا روغان
جمعت له حب الإلٰه وقربه من ذاته وكرامة الإحسان
والحب وصف وهو غير مشيئة والعند قرب ظاهر التبيان

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه بالأرقام (٣١٩٤، ٧٤٠٤، ٧٤٢٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣. ٧٥٥٤) ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي».

فصل

هـذا وحـادي عـشـرهـن إشـارة ... نـحـو الـعـلو بـإصـبـع وبـنـان
لـلـه جـل جـلالـه لا غـيـره ... إذ ذاك اشـراك مـن الإنـسـان
ولـقـد أشـار رسـولـه فـي مـجـمـع الـ ... ـحـجّ الـعـظـيـم بـمـوقـف الـغـفـران
نـحـو الـسـمـاء بـإصـبـع قـد كُـرّمـت ... مـسـتـشـهـدًا لـلـواحـد الـرّحـمـن
يـا رب فـاشـهـد أنـنـي بـلّغـتـهـم ... ويـشـيـر نـحـوهـم لـقـصـد بـيـان[1]
فـغـدا الـبـنـان مـرقّـعًـا ومـصـوّبًـا ... صـلـى عَـلَيْـك الـلّه ذو الـغـفـران
أديـت ثـم نـصـحـت إذ بَـلّغـتـنـا ... حـق الـبـلاغ الـواجـب الـشـكـران

فصل

هـذا وثـانـي عـشـرهـا وصـف الـظـهـو ... ر لـه كـمـا قـد جـاء فـي الـقُـرآن
والـظـاهـر الـعـالـي الـذي مـا فـوقـه ... شـيء كـمـا قـد قـال ذو الـبـرهـان
حـقًّـا رسـول الـلّه ذا تـفـسـيـره ... ولـقـد رواه مـسـلـم بـضـمـان[2]
فـاقـبـلـه لا تـقـبـل سـواه مـن الـتـفـا ... سـيـر الـتـي قـيـلـت بـلا بـرهـان
والـشـيء حـيـن يـتـم مـنـه عـلـوه ... فـظـهـوره فـي غـايـة الـتـبـيـان
أو مـا تـرى هـذي الـسـمـا وعـلـوهـا ... وظـهـورهـا وكـذلـك الـقـمـران
والـعـكـس أيـضًـا ثـابـت فـسـفـولـه ... وخـفـاؤه إذ ذاك مـصـطـحـبـان
فـانْـظُـرْ إلـى عُـلْوِ الـمـحـيـط وأخـذه ... صـفـة الـظـهـور وذاك ذو تـبـيـان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) وأبو داود في سننه برقم (١٩٠٥) من حديث جابر رضي الله عنه الطويل في سياق حجة النبي ﷺ، وفيه أن النبي ﷺ خطب الناس وفي آخر الخطبة قال: «... وقد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ «قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات.

(٢) يشير إلى ما رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر».

وانظر خفاء المركز الأدنى ووصـ ـف السفل فيه وكونه تحتاني
وظهوره سبحانه بالذات مثـ ـل عُلُوّه فهما له صفتان
لا تجحدنّها جحود الجَهْم أو صاف الكمال تكون ذا بهتان
وظهوره هو مقتض لعلوه وعلوه لظهوره ببيان
وكذاك قد دخلت هناك الفاء للتـ ـسبيب مؤذنة بهذا الشان
فتأمّلن تفسير أعلم خلقه بصفاته من جاء بالقُرآن
إذ قال أنت كذا فليس لضده أبدًا إليك تَطَرّق الإثْيان

فصل

هذا وثالث عشرها إخباره أنا نراه بجنة الحيوان[1]
فسل المُعَطّل هل يرى من تحتنا أم عن شمائلنا وعن أيمان
أم خلفنا وأمامنا سبحانه أم هل يرى من فوقنا ببيان
يا قوم ما في الأمر شيء غير ذا أو أنَّ رؤيته بلا إمكان
إذ رؤية لا في مقابلة من الرَّ ائي محال ليس في الإمكان
ومن ادعى شيئًا سوى ذا كان دعـ ـواه مكابرة على الأذهان
ولذاك قال محقق منكم لأهـ ـل الاعتزال مقالة بأمان
ما بيننا خلف وبينكم لدى التـ ـحقيق في معنى فيا إخواني
شُدّوا بأجمعنا لنحمل حملة تذر المجسّم في أذل هوان
إذ قال إن إلٰهه حقًّا يُرى يوم المعاد كما يُرى القمران
وتصير أبصار العباد نواظرًا حقًّا إليه رؤية بعيان
لا ريب أنهم إذا قالوا بذا لزم العلو لفاطر الأكوان
ويكون فوق العرش جل جلاله فلذاك نحن وحزبهم خصمان
لكننا سلم وأنتم إذ تسا عدنا على نفي العلو لربنا الرّحمن
فعلوه عين المحال وليس فو ق العرش من رب ولا ديان
لا تنصبوا معنا الخلاف فما له طعم فنحن وأنتم سِلْمان

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

هـذا الـذي والـلّه مُـودَعُ كـتـبـهـم فـانْـظُـرْ تـرى يـا مـن لـه عـيـنـان

فصل

هـذا ورابـع عـشـرهـا إقـرار سـا ئـله بـلفـظ الأيـن لـلرحـمـٰن
ولـقـد رواه أبـو رزيـن بـعـدمـا سـأل الـرّسـول بـلفـظـه بـوزان[1]
ورواه تـبـلـيـغًـا لـه ومـقـررًا لَمّـا أقـرّ بـه بـلا نـكـران
هذا وما كان الجواب جواب «مَنْ» لـكـن جـواب الـلفـظ بـالـمـيـزان
كَـلّا وليس لـ «مَنْ» دخول قط في هـذا الـسـيـاق لـمـن لـه أذنـان
دع ذا فـقـد قـال الـرّسـول بـنـفـسـه أيـن الإلٰـه لـعـالـم بـلسـان
واللّه ما قصد المخاطب غير معـ ـناها الـذي وُضِعـت لـه الـحـقّـاني
واللّه ما فـهـم الـمـخـاطـب غـيـره والـلفـظ مـوضـوع لـقـصـد بـيـان
يا قوم لفظ الأين ممتنع على الرّ حـمٰـن عـنـدكـم وذو بـطـلان
ويـكـاد قـائـلكـم يـكـفّـرنـا بـه بـل قـد وهـذا غـايـة الـعـدوان
لفظ صريح جاء عن خير الورى قـولاً وإقـرارًا هـمـا نـوعـان
واللّه مـا كـان الـرّسـول بـعـاجـز عـن لـفـظ «مَـنْ» مـع أنـهـا حـرفـان
و«الأيـن» أحـرفـهـا ثـلاث وهـي ذو لـبـس و«مَـنْ» فـي غـايـة الـتـبـيـان
واللّه مـا الـمـلكـان أفـصـح مـنـه إذ فـي الـقـبـر مـن رب الـورى يـسـلان
ويـقـول أيـن الـلّه يـعـنـي «مَـنْ» فـلا والـلّه مـا الـلـفـظـان مـتـحـدان
كَـلّا ولا مـعـنـاهـمـا أيـضًـا لـذي لـغـة ولا شـرع ولا إنـسـان

فصل

هذا وخامس عشرها الإجماع من رسـل الإلٰـه الـواحـد الـمـنّـان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١١) والترمذي في سننه برقم (٣١٠٩) وابن ماجه في سننه برقم (١٨٢) من حديث أبي رزين ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق العرش، قال: «كان في عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق العرش على الماء».
والحديث ضعفه العلامة الألباني ﷺ في ضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٢).

فالمرسلون جميعهم مع كتبهم قد صرحوا بالفوق للرحمن
وحكى لنا إجماعهم شيخ الورى والدين عبد القادر الكيلاني
وأبو الوليد المالكي أيضًا حكى إجماعهم أعني ابن رشد الثاني
وكذا أبو العباس أيضاَ قد حكى إجماعهم علم الهدى الحرّاني
وله اطّلاع لم يكن من قبله لسواه من متكلّم ولسان
هذا ونقطع نحن أيضًا أنه إجماعهم قطعاَ على البرهان
وكذاك نقطع أنهم جاءوا بإثـ ـبات الصفات لخالق الأكوان
وكذاك نقطع أنهم جاءوا بإثـ ـبات الكلام لربنا الرّحمٰن
وكذاك نقطع أنهم جاءوا باثـ ـبات المعاد لهذه الأبدان
وكذاك نقطع أنهم جاءوا بتو حيد الإلٰه وما له من ثان
وكذاك نقطع أنهم جاؤا باثـ ـبات القضاء وما له قولان
فالرسل متفقون قطعًا في أصو ل الدين دون شرائع الإيمان
كُلّ له شرع ومنهاج وذا في الأمر لا التوحيد فافهم ذان
فالدين في التوحيد دين واحد لم يختلف منهم عليه اثنان
دين الإلٰه اختاره لعباده ولنفسه هو قيم الأديان
فمن المحال بأن يكون لرسله في وصفه خبران مختلفان
وكذاك نقطع أنهم جاءوا بعد ل اللّه بين طوائف الإنسان
وكذاك نقطع أنهم أيضًا دعوا للخمس وهي قواعد الإيمان
إيماننا باللّه ثم برسله وبكتبه وقيامة الأبدان
وبجنده وهم الملائكة الآلى هم رسله لصالح الأكوان
هذي أصول الدين حقًّا لا الأصو ل الخمس للقاضي هو الهمذاني
تلك الأصول للاعتزال وكم لها فرع فمنه الخلق للقرآن
وجحود أوصاف الإلٰه ونفيهم لعلوه والفوق للرحمٰن
وكذاك نفيهم لرؤيتنا له يوم اللقاء كما يرى القمران
ونفوا قضاء الربّ والقدر الذي سبق الكتاب به هما حتمان
من أجل هاتيك الأصول وخلّدوا أهل الكبائر في لظى النّيران

ولأجلها نفوا الشفاعة فيهم ورموا رواة حديثها بطعان
ولأجلها قالوا بأن الله لم يقدر على إصلاح ذي العصيان
ولأجلها قالوا بأن الله لم بقدر على إيمان ذي الكفران
ولأجلها حكموا على الرّحمٰن بالشّـ ـرْعِ المحال شريعة البهتان
ولأجلها هم يوجبون رعاية للأصلح الموجود في الإمكان
حقًّا على رب الورى بعقولهم سبحانك اللهمّ ذي السّبْحان

فصل

هذا وسادس عشرها إجماع أهـ ـل العلم أعني حجة الأزمان
من كُلّ صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القُرآن
لا عبرة بمخالف لَهُمُ ولو كانوا عديد الشاء والبعران
إن الذي فوق السمٰوات العلى والعرش وهو مباين الأكوان
هو ربنّا سبحانه وبحمده حقًّا على العرش استوى الرّحمٰن
فاسمع إذًا أقوالهم واشهد عليـ ـهم بعدها بالكفر والإيمان
واقرأ تفاسير الأئمة ذاكري الـ إسناد فهي هداية الحيران
وانظر إلى قول ابن عباس بتفـ سير استوى إن كنت ذا عرفان
وانظر إلى أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حَبْران
وانظر إلى الكلبي أيضًا والذي قد قاله من غير ما نكران
وكذا رفيع التابعيّ أجلّهم ذاك الرياحي العظيم الشان
كم صاحب ألقى إليه علمه فلذاك ما اختلفت عليه اثنان
فليهن من قد سبّه إذ لم يُوا فق قوله تحريف ذي البهتان
فلهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقُرآن
والأشعري يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان
هو قول أهل الاعتزال وقول أتـ ـباعٍ لِجَهْمٍ وهو ذو بطلان

في كُتْبِهِ قد قال ذا من موجز ... وأبانة ومقالة ببيان
وكذلك البغوي أيضًا قد حكا ... ه عنهم بمعالم القُرآن
وانظر كلام إمامنا هو مالك ... قد صحّ عنه قول ذي إتقان
في الاستواء بأنه المعلوم لـ ... ـكن كيفه خاف على الأذهان
وروى ابن نافع الصدوق سماعه ... منه على التحقيق والاتقان
اللّه حقًّا في السماء وعلمُهُ ... سبحانه حقًّا بكُلّ مكان
فانْظُرْ إلى التفريق بين الذات والـ ... ـمعلوم من ذا العالم الرباني
فالذات خُصّت بالسماء وانما الـ ... ـمعلوم عَمّ جميع ذي الأكوان
ذا ثابت عن مالك من رده ... فلسوف يلقى مالكًا بهوان
وكذاك قال الترمذي بجامع ... عن بعض أهل العلم والإيمان
اللّه فوق العرش لكن علمه ... مع خلقه تفسير ذي إيمان
وكذاك أوزاعيهم أيضًا حكى ... عن سائر العلماء في البلدان
من قرنه والتابعين جميعهم ... متوافرون وهم أولو العرفان
أيمانهم بعلوه سبحانه ... فوق العباد وفوق ذي الأكوان
وكذاك قال الشافعي حكاه عنـ ... ـه البيهقيُّ وشيخه الرباني
حقًّا قضى اللّه الخلافة ربنا ... فوق السماء لأصدق العبدان
حب الرّسول وقائم من بعده ... بالحق لا فَشِلٌ ولا مُتَوان
فانْظُرْ إلى المقضي في ذي الأرض لـ ... ـكن في السماء قضاء ذي السّلطان
وقضاؤه وصف له لم ينفصل ... عنه وهذا واضح البرهان
وكذلك النّعمان قال وبعده ... يعقوب والألفاظ للنّعمان
من لم يقر بعرشه سبحانه ... فوق السماء وفوق كُلّ مكان
ويقر أن اللّه فوق العرش لا ... يخفى عليه هواجس[1] الأذهان
فهو الذي لا شك في تكفيره ... للّه دَرّك من إمام زمان
هذا الذي في الفقه الاكْبر عندهم ... وله شروح عدة لبيان

(١) الهواجس: الخواطر.

وانظر مقالة أحمد ونصوصه ... في ذاك تلقاها بلا حسبان
فجميعها قد صرحت بعلوه ... وبالاستوا والفوق للرّحمٰن
وله نصوص واردات لم تقع ... لسواه من فرسان هذا الشان
إذ كان ممتحنًا بأعداء الحديـ ... ـث وشيعة التعطيل والكفران
وإذا أردت نصوصه فانْظُرْ إلى ... ما قد حَكَى الخلّال ذو الإتقان
وكذاك إسحاق الإمام فإنه ... قد قال ما فيه هدى الحيْران
وابن المبارك قال قولاً شافيًا ... إنكاره عَلَمٌ على البهتان
قالوا له ما ذاك نعرف ربنا ... حقًّا به لِنَكُون ذا إيمان
فأجاب نعرفه بوصف عُلُوّه ... فوق السماء مباين الأكوان
وبأنه سبحانه حقًّا على العر ... ش الرفيع فَجَلّ ذو السّلطان
وهو الذي قد شجع ابن خزيمة ... إذ سَلّ سيف الحق والعرفان
وقضى بقتل المنكرين علوه ... بعد استتابتهم من الكفران
وبأنهم يلقون بعد القتل فو ... ق مزابل المَيْتات والأنتان
فشفى الإمام العالم الحبر الذي ... يدعى إمام أئمة الأزمان
ولقد حكاه الحاكم العدل الرضا ... في كتبه عنه بلا نكران
وحكى ابن عبد البر في تمهيده ... وكتاب الاستذكار غير جبان
إجماع أهل العلم أن اللّه فو ... ق العرش لم ينكره ذو إيمان
وأتى هناك بما شفى أهل الهدى ... لكنّه مرض على العُميان
وكذا عليٌّ الأشعريُّ فإنّه ... في كتبه قد جاء بالتبيان
من موجز وإبانة ومقالة ... ورسائل للثّغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الربّ فو ... ق العرش بالايضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التّـ ... ـقرير فانْظُرْ كتبه بعيان
واللّه ما قال المجسم مثل ما ... قد قاله ذا العالم الرباني
فارموه ويحكم بما ترموا به ... هذا المجسم يا أولي العدوان
أو لا فقولوا إن ثَمّ حزازة[1] ... وتنفس الصعداء من حَرّان

(١) أي وجع في القلب من غيظ ونحوه.

فسلوا الإلٰه شفاء ذا الداء العضا ... ل مجانب الإسلام والإيمان
وانظر إلى حرب وإجماع حكى ... للّه درك من فتى كِرْماني
وانظر إلى قول ابن وهب أوحد الـ ... ـعلماء مثل الشمس في الميزان
وانظر إلى ما قال عبدُ اللّه في ... تلك الرسالة مفصحًا ببيان
من أنه سبحانه وبحمده ... بالذات فوق العرش والأكوان
وانظر إلى ما قاله الكرجي في ... شرح لتصنيف امرىء رباني
وانظر إلى الأصل الذي هو شرحه ... فهما الهدى لِمُلَدَّدٍ حيران
وانظر إلى تفسير عبد ما الذي ... فيه من الآثار في ذا الشان
وانظر إلى تفسير ذاك الفاضل الثـ ... ـبت الرضا المتضلّع الرباني
ذاك الإمام ابن الإمام وشيخه ... وأبوه سنيّان رازيّان
وانظر إلى النسائي في تفسيره ... هو عندنا سفر جليل معان
واقرأ كتاب العرش تصنيف الرضا ... نجل الصدوق إمامنا عثمان
وأخوه صاحب مسند ومصنّف ... أتراهما نجمين بل شمسان
واقرأ كتاب الاستقامة للرضا ... ذاك ابن أصرم حافظ رباني
واقرأ كتاب الحافظ الثقة الرضا ... في السُّنَّة العليا فتى الشيباني
ذاك ابن أحمد أوحد الحفاظ قد ... شهدت له الحفاظ بالاتقان
واقرأ كتاب الأثرم العدل الرضا ... في السُّنَّة الأولى امام زمان
وكذا الإمام ابن الإمام المرتضى ... حقًّا أبي داود ذي العرفان
تصنيفه نظمًا ونثرًا واضح ... في السُّنَّة المثلى هما نجمان
واقرأ كتاب السُّنَّة الأولى التي ... أبداه مضطلع من الإيمان
ذاك النبيل ابن النبيل كتابه ... أيضًا نبيل واضح البرهان
وانظر إلى قول ابن أسباط الرضا ... وانظر إلى قول الرضا سفيان
وانظر إلى قول ابن زيد ذاك حمّـ ... ـاد وحماد الإمام الثاني
وانظر إلى ما قاله علم الهدى ... عثمان ذاك الدّارمي الرباني
في نقضه والرد يا لهما كتا ... با سنة وهما لنا علمان
هدمت قواعد فرقة جهميّة ... فخوت سقوفهم على الحيطان

وانظر إلى ما في صحيح محمد ذاك البخاري العظيم الشان
من رده ما قاله الجهمي بالنـ ـقل الصحيح الواضح البرهان
وانظر إلى تلك التراجم ما الذي في ضمنها إن كنت ذا عرفان
وانظر إلى ما قاله الطبري في الشـ ـرح الذي هو عندكم سفران
أعني الفقيه الشافعي اللالكا ئي المسدد ناصر الإيمان
وانظر إلى ما قاله علم الهدى التـ ـيميُّ في إيضاحه وبيان
ذاك الذي هو صاحب الترغيب والترهيب ممدوح بكُلّ لسان
وانظر إلى ما قاله في السُّنَّة الـ ـكبرى سليمان هو الطبراني
وانظر إلى ما قاله شيخ الهدى يدعى بِطَلْمَنْكِيِّهم ذو شان
وانظر إلى قول الطحاوي الرضا وَأَجِرْهُ من تحريف ذي بهتان
وكذلك القاضي أبو بكر هو ابـ ـن الباقلاني قائد الفرسان
قد قال في تمهيده ورسائلٍ والشرح ما فيه جليّ بيان
في بعضها حقًّا على العرش استوى لكنّه استولى على الأكوان
وأتى بتقرير العلو وأبطل الـ ـلّام التي زيدت على القُرآن
من أوجه شتى وذا في كتبه بادٍ لمن كانت له عينان
وانظر إلى قول ابن كُلّاب وما يقضي به لمُعَطّل الرّحمٰن
أخرج من النقل الصحيح وعقله من قال قول الزور والبهتان
ليس الإلٰه بداخل في خلقه أو خارج عن جملة الأكوان
وانظر إلى ما قاله الطبريُّ في التـ ـفسير والتهذيب قول معان
وانظر إلى ما قاله في سورة الـ أعراف مع طه ومع سبحان
وانظر إلى ما قاله البغويُّ في تفسيره والشرح بالإحسان
في سورة الأعراف عند الاستوا فيها وفي الأولى من القُرآن
وانظر إلى ما قاله ذو سُنّةٍ وقراءة ذاك الإمام الداني
وكذاك سنة جعفر يُكنى أبا الشـ ـيخ الرضا المستل من حيّان
وانظر إلى ما قاله ابن سريج الـ ـبحر الخضمُّ الشافعيُّ الثاني
وانظر إلى ما قاله علم الهدى أعني أبا الخير الرضا العمراني

وكتابه في الفقه وهو بيانه ... يبدي مكانته من الإيمان
وانظر إلى السُّنن التي قد صنَّف الـ ... ـعلماء بالآثار والقُرآن
زادت على المائتين منها مُفْرَدًا ... أوفى من الخمسين في الحسبان
منها لأحمد عدة موجودة ... فينا رسائله إلى الاخوان
واللاء في ضمن التصانيف التي ... شُهرت فلم تحتج إلى حسبان
فكثيرة جدًّا فمن يكُ راغبًا ... فيها يجد فيها هدى الحيران
وهم النُّجوم لكُلّ عبد سائر ... يبغي الإلٰه وجنة الحيوان
أصحابها هم حافظو الإسلام لا ... أصحاب جهم حافظو الكفران
وسواهم واللّه قطاع الطريق ... أئمة تدعو إلى النيران
ما في الذين حَكَيْتُ عنهم آنفا ... من حنبلي واحد بضمان
بل كلهم واللّه شيعة أحمد ... فأصوله وأصولهم سيّان
وبذاك في كُتُبٍ لهم قد صرحوا ... وأخو العماية ما له عينان
أتظنهم لفظيّة جهليّة ... مثل الحمير تقاد بالأرسان
حاشاهم من ذاك بل واللّه هم ... أهل العقول وصحة الأذهان
فانْظُرْ إلى تقريرهم لعلوِّه ... بالنقل والمعقول والبرهان
عقلان عقل بالنّصوص مؤيَّد ... ومؤيَّد بالمنطق اليوناني
واللّه ما استويا ولن يتلاقيا ... حتى تشيب مفارق الغِرْبان
أفتقذفون أولاء بل أضعافهم ... من سادة العلماء كُلّ زمان
بالجهل والتشبيه والتجسيم والتّـ ... ـبديع والتضليل والبهتان
يا قومنا ألَّله في إسلامكم ... لا تفسدوه لنخوة الشيطان
يا قومنا اعتبروا بمصرع من خلا ... من قبلكم في هذه الأزمان
لم يغن عنهم كذبهم ومِحَالُهُم[1] ... وقتالهم بالزور والبهتان
كَلّا ولا التدليس والتلبيس عنـ ... ـد الناس والحكام والسّلطان
وبدا لهم عند انكشاف غطائهم ... ما لم يكن للقوم في حسبان

(١) المحال: الكيد والمكر.

وبدا لهم عند انكشاف حقائق الـ ... إيمان أنهم على البطلان
ما عندهم والله غير شكاية ... فأتوا بعلم وانطِقُوا ببيان
ما يشتكي إلّا الذي هو عاجز ... فاشكوا لنعذركم إلى القُرآن
ثم اسمعوا ماذا الذي يقضي لكم ... وعَلَيْكم فالحقُّ في الفرقان
لَبَّسْتُمُ معنى النّصوص وقولنا ... فغدا لكم للحقِّ تلبيسان
من حرَّف النصَّ الصَّريح فكيف لا ... يأتي بتحريف على إنسان
يا قوم والله العظيم أسأتم ... بأئمة الإسلام ظن الشاني
ما ذنبهم ونبيهم قد قال ما ... قالوا كذاك منزّل القرآن
ما الذنب إلّا للنُّصوص لديكم ... إذ جَسّمَت بل شَبّهت صنفان
ما ذنب من قد قال ما نطقت به ... من غير تحريف ولا عدوان
هذا كما قال الخبيث لصحبه ... كَلْبُ الروافض أخبث الحيوان
لما أفاضوا في حديث الرفض عن ... د القبر لا يَخْشَون من إنسان
يا قوم أصل بلائكم ومصابكم ... من صاحب القبر الذي تريان
كم قدّم ابن أبي قحافة بل غدا ... يثنى عليه ثناء ذي شكران
ويقول في مرض الوفاء يؤمكم ... عنّي أبو بكر بلا روغان
ويظل يمنع من إمامة غيره ... حتى يُرى في صورة الغضبان[1]
ويقول لو كنت الخليل لواحد ... في الناس كان هو الخليل الداني
لكنّه الأخ والرفيق وصاحبي ... وله علينا مِنَّة الإحسان[2]

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧١٢) وفي غير موضع، ومسلم في صحيحه برقم (٤١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت: فقلت: يا رسول إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر، قالت: والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثًا، فقال: «ليصل بالناس أبو بكر، فإنكن صواحب يوسف».

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٦، ٣٩٠٤) ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمنّ النّاس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام، لا تُبْقَيَنَّ في المسجد خوخة، إلا خوخة أبي بكر».

ويقول للصِّدِّيق يوم الغار لا تحزن فنحن ثلاثة لا اثنان
اللّه ثالثنا وتلك فضيلة ما حازها إلَّا فتى عثمان
يا قوم ما ذنب النواصب بعد ذا لم يَدْهَكُم إلّا كبير الشان
فتفرقت تلك الروافض كلهم قد أطبقت أسنانه الشفتان
وكذلك الجهميّ ذاك رضيعهم فهما رضيعا كفرهم بلبان
ثوبان قد نُسِجا على المنوال يا عريان لا تلبس فما ثوبان
واللّهِ شرٌّ منهما فهما على أهل الضلالة والشّقا علمان

فصل

هذا وسابع عشرها إخباره سبحانه في محكم القُرآن
عن عبده موسى الكليم وحربه فرعون ذي التكذيب والطغيان
تكذيبه موسى الكليم بقوله اللَّه ربِّي في السما نبَّاني
ومن المصائب قولهم إنَّ اعتقا د الفوق من فرعون ذي الكفران
فإذا اعتقدتم ذا فأشياع له أنتم وذا من أعظم البهتان
فاسمع إذًا من ذا الذي أولى بفر عون المُعَطِّل جاحد الرّحمن
وانظر إلى ما جاء في القصص التي تحكي مقال إمامهم ببيان
واللّه قد جعلوا الضلالة قدوة بأئمة تدعو إلى النيران
فإمام كُلّ معطل في نفيه فرعون مع نمرود مع هامان
طلب الصّعودَ إلى السماء مكذبًا موسى ورام الصرح بالبنيان
بل قال موسى كاذب في زعمه فوق السماء الربُّ ذو السّلطان
فابنوا لِيَ الصَّرْحَ الرفيع لعلَّني أرقى إليه بحيلة الإنسان
وأظن موسى كاذبًا في قوله الله فوق العرش ذو سُلطان
وكذاك كذَّبه بأن إلٰهه ناداه بالتَّكليم دون عيان
هو أنكر التكليم والفوقية الـ ـعليا كقول الجهم ذي صفوان
فمن الذي أولى بفرعون إذًا مِنّا ومنكم بعد ذا التّبيان
يا قومنا واللّه إن لقولنا مائةً تدلُّ عليه بل مائتان

عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة الـ ... أُولى وذوق حلاوة القُرآن
كُلّ يدل بأنه سبحانه ... فوق السماء مباين الأكوان
أترون أنا تاركو ذا كلّه ... لجعاجع التعطيل والهذيان
يا قوم ما أنتم على شيء إلى ... أن ترجعوا للوحي بالإذعان[1]
وتحكموه في الجليل ودقّه ... تحكيم تسليم مع الرضوان
قد أقسم اللّه العظيم بنفسه ... قسمًا يبين حقيقة الإيمان
أن ليس يؤمن من يكون محكّمًا ... غير الرّسول الواضح البرهان
بل ليس يؤمن غير من قد حكم الـ ... ـوحيين حسب فذاك ذو إيمان
هذا وما ذاك المُحَكّم مؤمنًا ... إن كان ذا حرج وضيق بِطَان
هذا وليس بمؤمن حتى يسلّـ ... ـم للذي يقضي به الوحيان[2]
يا قوم باللّه العظيم نشدتكم ... وبحرمة الإيمان والقُرآن
هل حَدَّثَتْكُم قط أنفسكم بذا ... فسلوا نفوسكم عن الإيمان
لكنَّ ربَّ العالمين وجنده ... ورسوله المبعوث بالقُرآن
هم يشهدون بأنكم أعداء من ... ذا شأنه أبدًا بكُلّ زمان
ولأيِّ شيء كان أحمد خصمُكُم ... أعني ابن حنبل الرضا الشيباني
ولأي شيء كان بعد خصومكم ... أهل الحديث وعسكر القُرآن
ولأيِّ شيء كان أيضًا خصمكم ... شيخ الوجود العالم الحراني[3]
أعني أبا العباس ناصر سنة الـ ... ـمختار قامع سنَّة الشيطان
واللّه لم يك ذنبه شيئًا سوى ... تجريده لحقيقة الإيمان
إذ جرد التوحيد عن شرك كذا ... تجريده للوحي عن بهتان
فتجرّد المقصود عن قصد له ... فلذاك لم يَنْضَفْ إلى إنسان
ما منهم أحد دعا لمقالة ... غير الحديث ومقتضى الفرقان

---

(١) أي بالخضوع والانقياد.
(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].
(٣) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنة.

فالقوم لم يدعوا إلى غير الهدى ودعوتم أنتم لرأي فلان
شتان بين الدعوتين فحسبكم يا قوم ما بِكُمُ من الخذلان
قالوا لنا لما دعوناهم إلى هذا مقالة ذي هوى ملآن
ذهبت مقادير الشيوخ وحُرْمَهُ الـ ـعلماء بل عَبَرَتْهُمُ العينان
وتركتم أقوالهم هدرًا وما أصغت إليها منكم أذنان
لكن حفظنا نحن حرمتهم ولم نَعْدُ الذي قالوه قَدْرَ بنان
يا قوم واللّه العظيم كذبتم وأتيتم بالزور والبُهتان
ونسبتم العلماء للأمرِ الذي هم منه أهل براءةٍ وأمان
واللّه ما أَوْصوكُمُ أن تتركوا قول الرّسول لقولهم بلسان
كَلَّا ولا في كُتْبِهم هذا بلى بالعكس أَوْصوكُم بلا كتمان
إذ قد أحاط العلم منهم أنهم ليسوا بمعصومين بالبرهان
كَلّا وما منهم أحاط بكُلّ ما قد قاله المبعوثُ بالقُرآن
فلذاك أوصوكم بأن لا تجعلوا أقوالهم كالنَّصِّ في الميزان
لكن زِنوها بالنّصوص فإن تُوا فِقْهها فتلك صحيحة الأوزان
لكنكم قدمتم أقوالهم أبدًا على النص العظيم الشان
واللّه لا لوصية العلماء نَفّـ ـذتم ولا لوصية الرّحمن
وركبتم الجهلين ثم تركتم النّـ ـصين مع ظلم ومع عدوان
قلنا لكم فتعلموا قلتم أما نحن الأئمَّة فاضلو الأزمان
من أين والعلماء أنتم فاستحوا أين النجوم من الثرى التَّحتاني
لم يُشْبِهِ العُلماء إلّا أنتم أشبهتم العلماء في الأذقان
واللّه لا علم ولا دين ولا عقل ولا بمروءة الإنسان
عاملتم العلماء حين دعوكم للحقِّ بل بالبغي والعدوان
ان أنتُمُ إلّا الذباب إذا رأى طُعْمًا فيا لمساقط الذّبّان
وإذا رأى فزعًا تطاير قلبه مثل البغاث يساق بالعقبان
وإذا دعوناكم إلى البرهان كا ن جوابكم جهلاً بلا برهان
نحن المقلِّدة الألى أَلْفَوا كذا آباءهم في سالف الأزمان

قلنا فكيف تُكفّرون وما لكم ... علم بتكفير ولا إيمان
إذ أجمع العلماء أن مقلدًا ... للناس كالأعمى هما أخوان
والعلم معرفة الهدى بدليله ... ما ذاك والتّقليد مستويان
جِرْنا بكم واللّه لا أنتم مع الـ ... ـعلماءِ تنقادون للبرهان
كَلَّا ولا متعلِّمون فمن ترى ... تدعون نَحْسِبُكُم من الثِّيران
لكنّها واللّه أنفع منكم ... للأرض في حرث وفي دوران
نالت بهم خيرًا ونالت منكم الـ ... ـمعهود من بغي ومن عدوان
فمن الذي خير وأنفع للورى ... أنتم أم الثِّيران بالبرهان

فصل

هذا وثامن عشرها تنزيهه ... سبحانه عن موجب النقصان
وعن العيوب وموجب التمثيل ... والتشبيه جل اللّه ذو السُّلطان
ولذاك نزه نفسه سبحانه ... عن أن يكون له شريك ثان
أو أن يكون له ظهير في الورى ... سبحانه عن إفك ذي بهتان
أو أن يُوالي خلقه سبحانه ... من حاجة أو ذلَّة وهوان
أو أن يكون لديه أصلاً شافع ... إلّا باذن الواحد المنّان
وكذاك نزّه نفسه عن والد ... وكذاك عن ولدٍ هما نسبان
وكذاك نزه نفسه عن زوجة ... وكذاك عن كفو يكون مداني
ولقد أتى التّنزيه عمَّا لم يُقَلْ ... كي لا يدور بخاطر الإنسان
فانْظُرْ إلى التّنزيه عن طَعْمٍ ولم ... ينسب إليه قطّ من إنسان
وكذلك التّنزيه عن موت وعن ... نوم وعن سِنَةٍ وعن غَشَيان
وكذلك التّنزيه عن نسيانه ... والربُّ لم ينسب إلى نسيان
وكذلك التّنزيه عن ظلم وفي الـ ... أفعال عن عبثٍ وعن بُطلان
وكذلك التّنزيه عن تعبٍ وعن ... عجزٍ ينافي قدرة الرّحمٰن
ولقد حكى الرّحمٰن قولاً قاله ... فِنْحاصُ ذو البهتان والكفران
إن الإلٰه هو الفقير ونحن أصـ ... ـحاب الغنى ذو الوجد والإمكان
وكذاك أَضْحى ربنا مستقرضًا ... أموالنا سبحان ذي الإحسان

وحكى مقالة قائلٍ من قومه ... إن العزير ابنٌ من الرّحمٰن
هذا وما القولان قط مقالة ... منصورةً في موضع وزمان
لكن مقالةُ كونه فوق الورى ... والعرش وهو مباينُ الأكوان
قد طبَّقت شرق البلاد وغربها ... وغدت مقرّرة لدى الأذهان
فلأيِّ شيء لم ينزِّه نفسهُ ... سبحانه في محكم القُرآن
عن ذي المقالة مع تفاقم أمرها ... وظهورها في سائر الأديان
بل دائمًا يبدي لنا إثباتها ... ويعيده بأدلةِ التبيان
لا سيما تلك المقالةُ عندكم ... مقرونةٌ بعبادة الأوثان
أو أنها كمقالة لِمُثَلِّثٍ ... عَبْدِ الصَّليب المشرك النَّصراني
إذ كان جسمًا كُلّ موصوف بها ... ليس الإلٰه منزِّل الفُرقان
فالعابدون لمن على العرش استوى ... بالذات ليسوا عابدي الدّيّان
لكنَّهم عبَّاد أوثانٍ لدى ... هذا المُعَطِّل جاحد الرَّحمٰن
ولذاك قد جعل المُعَطِّل كفرهم ... هو مقتضى المعقول والبرهان
هذا رأيناه بكتبكم ولم ... نكذب عَلَيْكم فعل ذي البهتان
ولأيِّ شيء لم يُحَذّر خَلْقَهُ ... عنها وهذا شأنها ببيان
هذا وليس فسادها بمبينٍ ... حتَّى يُحَالَ لنا على الأذهان
ولذاك قد شهدت أفاضلكم لها ... بظهورها للوهم في الإنسان
وخفاء ما قالوه من نفيٍ على الْـ ... أذهان بل يَحْتاج للبرهان

فصل

هذا وتاسع عشرها إلزام ذي التّـ ... عطيل أَفْسَدَ لازم ببيان
وفساد لازم قوله هو مقتضٍ ... لفساد ذاك القول بالبرهان
فسل المُعَطّل عن ثلاث مسائلٍ ... تقضي على التعطيل بالبطلان
ماذا تقول أكان يعرفُ ربَّه ... هذا الرّسولُ حقيقةَ العِرفان
أم لا وهل كانت نصيحته لنا ... كُلَّ النصيحة ليس بالخَوَّان
أم لا وهل حاز البلاغة كلها ... فاللفظ والمعنى له طوعانِ
فإذا انتهت هذي الثلاثةُ فيه كا ... ملة مبرَّأةً من النُّقصان

فلأيّ شيء عاش فينا كاتمًا ... للنَّفي والتَّعطيل في الأزمان
بل مفصحًا بالضدّ منه حقيقة الـ ... إفصاحِ موضَحَةً بكُلِّ بيان
ولأيِّ شيء لم يصرّح بالذي ... صرَّحْتُمُ في ربِّنا الرّحمٰن
ألعجزه عن ذاك أم تقصيره ... في النّصح أم لخفاء هذا الشان؟
حاشاه بل ذا وصفُكُم يا أمَّة التَّـ ... ـعطِيل لا المبعوثِ بالقُرآن
ولأيِّ شيء كان يذكُر ضدَّ ذا ... في كُلِّ مجتمع وكُلّ زمان
أتراه أصبح عاجزًا عن قوله «اسـ ... ـتولى» وينزل «أمره» و«فلان»
ويقول «أين الله» يعني «مَنْ» بلَفْ ... ظِ «الأين» هل هذا من التّبيان
واللّه ما قال الأئمة كلّ ما ... قد قاله من غير ما كتمان
لكن لأن عقولَ أهل زمانهم ... ضاقت بحملِ دقائق الإيمان
وغدت بصائرُهم كخُفَّاش[1] أتى ... ضوء النهار فكفَّ عن طيران
حتى إذا ما الليل جاء ظلامه ... أبصرته يسعى بكُلِّ مكان
وكذا عُقُولُكُمُ لو استشعرتُمُ ... يا قومُ كالحشرات والفئران
أَنِسَتْ بإيحاش الظّلام وما لها ... بمطالع الأنوار قط يدان
لو كان حقًا ما يقول معطِّل ... لعلوِّه وصفاته الرّحمٰن
لزمتْكُمُ شُنَعٌ ثلاثٌ فارتأُوا ... أو خلّة منهن أو ثنتان
تقديمهم في العِلْمِ أو في نُصْحِهم ... أو في البيان أذاك ذو إمكان
إن كان ما قد قلتم حقًّا فقد ... ضلَّ الورى بالوحي والقرآن
إن كان فيهما ضد الذي قلتم وما ... ضدان في المعقول يجتمعان
بل كان أولى أن يعطّل منهما ... ويُحال في علمٍ وفي عرفان
إما على جهمٍ وجعدٍ أو على النّـ ... ـظّام أو ذي المذهب اليوناني
وكذاك أتباعٌ لهم فَقْعُ القَلا ... صُمٌّ وبُكْمٌ تابعو العميان
وكذاك أفراخ القرامطة الألى ... قد جاهروا بعداوة الرّحمٰن
كالحاكمية والألى والوهُمُ ... كأبي سعيد ثم آل سِنَان

(١) وهو الوطواط.

وكذا ابن سينا والنَّصير نصير أَهْـ ـل الشّرك والتكذيب والكفران
وكذاك أفراخ المجوس وشبههم والصابئين وكُلّ ذي بهتان
إخوان إبليس اللعين وجُنده لا مرحبًا بعساكر الشيطان
أفمن حوالته على التنزيل والْـ ـوحي المبين ومُحْكَمِ القُرآن
كَمُحَيَّر أضحت حوالَتُهُ على أمثاله أم كيف يستويان
أم كيف يشعر تائه بمصابه والقلب قد جُعِلَت له قفلان
قفل من الجهل المركَّب فوقه قفل التعصب كيف ينفتحان
ومفاتح الأقفال في يد من له التّـ ـصريف سبحانه العظيم الشان
فاسأله فتح القفل مجتهدًا على الـ أسنان إن الفتح بالأسنان

فصل

هذا وخاتم العشرين وجـ ـهًا هو أقربها إلى الأذهان
سرد النّصوص فإنّها قد نَوّعت طرق الأدلة في أتمٍّ بيان
والنَّظم يمنعني من استيفائها وسياقه الألفاظ بالميزان
فأشير بعض إشارة لمواضعٍ منها وأين البحر من خُلْجان[1]
فاذكر نصوص الاستواء فإنها في سبع آيات من القُرآن
واذكر نصوص الفوق أيضًا في ثلا ثٍ قد غدت معلومة التّبيان
واذكر نصوص علوِّه في خمسة معلومة برئت من النُّقصان
واذكر نصوصًا في الكتاب تضمَّنت تنزيله من ربِّنا الرَّحمٰن
فتضمَّنت أصلين قام عليهما الـ إسلام والإيمان كالبُنْيان
كون الكتاب كلامه سبحانه وعلَّوه من فوق كُلّ مكان
وعدادها سبعون حين تُعَدُّ أو زادت على السَّبعين في الحُسبَان
واذكر نصوصًا ضُمِّنَت رفعًا ومعـ ـراجًا وإصعادًا إلى الدَّيان[2]

---

(١) جمع خليج.
(٢) ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. =

هي خمسة معلومة بالعدِّ والـ ... حسبانِ فاطلبها من القُرآن
ولقد أتى في سورة المُلكِ التي ... تُنجي لقارئها من النِّيران
نصَّان أن اللّه فوق سمائه ... عند المحرف ما هما نصَّان[1]
ولقد أتى التخصيص بالعند الذي ... قلنا بسبع بل أتى بثمان
منها صريحٌ موضعان بسورة الـ ... أعراف ثم الأنبياء الثاني[2]
فتدبَّر النَّصيْنِ وانظر ما الذي ... لسواه ليست تقتضي النّصَّان
وبسورة التحريم أيضًا ثالث ... بادي الظهور لمن له أذنان[3]
ولديه في مزَّمِّل قد بيَّنت ... نفس المراد وقيَّدت ببيان[4]
لا تنقُضُ الباقي فما لمُعَطّلٍ ... من راحة فيها ولا تبيان
وبسورة الشورى وفي مزَّمِّل ... سرٌّ عظيم شأنه ذو شان
في ذكر تفطير السماء فمن يُرِدْ ... عِلمًا به فهو القريب الدّاني[5]
لم يسمح المتأخرون بِنَقْلِهِ ... جُبْنًا وَضَعْفًا عنه في الإيمان
بل قاله المتقدّمون فوارسُ الـ ... إسلام هم أمراء هذا الشان
ومحمَّدُ بن جريرٍ الطبريُّ في ... تفسيره حُكِيَتْ به القولان

= وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥].
وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [الملك: ١٥ ـ ١٧].

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۝٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦].
وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩﴾ [الأنبياء: ١٩].

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم: ١١].

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

(٥) يشير إلى قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨﴾ [المزمل: ١٧، ١٨].

فصل

هـذا وحـاديـهـا وعِـشـرون الـذي ... قـد جـاء فـي الأخـبـار والـقُـرآن
إتـيـان رب الـعـرش جـل جـلالـه ... ومـجـيـئـه لـلفـصـل بـالـمـيـزان[1]
فانظر إلى التّقسيم والتَّنويع في الـ ... ـقـرآن تُـلْفـيـه صـريـح بـيـان
أن الـمـجـيء لـذاتـه لا أمـره ... كَـلّا ولا مـلك عـظـيـم الـشَّـان
إذ ذانـك الأمـران قـد ذُكـرا وبـيْـ ... ـنـهـمـا مـجيء الـربِّ ذي الـغـفـران
واللّه ما احتمل المجيء سوى مجي ... ءِ الـذات بـعـد تـبـيُّـن الـبـرهـان
من أين يأتي يا أولي المعقول إن ... كـنـتـم ذوي عـقـلٍ مـع الـعـرفـان
مـن فـوقـنـا أو تـحـتـنـا أو خَـلْفِـنـا ... أو عـن شـمـائـلـنـا وعـن أيـمـان
واللّه لا يـأتـيـهـم مـن تـحـتـهـم ... أبـدًا تـعـالـى الـلّه ذو الـسّـلـطـان
كَـلّا ولا مـن خـلفـهـم وأمـامـهـم ... وعـن الـشـمـائـل أو عـن الأيـمـان
واللّه لا يـأتـيـهـم إلّا مـن الـ ... ـعُـلْوِ الـذي هـو فـوق كُـلّ مـكـان

فصل
في الإشارة إلى ذلك من السُّنَّة

واذكر حديثًا في الصحيح تضمّنت ... كـلمـاتُـه تـكـذيـبَ ذي الـبـهـتـان
لـمـا قـضـى الـلّه الـخـلـيـقـة ربُّـنـا ... كـتـبـت يـداه كـتـابَ ذي الإحـسـان
وكـتـابـه هـو عـنـده وضـع عـلى الـ ... ـعـرش الـمـجـيـد الـثـابـت الأركـان
إنِّي أنـا الـرّحـمٰـن تـسـبـق رحـمـتـي ... غـضـبـي وذاك لـرأفـتـي وحـنـانـي[2]
ولـقـد أشـار نـبـيُّـنـا فـي خـطـبـةٍ ... نـحـو الـسـمـاء بـأصـبـعٍ وبـنـان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨]
وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

(٢) يشير إلى قوله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي» وقد تقدم تخريجه.

مستشهدًا ربَّ السمٰوات العلى ... ليرى ويسمع قولهُ الثّقلان
أتراه أمسى للسَّما مستشهدًا ... أم للذي هو فوق ذي الأكوان[١]
ولقد أتى في رقية المرضى عن الـ ... ـهادي المبين أتمّ ما تبيان
نصٌّ بأن اللّه فوق سمائه ... فاسمعه إن سمحت لك الأذنان[٢]
ولقد أتى خبر رواه عمُّه الـ ... ـعبّاس صِنْوُ أبيه ذو الإحسان
أن السمٰوات العُلَى من فوقها الـ ... ـكرسي عليه العرش للرَّحمٰن
واللّه فوق العرش يُبْصر خلقه ... فانْظُرْه إن سمحت لك العينان[٣]
واذكر حديث حصين بن المنذر الث ... ـقة الرضا أعني أبا عمران
إذ قال ربي في السماء لرغبتي ... ولرهبتي أدعوه كُلّ أوان[٤]

---

(١) يشير إلى ما ذكره النبي ﷺ في خطبة الوداع، كما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه، وقد تقدم تخريجه.

(٢) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه برقم (٣٨٩٢) وأحمد في المسند (٦/ ٢١) وغيرهما من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع. فيبرأ».
والحديث ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف سنن أبي داود برقم (٨٣٩).

(٣) يشير إلى حديث الأوعال الذي أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٧٢٣) والترمذي في سننه برقم (٣٣٢٠) وابن ماجه في سننه برقم (١٨١) وأحمد في المسند (١/ ٢٠٦) من حديث العباس رضي الله عنه قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب، قال: «والمزن» قالوا: والمزن، قال: «والعنان»، قالوا: والعنان قال: «هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟»قالوا: لا ندري، قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك» حتى عدّ سبع سماوات، «ثم فوق السماء بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك».
والحديث ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف سنن أبي داود برقم (١٠١٤).

(٤) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٤٨٣) وأحمد في المسند (٤/ ٤٤٤) مختصرًا، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لأبي: «يا حصين كم تعبد اليوم إلٰهًا؟» قال أبي: سبعة، ستة في الأرض، وواحد في السماء، قال: «فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء، قال: «يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك =

فـأقـرّه الـهـادي الـبـشـيـرُ ولـم يـقُـل أنـت الـمـجـسِّـم قـائـلٌ بـمـكـان
حـيَّـزت بـل جَـهَّـيْـت بـل شـبَّـهـت بـل جـسَّـمـت لـسـت بـعـارف الـرّحـمٰـن
هـذي مـقـالـتـهـم لـمـن قـد قـال مـا قـد قـالـه حـقًّـا أبـو عـمـران
فـالـلّه يـأخـذ حـقـه مـنـهـم ومـن أتـبـاعـهـم فـالـحـق لـلـدّيّـانِ
واذكـر شـهـادتـهُ لـمـن قـال ربـ ـي في الـسـمـا بـحـقـيـقـة الإيـمـان[1]
وشـهـادة الـعـدل الـمُـعَـطّـل لـلـذي قـد قـال ذا بـحـقـيـقـة الـكـفـران
واحـكـم بـأيـهـمـا تـشـاء وإنـنـي لأراك تـقـبـلُ شـاهـد الـبُـطـلان
إن كنت من أتباع جهم صاحب التّـ ـعـطـيـل والـعـدوان والـبـهـتـان
واذكـر حـديثًـا لابـن اسـحـاق الـرّضـا ذاك الـصَّـدوق الـحـافـظ الـرَّبـانـي
في قـصـة استسقائهم يستشفعو ن إلـى الـرّسـول بـربـه الـمـنـان
فـاستـعـظَـمَ الـمـخـتـارُ ذاك وقـال شـأ ن الـلّه ربّ الـعـرش أعـظـمُ شـأن
الـلّه فـوق الـعـرش فـوق سـمـائـه سـبـحـان ذي الـمـلـكـوت والـسّـلـطـان
ولـعـرشِـهِ مـنـه أطـيـطٌ مـثـل مـا قـد أطَّ رحـلُ الـراكـب الـعـجـلان[2]
لـلّه مـا لـقـي ابـنُ إسـحـاقٍ مـن الـ ـجـهـمـي إذ يـرمـيـه بـالـعـدوان
ويـظـلّ يـمـدحـه إذا كـان الـذي يـروي يـوافـق مـذهـب الـطّـعّـان

= كلمتين تنفعانك» قال: فلما أسلم حصين، قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال: «قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي».
والحديث ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف سنن الترمذي برقم (٦٩٠).

(١) يشير إلى حديث الجارية التي سألها النبي ﷺ «أين الله؟» فقالت: في السماء، فقال لمعاوية ابن الحكم رضي الله عنه: «أعتقها فإنها مؤمنة».
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٥٣٧).

(٢) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٧٢٦) وغيره من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول؟» وسبّح رسول الله ﷺ، فما زال يسبّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك، أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبة عليه «وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب».
والحديث ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف سنن أبي داود برقم (١٠١٧).

كم قد رأينا منهُمُ أمثال ذا ... فالحكم للّه العليِّ الشان
هذا هو التطفيفُ لا التّطفيف في ... ذَرْعٍ ولا كَيْلٍ ولا ميزان
واذكر حديث نزوله نصف الدّجى ... في ثلث ليل آخر أو ثان[1]
فنزول ربٍّ ليس فوق سمائه ... في العقل ممتنع وفي القُرآن
واذكر حديث الصَادق ابن رواحة ... في شأن جارية لدى الغشيان
فيه الشهادة أنَّ عرش اللَّه فو ... ق الماء خارجَ هذه الأكوان
واللَّه فوق العرش جل جلاله ... سبحانه عن نفي ذي البُهتان
ذكر ابن عبد البرِّ في استيعابه ... هذا وصححه بلا نكران
وحديثُ معراج الرَّسول فثابت ... وهو الصريح بغاية التِّبيان
وإلى إلٰه العرش كان عروجه ... لم يختلف من صحبه رجلان[2]
واذكر بقصة خندق حُكمًا جرى ... لقريظة من سعدٍ الرَّبَّاني
شهد الرَّسول بأن حكم إلٰهنا ... من فوق سبع وَفْقُهُ بوزان[3]
واذكر حديثًا للبراء رواه أصـ ... ـحاب المساند منهم الشيباني[4]

---

(١) حديث النزول متفق عليه، وقد تقدم تخريجه.
(٢) حديث الإسراء والمعراج متفق عليه، وقد تقدم تخريجه.
(٣) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه بالأرقام (٣٠٤٣، ٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٧٦٨) في قصة تحكيم سعد بن معاذ ﷺ في أهل قريظة وأنه قضى بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم، فقال النبي ﷺ: «قضيت بحكم الله» وفي لفظ: «بحكم الملك» وفي رواية عند البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٢١): «لقد حكمت بحكم الله تعالى الذي حكم به من فوق سبع سماوات».
(٤) يشير إلى حديث البراء ﷺ الطويل في بيان حال الروح إذا فارقت الجسد وأوله: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة...» الحديث وفيه: «فيصعدون بها ـ يعني الروح ـ فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقرّبوها، إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾» الحديث.
أخرجه أبو داود في سننه رقم (٤٧٥٣) وأحمد في المسند (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، ٢٩٥) وغيرهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (ص١٩٨ ـ ٢٠٢).

وأبو عوانة ثم حاكمنا الرضا ... وأبو نعيم الحافظ الربّاني
قد صحّحوه وفيه نصٌّ ظاهرٌ ... ما لم يحرِّفه أولو العدوان
في شأن رُوح العبد عند وداعها ... وفراقها لمساكن الأبدان
فتظلّ تصعد في سماء فوقها ... أخرى إلى خلّاقها الرّحمٰن
حتى تصيرَ إلى سماءٍ ربُّها ... فيها وهذا نصّه بأمان
واذكر حديثًا في الصحيح وفيه تحـ ... ـذير لذات البعل من هجران
من سخط ربٍّ في السماء على التي ... هجرت بلا ذنب ولا عدوان[1]
واذكر حديثًا قد رواه جابر ... فيه الشفاء لطالب الإيمان
في شأن أهل الجنة العليا وما ... يلقون من فَضْلٍ ومن إحسان
بَيْنَا هُمُ في عيشهم ونعيمهم ... وإذا بنور ساطع الغَشَيان
لكنَّهم رفعوا إليه رؤوسهم ... فإذا هو الرّحمٰن ذو الغفران
فيسلِّم الجبَّار جلَّ جلاله ... حقًّا عليهم وهو ذو الإحسان[2]
واذكر حديثًا قد رواه الشافعي ... طريقه فيه أبو اليقظان
في فضل يوم الجمعة اليوم الذي ... بالفضل قد شهدت له النَّصَّان
يوم استواء الربّ جل جلاله ... حقًّا على العرش العظيم الشان[3]

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥١٩٤) ومسلم في صحيحه برقم (١٤٣٦) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها».

(٢) يشير إلى ما أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٨٤) والبغوي في تفسيره (٧/ ٢٣) من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وقال: ذلك قول الله عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، ولا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم».
والحديث ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٣).

(٣) يشير إلى ما أخرجه الشافعي في الأم (١/ ١٨٥) وفي المسند برقم (٣٧٤) وغيره من حديث أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل في كفه كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء، فقلت: ما هذا الذي في يدك؟ قال: الجمعة. قلت: وما الجمعة؟ =

واذكر مقالته ألست أمين من ... فوق السماء الواحد الرّحمٰن[1]
واذكر حديث أبي رزين ثم سُقْـ ... ـقه بطوله كم فيه من عرفان
واللّه ما لمعطِّل بسماعه ... أبدًا قوىً إلّا على النُّكران
فأصول دين نبيِّنا فيه أتت ... في غاية الإيضاح والتِّبيان
وبطوله قد ساقه ابن إمامنا ... في سنة والحافظ الطَّبراني
وكذا أبو بكرٍ بتاريخٍ له ... وأبوه ذاك زهير الربَّاني
واذكر كلام مجاهدٍ في قوله ... أقم الصَّلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحمد ... ما قيل ذا بالرَّأي والحسبان
إن كان تجسيمًا فإن مجاهدًا ... هو شيخهم بل شيخه الفوقاني
وقد أتى ذكر الجلوس به وفي ... أثرٍ رواه جعفر الربَّاني
أعني ابن عمِّ نبيِّنا وبغيره ... أيضًا والحقُّ ذو التبيان
والدارقطنيُّ الإمام يثبِّت الـ ... ـآثار في ذا الباب غير جبان
وله قصيد ضُمِّنَتْ هذا وفيـ ... ـها لست للمروي ذا نكران
وجرت لذلك فتنة في وقته ... من فرقة التعطيل والعدوان
واللَّهُ ناصرُ دينهِ وكتابه ... ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حربه ... ذا حكمة مذ كانت الفئتان
وقد اقتصرت على يسيرٍ من كثيـ ... ـرٍ فائتٍ للعدِّ والحسبان
ما كُلُّ هذا بقابل التأويل بالتـ ... ـحريف فاستحيُوا من الرّحمٰن

= قال: لكم فيها خير، وهو عندنا سيد الأيام، ونحن نسميه يوم القيامة: المزيد، قلت: ولم ذاك؟ قال: لأن الرب تبارك وتعالى اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة ينزل على كرسيه من عليين، . . .» الحديث بطوله.

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٣٥١) ومسلم في صحيحه برقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة تقسيم النبي ﷺ الغنائم واعتراض أحد الناس على تلك القسمة، وفيه قول النبي ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً».

فصل
في جناية التأويل على ما جاء به الرّسول
والفرق بين المردود منه والمقبول

هـذا وأصـلُ بـليَّـة الإسـلام مـن ... تـأويـل ذي الـتَّـحـريـف والـبـطـلان
وهـو الـذي قـد فـرَّق الـسَّـبـعـين بـل ... زادت ثـلاثًـا قـول ذي الـبُـرهـان[1]
وهـو الـذي قـتـل الـخـلـيـفـة جـامـع الـ ... ـقُـرآن ذا الـنّـوريـن والإحـسـان
وهـو الـذي قـتـل الـخـلـيـفـة بـعـده ... أعـنـي عـليًّـا قـاتـل الأقـران
وهـو الـذي قـتـل الـحـسـيـن وأهـله ... فـغـدوا عـليـه مـمـزَّقـي الـلُّـحـمـان
وهـو الـذي فـي يـوم حـرَّتـهـم أبـا ... حَ حـمـى الـمـديـنـة مـعـقـل الإيـمـان
حـتـى جـرت تـلك الـدمـاء كـأنـهـا ... فـي يـوم عـيـدٍ سُـنَّـةُ الـقـربـان
وغـدا لـه الـحـجَّـاج يـسـفِـكُـهـا ويـقـ ... ـتـلُ صـاحـب الإيـمـان والـقُـرآن
وجـرى بـمـكَّـة مـا جـرى مـن أجـله ... مـن عـسـكـر الـحـجَّـاج ذي الـعُـدوان
وهـو الـذي أنـشـا الـخـوارج مـثـلـمـا ... أنـشـا الـروافـض أخـبـث الـحـيـوان
ولأجـله شـتـمـوا خـيـار الـخـلـق بـعـ ... ـد الـرُّسـل بـالـعـدوان والـبـهـتـان
ولأجـله سـلَّ الـبـغـاة سـيـوفـهـم ... ظـنًّـا بـأنـهـم ذوو إحـسـان
ولأجـله قـد قـال أهـل الاعـتـزا ... ل مـقـالـةً هـدَّت قُـوى الإيـمـان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٥٩٦) والترمذي في سننه برقم (٢٦٤٠) وابن ماجه في سننه برقم (٣٩٩١) وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة،وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».
وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار. وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة. والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «الجماعة».
والحديث صححه العلامة الألباني ﷺ في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٢٢٥، ٣٢٢٦).

ولأجله قالوا بأن كلامه ... سبحانه خلق من الأكوان
ولأجله قد كذَّبت بقضائه ... شبه المجوس العابدي النِّيران
ولأجله قد خلَّدوا أهل الكبا ... ئر في الجحيم كعابدي الأوثان
ولأجله قد أنكروا لشفاعة الـ ... ـمختار فيهم غاية النّكران
ولأجله ضُرب الإمامُ بسوطهم ... صديق أهل السُّنَّة الشَّيباني
ولأجله قد قال جَهْمٌ ليس ربُّ ... العرش خارج هذه الأكوان
كَلَّا ولا فوق السمٰوات العلى ... والعرش من ربٍّ ولا رحمٰن
ما فوقها ربٌّ يطاع جباهنا ... تهوي له بسجود ذي خضعان
ولأجله جُحِدَتْ صفات كماله ... والعرش أخلوه من الرّحمٰن
ولأجله أفنى الجحيم وجنة الـ ... ـمأوى مقالة كاذب وفتَّان
ولأجله قال الإلٰه معطِّل ... أزلاً بغير نهاية وزمان
ولأجله قد قال ليس لفعله ... من غاية هي حكمة الديَّان
ولأجله قد كذّبوا بنزوله ... نحو السماء بنصف ليل ثان
ولأجله زعموا الكتاب عبارةً ... وحكايةً عن ذلك القُرآن
ما عندنا شيء سوى المخلوق والـ ... ـقرآن لم يسمع من الرَّحمٰن
مَا ذَا كلام اللّه قط حقيقةً ... لكن مجاز ويح ذي البُهتان
ولأجله قُتِل ابنُ نصر أحمد ... ذاك الخزاعيُّ العظيم الشَّان
إذ قال ذا القُرآن نفسُ كلامه ... ما ذاك مخلوقًا من الأكوان
وهو الذي جر ابن سينا والألى ... قالوا مقالته على الكفران
فتأولوا خلق السموات العلى ... وحدوثها بحقيقة الإمكان
وتأولوا علم الإلٰه وقوله ... وصفاته بالسلب والبطلان
وتأولوا البعث الذي جاءت به ... رسل الإلٰه لهذه الأبدان
بفراقها لعناصر قد رُكّبت ... حتى تعود بسيطة الأركان
وهو الذي جرّ القرامطة الأُلى ... يتأولون شرائع الإيمان
فتأولوا العَمَلِيّ مثل تأوّل الـ ... ـعلمي عندكم بلا فرقان
وهو الذي جر النصير وحزبه ... حتى أَتَوْا بعساكر الكفران

فجرى على الإسلام أعظم محنة ... وخمارها[1] فينا إلى ذا الآن

وجميع ما في الكون من بِدعٍ وأحْـ ... ـدَاثٍ تخالف موجبَ القرآن

فأساسُها التأويل ذو البطلان لا ... تأويل أهل العلم والإيمان

إذ ذاك تفسير المراد وكشفه ... وبيان معناه إلى الأذهان

قد كان أعلم خلقه بكلامه ... صلى عليه اللّه كُلَّ أوان

يتأوَّل القُرآن عند ركوعه ... وسجوده تأويل ذي برهان

هذا الذي قالته أم المؤمنيـ ... ـن حكايةً عنه لها بلسان

فانْظُرْ إلى التأويل ما تعني به ... خير النساء وأفْقَهُ النِّسوان

أتظنّها تعني به صرفًا عن الـ ... ـمعنى القويِّ لغير ذي الرُّجحان

وانظر إلى التأويل حين يقول عَلّـ ... ـمْهُ لعبد اللّه في القُرآن

ماذا أراد به سوى تفسيره ... وظهور معناه له ببيان

قول ابن عبَّاس هو التَّأويل لا ... تأويل جهميٍّ أخي بهتان

وحقيقة التَّأويل معناه الرُّجو ... ع إلى الحقيقة لا إلى البطلان

وكذاك تأويل المنام حقيقة الـ ... ـمرئيِّ لا التحريف بالبهتان

وكذاك تأويل الذي قد أخبرت ... رسل الإلٰه به من الإيمان

نفس الحقيقة إذ تشاهدها لدى ... يوم المعاد برؤية وعيان

لا خُلْفَ بين أئمة التفسير في ... هذا وذلك واضح البرهان

هذا كلام اللّه ثُمَّ رسوله ... وأئمة التفسير للقرآن

تأويله هو عندهم تفسيره ... بالظاهر المفهوم للأذهان

ما قال منهم قط شخص واحد ... تأويله صرف عن الرحجان

كَلّا ولا نفي الحقيقة لا ولا ... عَزْلُ النُّصوص عن اليقين فذان

تأويل أهل الباطل المردود عنـ ... ـد أئمة العرفان والإيمان

وهو الذي لا شك في بطلانه ... واللّه يقضي فيه بالبطلان

فجعلتم للَّفظ معنىً غير معـ ... ـناه لديهم باصطلاح ثان

---

(١) الخُمار: بقية السكر والصداع العارض من الخمر.

وَحَمَلْتُمُ لفظ الكتاب عليه حتـ ... ـى جاءكم من ذاك محذوران
كَذِبٌ على الألفاظ مع كذب على ... من قالها كذبان مقبوحان
وتلاهما أمران أقبح منهما ... جحد الهدى وشهادة البهتان
إذ يشهدون الزور أن مراده ... غير الحقيقة وهي ذو بطلان

فصل
فيما يلزم مدعي التأويل لتصحّ دعواه

وعَلَيْكم في ذا وظائف أربع ... واللّه ليس لكم بهنَّ يدان
منها دليل صارف للَّفظ عن ... موضوعه الأصليِّ بالبرهان
إذ مدَّعي نفس الحقيقة مدَّع ... للأصل لم يحتج إلى برهان
فإذا استقام لكم دليل الصَّرف يا ... هيهات طولبتم بأمرٍ ثان
وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي ... قلتم هو المقصود بالتبيان
فإذا أتيتم ذاك طولبتم بأمـ ... ـرٍ ثالث من بعد هذا الثَّاني
إذ قلتم إن المراد كذا فما ... ذا دلَّكم أتخرُصُ الكهَّان
هب أنه لم يقصد الموضوع لـ ... كن قد يكون القصد معنى ثاني
غير الذي عَيّنْتُمُوه وقد يكو ... ن اللفظ مقصودًا بدون معان
لتعبدٍ وتلاوةٍ ويكون ذا ... ك القصدُ أنفع وهو ذو إمكان
من قصد تحريف لها يُسمَّى بتأ ... ويلٍ مع الإتعاب للأذهان
واللّه ما القصدان في حدِ سوا ... في حكمة المتكلم المنّان
بل حكمة الرّحمٰن تبطل قَصْدَه التـ ... ـحريف حاشا حكمة الرّحمٰن
وكذاك تبطل قصده إنزالها ... من غير معنى واضح التبيان
وهما طريقا فِرْقَتَيْن كلاهما ... عن مقصد القُرآن منحرفان

فصل
في طريقة ابن سينا وذويه
من الملاحدة في التأويل

وأتى ابن سينا بعد ذا بطريقةٍ ... أخرى ولم يأنف من الكفران

قال المرادُ حقائقُ الألفاظ تَخْـ ـيلاً وتقريبًا إلى الأذهان
عجزت عن الإدراك للمعقول إلا في مثال الحس كالصبيان
كي يبرز المعقولُ في صورٍ من الـ ـمحسوس مقبولاً لدى الأذهان
فتسلُّط التأويل إبطال لهـ ـذا القصد وهو جناية من جان
هذا الذي قد قاله مع نفيه لحقائق الألفاظ في الأعيان
وطريقة التأويل أيضًا قد غدت مشتقَّة من هذه الخلجان[1]
وكلاهما اتفقا على أن الحقيـ ـقة منتفٍ مضمونها ببيان
لكن قد اختلفا فعند فريقكم ما إن أريدت قط بالتّبيان
لكنَّ عندهُمُ أريد ثبوتها في الذهن إذ عدمت من الأعيان
إذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم وطريقة البرهان أمر ثان
فكلاهما ارتكبا أشدّ جناية جُنِيَتْ على القُرآن والإيمان
جعلوا النُّصوص لأجلها غرضًا لهم قد خَرَّقُوه بِأَسْهُمِ الهذيان
وتسلّط الأوغاد والأوقاح والـ ـأرذال بالتحريف والبهتان
كُلّ إذا قابلته بالنَّصِّ قا بلَه بتأويلٍ بلا برهان
ويقول تأويلي كتأويل الذيـ ـن تأولوا فوقية الرّحمٰن
بل دونه فظهورها في الوحي بالنَّصَّين مثل الشمس في التِّبيان
أيسوغ تأويل الصفات مع أنها ملء الحديث وملء ذا القُرآن
واللَّه تأويل العلوِّ أشد من تأويلنا لقيامة الأبدان
وأشدّ من تأويلنا لحياته ولعلمه بمشيئة الأكوان
وأشدّ من تأويلنا لحدوث هـ ـذا العالم المحسوس بالإمكان
وأشدّ من تأويلنا بعض الشرا ئع عند ذي الإنصاف والميزان
وأشدّ من تأويلنا لكلامه بالفيض من فعَّال ذي الأكوان
وأشدّ من تأويل أهل الرفض أخـ ـبار الفضائل حازها الشَّيخان
وأشدُّ من تأويل كُلّ مؤوِّلٍ نصًّا أبان مراده الوحيان

---

(١) جمع خليج.

إذ صرَّح الوحيان مع كتب الإلٰه ... جميعها بالفوق للرَّحمٰن
فلأيّ شيءٍ نحن كفّار بهذا التـ ... ـأويل بل أنتم على الإيمان
إنا تأولنا وأنتم قد تأو ... لتم فهاتوا واضح الفرقان
ألكم على تأويلكم أجران حَيْـ ... ـثُ لنا على تأويلنا وزران
هذي مقالتهم لكم في كتبهم ... منها نقلناها بلا عدوان
رُدُّوا عليهم إن قدرتم أو فَنَحّـ ... ـوا عن طريق عساكر الإيمان
لا تحطمنَّكم جنودهم كَحَطْـ ... ـم السيل ما لاقى من الديدان
وكذا نُطالبكم بأمر رابع ... واللّه ليس لكم بذي إمكان
وهو الجواب عن المعارض إذ به الدَّ ... عوى تتمّ سليمة الأركان
لكنّ ذا عينُ المحال ولو يسا ... عدكم عليه كلّ ربِّ لسان
فأدلة الإثبات حقٌّ لا تقو ... م لها الجبال وسائر الأكوان
تنزيل ربِّ العالمين ووحيُهُ ... مع فطرةِ الرَّحمٰن والبُرهان
أنَّى يعارضها كُناسَةُ[1] هذه ... الأذهان بالشبهات والهذيان
وجعاجع وفراقع ما تحتها ... إلّا السّرابُ لواردٍ ظمآن
فلتهنِكُم هذي العُلُوم اللَّاء قد ... ذخرت لكم عن تابعي الإحسان
بل عن مشايخهم جميعًا ثم وُفِّـ ... ـقْتُمْ لها من بعْدِ طول زمان
واللّه ما ذُخِرت لكم لفضيلةٍ ... لكم عليهم يا أولي النُّقصان
لكن عقولُ القوم كانت فوق ذا ... قدرًا وشأنُهُم فأعظم شَان
وهُمُ أجلُّ وعِلْمُهُم أَعلى وأشـ ... ـرَفُ أن يشاب بزخرف الهذَيان
فلذاك صانهم الإلٰه عن الذي ... فيه وقعتم صون ذي إحسان
سميتم التحريف تأويلا كذا التّـ ... ـعْطيل تنزيهًا هما لقبان
وأضفتُمُ أمرًا إلى ذا ثالثًا ... شرًا وأقبح منه ذا بُهتان
فجعلتمُ الإثبات تجسيمًا وتشـ ... ـبيهًا وذا من أقبح العدوان
فقلبتم تلك الحقائق مثلما ... قُلِبَتْ قلوبكم عن الإيمان

(١) الكناسة: القمامة.

وجعلتم الممدوح مذمومًا كذا ... بالعكس حتى تمّت اللّبسان
وأردتم أن تُحْمَدوا بالاتّبا ... ع نعم لكن لمن يا فرقة البهتان
وبغيتم أن تنسبوا للابتدا ... ع عساكر الآثار والقُرآن
وجعلتم الوحيين غير مفيدةٍ ... للعِلم والتَّحقيق والبُرهان
لكن عقولُ الناكبين عن الهدى ... لهما تفيد ومنطق اليونان
وجعلتم الإيمان كفرًا والهدى ... عين الضَّلال وذا من الطُّغيان
ثم اسْتَخَفَّيْتُم عقولاً ما أرا ... د اللّه أن تزكو على القُرآن
حتى استجابوا مهطعين[1] لدعوة التَّ ... عطيل قد هربوا من الإيمان
يا ويحهم لو يشعرون بمن دعا ... ولما دعا قعدوًا قعود جَبَانِ

فصل

في تشبيه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم وبراءة أهل الإثبات مما رموهم به من هذا الشبه

هذا وثم بليَّة مستورة ... فيهم سأبديها لكم ببيان
وَرِثَ المحرّفُ من يهود وهم أولو التـ ... ـحريف والتبديل والكتمان
فأراد ميراث الثلاثة منهم ... فعصت عليه غاية العصيان
إذ كان لفظ النصّ محفوظًا فما التّـ ... ـبْديل والكتمان في الإمكان
فأراد تبديل المعاني إذ هي الـ ... ـمقصود من تعبير كُلّ لسان
فأتى إليها وهي بارزة من الـ ... ألفاظ ظاهرة بلا كتمان
فنفى حقائقها وأعطى لفظها ... معنى سوى موضوعه الحقَّاني
فجنى على المعنى جناية جاحدٍ ... وجنى على الألفاظ بالعدوان
وأتى إلى حزب الهدى أعطاهم ... شَبَهَ اليهود وذا من البهتان
إذ قال إنهم مشبَّهة وأنـ ... ـتم مِثْلُهُم فمن الذي يَلْحَانِي[2]

---

(١) أي مسرعين.
(٢) يلحاني أي يلومني.

في هتك أستار اليهود وشِبْهِهِم ... من فرقة التحريف للقرآن
يا مسلمين بحقّ ربّكم اسمعوا ... قولي وعوه وَعْيَ ذي عرفان
ثم احكموا من بعد من هذا الذي ... أولى بهذا الشِّبه بالبرهان
أُمِرَ اليهود بأن يقولوا حطَّةٌ ... فأبوا وقالوا حنطةٌ لهوان[1]
وكذلك الجهمي قيل له استوى ... فأبى وزاد الحرف للنّقصان
قال استوى «استولى» وذا من جهله ... لغةً وعقلاً ما هما سيَّان
عشرون وجهًا تبطل التأويل باسـ ... ـتولى فلا تخرج عن القُرآن
قد أُفردت بمصنف هو عندنا ... تصنيف حبر عالم رباني
ولقد ذكرنا أربعين طريقة ... قد أبطلت هذا بحسن بيان
هي في الصواعق أن ترد تحقيقها ... لا تختفي إلّا على العميان
نون اليهود ولام جهميٍّ هما ... في وحي ربّ العرش زائدتان
وكذلك الجهمي عَطّل وصفه ... ويهود قد وصفوه بالنُّقصان
فهما إذًا في نفيهم لصفاته الـ ... ـعليا كما بيّنْتُه أَخَوان

فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الإثبات بفرعون وقولهم إن مقالة العلوِّ عنه أخذوها وأنهم أولى بفرعون وهم أشباهه

ومن العجائب قولهم فرعون مذ ... هبه العلوُّ وذاك في القُرآن
ولذاك قد طلب الصُّعُود إليه بالصَّـ ... ـرْح الذي قد رام من هامان[2]
هذا رأيناه بكتبهم ومن ... أفواههم سمعًا إلى الآذان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩].

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

فاسمع إذًا من ذا الذي أولى بفر ... عون المُعَطّل جاحد الرّحمٰن
وانظر إلى من قال موسى كاذب ... حين ادعى فوقيَّة الرّحمٰن
فمن المصائب أن فِرْعَوْنِيَّكُم ... أَضْحى يكفّر صاحب الإيمان
ويقول ذاك مبدِّل للدِّين سا ... عٍ بالفساد وذا من البهتان
إن المورّث ذا لهم فرعون حيـ ... ـن رمى به المولود من عمران
فهو الإمام لهم وهاديهم ومتـ ... ـبوع يقودهم إلى النِّيران
هو أنكر الوصفين وصف الفوق والتـ ... ـكليم إنكارًا على البهتان
إذ قصده إنكار ذات الربِّ فالتّـ ... ـعطيل مرقاة لذا النُّكران
وسواه جاء بسلّم وبآلةٍ ... وأتى بقانون على بنيان
وأتى بذاك مفكّرًا ومقدّرًا ... ورث الوليد العابد الأوثان
وأتى إلى التعطيل من أبوابه ... لا من ظهور الدار والجدران
وأتى به في قالب التنزيه والتـ ... ـعظيم تلبيسًا على العميان
وأتى إلى وصف العلوِّ فقال ذا التـ ... ـجسيم ليس يليقُ بالرَّحمٰن
فاللفظ قد أنشاه من تلقائه ... وكساه وصف الواحد المنَّان
والنَّاس كلُّهم صبيُّ العقل لم ... يبلغ ولو كانوا من الشِّيخان
إلّا أناسًا سلّموا للوحي هم ... أهل البلوغ وأعقل الإنسان
فأتى إلى الصبيان فانقادوا له ... كالشاء إذ تنقاد للجوبان[1]
فانْظُرْ إلى عقلٍ صغيرٍ في يدي ... شيطانٍ ما يلقى من الشيطان

فصل
في بيان تدليسهم وتلبيسهم الحق بالباطل

قالوا إذا قال المجسِّم ربُّنا ... حقًّا على العرش استوى بلسان
فسلُوهُ كم للعرش معنى واستوى ... أيضًا له في الوضع خمس معان
و«على» فكم معنىً لها أيضًا لدى ... عمرو فداك إمام هذا الشان

(١) وهو الراعي والحارس.

بيّن لنا تلك المعاني والذي ... منها أريد بواضح التّبيان
فاسمع فذاك معطّل هذي الجعا ... جع ما الذي فيها من الهذيان
قل للمُجَعْجِعِ ويلك اعقل ذا الذي ... قد قُلْتَهُ إن كنت ذا عرفان
العرش عرش الربِّ جلَّ جلاله ... واللَّام للمعهود في الأذهان
ما فيه إجمال ولا هُوَ مُوهِمٌ ... نقل المجاز ولا له وضعان
ومحمد والأنبياء جميعهم ... شهدوا به للخالق الرّحمٰن
منهم عرفناه وهم عرفوه من ... رب عليه قد استوى ديَّان
لم تفهم الأذهان منه سرير بل ... قيس ولا بيتًا على أركان
كَلّا ولا عرشًا على بحر ولا ... عرشًا لجبريلٍ بلا بنيان
كَلّا ولا العرش الذي إن ثُلَّ[1] من ... عبد هوى تحت الحضيض الدَّاني
كَلّا ولا عرش الكروم وهذه الـ ... أعناب في حرثٍ وفي بستان
لكنّها فهمت بحمد اللّه عر ... ش الربِّ فوق جميع ذي الأكوان
وعليه ربُّ العالمين قد استوى ... حقًّا كما قد جاء في القُرآن
وكذا استوى الموصول بالحرف الذي ... ظهر المراد به ظهور بيان
ما فيه إجمال ولا هو مفهم ... للاشتراك ولا مجازٍ ثان
تركيبه مع حرف الاستعلاء نصٌّ ... في العلوِّ بوضع كُلّ لسان
فإذا تركَّب مع «إلى» فالقصد مع ... معنى العلوِّ لوصفه ببيان
وإلى السماء قد استوى فمقيَّد ... بتمام صنعتها مع الإتقان
لكن على العرش استوى هو مطلق ... من بعدِ ما قد تمّ بالأركان
لكنّما الجهميُّ يقصر فهمه ... عن ذا فتلك مواهب المنَّان
فإذا اقتضى واو المعية كان مع ... ناه استواء مُقَدَّمٍ والثاني
فإذا أتى من غير حرف كان مع ... ناه الكمال فليس ذا نقصان
لا تلبسوا بالباطل الحقّ الذي ... قد بيَّن الرّحمٰن في الفرقان
و«على» للاستعلاء فهي حقيقة ... فيه لدى أرباب هذا الشَّان

(١) أي هُدم وزال.

وكذلك الرّحمٰن جلَّ جلالُه ... لم يحتمل معنى سوى الرَّحمٰن
يا ويحه بعماه لو وجد اسمه الر ... حمن محتملاً لخمس معان
لقضى بأن اللَّفظ لا معنى له ... إلّا التلاوة عندنا بلسان
فلذاك قال أئمَّة الإسلام في ... معناه ما قد ساءكم ببيان
ولقد أحلناكم على كتبٍ لهم ... هي عندنا واللّه بالكيمان[1]

فصل
في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها

واللفظ منه مفرد ومركّب ... في الاعتبار فما هما سِيّان
واللفظ بالتركيب نص في الذي ... قصد المخاطب منه بالتّبْيان
أو ظاهر فيه وذا من حيث نِسْـ ... ـبَتُهُ إلى الأفهام والأذهان
فيكون نصًّا عند طائفة وعـ ... ـند سواهم هو ظاهر التّبيان
ولدى سواهم مُجْمَلٌ لم يتّضح ... لَهُمُ المراد به اتِّضاح بيان
فالأولون لإلفهم ذاك الخطا ... ب وإلفِهِمْ معناه طول زمان
طال المراس[2] لهم لمعناه كما اشـ ... ـتدّت عنايتهم بذاك الشان
والعلم منهم بالمخاطِبِ إذ هُمُ ... أولى به من سائر الإنسان
ولهم أتمُّ عنايةٍ بكلامه ... وقصوده مع صحَّة العرفان
فخطابه نصٌّ لديهم قاطع ... فيما أريد به من التِّبيان
لكنَّ من هو دونهم في ذاك لم ... يقطع بِقَطْعِهِمُ على البرهان
ويقول يظهر ذا وليس بقاطع ... في ذهنه ولا سائر الأذهان
ولإلفه لكلام من هو مقتد ... بكلامه من عالم الأزمان
هو قاطع بمراده فكلامُهُ ... نصٌّ لديه واضح التبيان

---

(١) وهو التل المشرق.
(٢) المراس: الممارسة.

والفتنة العظمى من المتسلق المخ ... مدوع ذي الدعوى أخي الهذيان
لم يعرف العلم الذي فيه الكلا ... م ولا له إلف بهذا الشان
لكنّه منه غريب ليس من ... سُكّانه كَلّا ولا الجيران
فهو الزنيم دَعِيُّ قوم لم يكن ... منهم ولم يَصْحَبْهُمُ بمكان
فكلامُهُم أبدًا إليه مُجْمَلٌ ... وبمَعْزِلٍ عن إمرة الإيقان
شَدّ التجارة بالزيوف يخالها ... نقدًا صحيحًا وهو ذو بطلان
حتى إذا رُدَّت إليه نالَه ... من ردّها خزيٌ وسوءُ هوان
فأراد تصحيحًا لها إذ لم يكن ... نقد الزيوف يروجُ في الأثمان
ورأى استحالة ذا بدون الطّعن في ... باقي النُّقود فجاء بالعدوان
واستعرض الثمن الصحيح بجهله ... وبظلمه يبغيه بالبهتان
عوجًا ليسلم نقده بين الورى ... ويَروُجَ فيهم كامل الأوزان
والنّاس ليسوا أهل نقد للذي ... قد قيل إلَّا الفرد في الأزمان
والزَّيف بينهم هو النَّقد الذي ... قد راج في الأسفار والبلدان
إذ هم قد اصطلحوا عليه وارتضوا ... بجوازه جهرًا بلا كتمان
فإذا أتاهم غيره ولو أنّه ... ذهب مصفّى خالص العِقْيان
ردُّوه واعتذروا بأنَّ نقودهم ... من غيره بمراسم السّلطان
فإذا تعاملنا بنقد غيره ... قُطِعَت جوامِكُنَا[1] من الدِّيوان
واللَّه منهم قد سمِعنا ذا ولم ... نكذب عليهم ويح ذي البهتان
يا من يريد تجارةً تنجيه من ... غضب الإلٰه وموقد النيران
وتفيده الأرباح بالجَنّات والـ ... ـحور الحسان ورؤية الرّحمٰن
في جنَّةٍ طابت ودام نعيمها ... ما للفناء عليه من سلطان
هيِّئ لها ثمنًا تباع بمثله ... لا تشترى بالزِّيف من أثمان
نقدًا عليه سكّة نبويّة ... ضَرْبَ المدينة أشرفِ البلدان
أظننت يا مغرور بائعها الذي ... يرضى بنقد ضرب جنكيزخان
منَّتك واللّه المحال النفس أن ... طمعت بذا وخُدِعْت بالشيطان

(١) كلمة فارسية تعني ما يرتب من المطعم والملبس وغير ذلك لمماليك السلطان.

فاسمع إذًا سبب الضَّلال ومنشأ التَّـ ـخليط إذ يتناظر الخصمان
يحتج باللفظ المركَّب عارفٌ مضمونه بسياقه لبيان
واللفظ حين يساق بالتركيب مح ـفوف به للفهم والتّبيان
جند ينادي بالبيان عليه مِثْـ ـل ندائنا بإقامة وأذان
كي يحصل الإعلام بالمقصود من إيراده ويصير في الأذهان
فيفك تركيب الكلام معاند حتى يُقَلْقِلَهُ[1] من الأركان
ويروم منه لفظةً قد حمِّلت معنى سواها في كلام ثان
فيكون دبُّوس الشِّلاق وعُدَّةً للدّفع فعل الجاهل الفتَّان
فيقول هذا مجمل واللفظ مح ـتمل وذا من أعظم البهتان
وبذاك يَفْسُدُ كُلّ علم في الورى والفهم من خَبَرٍ ومن قرآن
إذ أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الـ إفراد قبل العقد والتّبيان
لكن إذا ما رُكِّبَت زال الذي قد كان محتملا لدى الوحدان
فإذا تجرَّد كان محتملاً لغيـ ـر مراده أو في كلام ثان
لكنَّ ذا التجريد ممتنع فإن يُفْرَضْ يكن لا شك في الأذهان
والمفردات بغير تركيب كمث ـل الصوت تَنْعَقُهُ بتلك الضَّان
وهنالك الإجمال والتشكيك والتـ ـجْهيلُ والتحريف والإتيان بالبُطلان
فإذا هُمُ فعلوه راموا نقله لمركّب قد حفَّ بالتبيان
وقضوا على التركيب بالحكم الذي حكموا به للمفرد الوحداني
جهلاً وتجهيلاً وتدليسًا وتَلْ بيسًا وترويجًا على العميان

فصل
في بيان شبه غلطهم في تجريد اللفظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني

هذا هداك الله من إضلالهم وضلالهم في مَنْطِقِ الإنسان
كمُجرّداتٍ في الخيال وقد بنى قومٌ عليها أوهن البُنْيان

(١) أي يحركه.

ظنّوا بأن لها وجودًا خارجًا ... ووجودها لو صحَّ في الأذهان
أنَّى وتلك مشخصات حُصّلَت ... في صورة جزئيَّة بعيان
لكنّها كليَّة إن طابقت ... أفرادها كاللفظِ في الميزان
يدعونه الكُلّي وهو معيَّن ... فرد كذا في المعنى هما سيَّان
تجريد ذا في الذهن أو في خارج ... عن كُلِّ قيدٍ ليس في الإمكان
لا الذِّهن يعقِله ولا هو خارج ... هو كالخيال لِطَيْفِهِ سكران
لكن تجرُّدها المقيَّدُ ثابتٌ ... وسواه ممتنع بلا إمكان
فتجرُّدُ الأعيان عن وصفٍ وعن ... وضعٍ وعن وقتٍ لها ومكان
فرض من الأذهان يفرضه كفر ... ضِ المستحيل هما لها فرضان
اللّه أكبر كم دهى من فاضلٍ ... هذا التجرُّدُ من قديم زمان
تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها ... وكذاك تجريد المعاني الثاني
والحقُّ أن كليهما في الذهن مفروض ... فلا تحكم عليه وهو في الأذهان
فيقودك الخصم المعاند بالذي ... سلّمته للحكم في الأعيان
فعَلَيْك بالتَّفصيل إن هم أطلقوا ... أو أجملوا فعَلَيْك بالتبيان

فصل
في بيان تناقضهم وعجزهم
عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وتمسَّكوا بظواهر المنقول عن ... أشياخهم كتمسُّك العُمْيان
وأبَوْا بأن يتمسَّكوا بظواهر النَّـ ... ـصِّين واعجبًا من الخذلان
قول الشيوخ محرَّم تأويله ... إذ قصدهم للشَّرح والتِّبيان
فإذا تأوّلنا عليهم كان إبـ ... ـطالًا لما راموا بلا برهان
فعلى ظواهرها تمرُّ نصوصهم ... وعلى الحقيقة حملها لبيان
يا ليتهم أجروا نصوص الوحي ذا الـ ... ـمُجْرىٰ من الآثار والقُرآن
بل عندهم تلك النّصوص ظواهر ... لفظيَّة عُزِلَت عن الإيقان
لم تغن شيئًا طالب الحق الذي ... يبغي الدَّليل ومُقْتضى البرهان

وسطوا على الوحيَيْن بالتَّحريف إذ ... سـمَّـوْهُ تـأويـلاً بـوضـع ثـان
فـانْـظُـرْ إلـى الأعـراف ثـم لـيـوسـف ... والـكـهـف وافـهـم مُـقْـتَـضـى الـقُـرآن
فـإذا مـررت بـآل عـمـران فـهـمـ ... ـت الـقـصـد فـهـم مـوفَّـقٍ ربـانـي
وعـلمـت أن حـقـيـقـة الـتـأويـل تـبـ ... ـيـين الـحـقـيـقـة لا الـمـجـاز الـثـانـي
ورأيـت تـأويـل الـنُّـفـاة مـخـالـفًـا ... لـجـمـيـع هـذا لـيـس يـجـتـمـعـان
الـلَّـفـظ هـم أَنْـشَـوا لـه مـعـنـىً بـذا ... ك الاصـــطـــلاح وذاك أمـــرٌ دان
وأتـوا إلـى الإلـحـاد فـي الأسـمـاء ... والـتـحـريـف لـلألـفـاظ بـالـبـهـتـان
فـكـسـوه هـذا الـلفـظ تـلبـيـسًـا وتَـدْ ... لـيـسًـا عـلـى الـعُـمـيـان والـعُـوران
فـاسـتـنَّ كُـلُّ مـنـافـق ومـكـذِّب ... مـن بـاطـنـيٍّ قِـرْمِـطِـيٍّ جـان
فـي ذا بـسـنَّـتـهـم وسـمَّـى جـحـده ... لـلـحـقِّ تـأويـلاً بـلا فـرقـان
وأتـى بـتـأويـلٍ كـتـأويـلاتِـهـم ... شِـبْـرًا بـشـبـرٍ صـارخًـا بـأذان
إنَّـا تـأولـنـا كـمـا أولـتـم ... فـأتـوا نـحـاكـمْـكُـم إلـى الـوزَّان
فـي الـكِـفَّـتـيـن نـحـطّ تـأويـلاتـنـا ... وكـذاك تـأويـلاتـكـم بـوِزان
هـذا وقـد أقـررتـم أنّـا بـأيـ ... ـدينـا صـريـح الـعـدل والـمـيـزان
وغـدوُتـم فـيـه تـلامـيـذًا لـنـا ... أَوَلـيـس ذلـك مـنـطـق الـيـونـان
مـنّـا تـعـلمـتـم ونـحـن شـيـوخُـكُـم ... لا تـجـحـدونـا مـنـة الإحـسـان
فـسـلوا مـبـاحـثـكـم سـؤال تـفـهُّـم ... وسـلُوا الـقـواعـد ربَّـة الأركـان
مـن أيـن جـاءتـكـم وأيـن أصـولُـهـا ... وعـلـى يـدي مـن يـا أولـي الـنُّـكـران
فـلأيِّ شـيء نـحـن كـفَّـار وأنْـ ... ـتُـمْ مـؤمـنـون ونـحـن مـتـفـقـان
إن الـنُّـصـوص أدلـة لـفـظـيَّـة ... لـم تـفـض قـطُّ بـنـا إلـى إيـقـان
فـلذاك حـكَّـمـنـا الـعـقـول وأنْـتُـمُ ... أيـضًـا كـذاك فـنـحـن مُـصْـطَـلِـحان
فـلأيِّ شـيءٍ قـد رمـيـتـم بـيـنـنـا ... حَـرْبَ الـبَـسُـوسِ ونـحـن كـالإخـوان
الأصـل مـعـقـول ولـفـظ الـوحـي مـعـ ... ـزول ونـحـن وأنـتـم صـنـوان
لا بـالـنّـصـوص نـقـول نـحـن وأنـتـم ... أيـضًـا كـذاك فـنـحـن مـصـطـحـبـان
فـذروا عـداوتـنـا فـإن وراءنـا ... ذاك الـعـدو الـثّـقـل ذو الأضـغـان
فـهُـمُ عـدوُّكـم وهـم أعـداؤنـا ... فـجـمـيـعـنـا فـي حـربـهـم سيَّـان

تلك المجسِّمة الأُلى قالوا بأنَّ ... اللَّه فوق جميع ذي الأكوان
وإليه يصعد قولُنا وفِعالنا ... وإليه ترقى روح ذي الإيمان
وإليه قد عرج الرّسول حقيقةً ... وكذا ابن مريم مُصْعَدَ الأبدان
وكذاك قالوا إنه بالذّات فو ... ق العرش قدرته بكُلِّ مكان
وكذاك ينزلُ كُلّ آخر ليلة ... نحو السماء فها هنا جهتان
للابتداء والانتهاء وذان لد ... أَجْسام أين اللّه من هذان
وكذاك قالوا إنه متكلِّم ... قام الكلام به فيا إخواني
أيكون ذاك بغير حرفٍ أم بلا ... صوتٍ فهذا ليس في الإمكان
وكذاك قالوا ما حكينا عنهم ... من قبل قول مشبِّه الرَّحمٰن
فذروا الحِراب لنا وشدّوا كلّنا ... جَمْعًا عليهم حملة الفرسان
حتى نسوقَهُمُ بأجمعنا إلى ... وسط العرين ممزّقي اللّحمان
فلقد كَوَوْنا بالنّصوص وما لنا ... بلقائها أبد الزّمان يدان
كم ذا بقال اللّه قال رسوله ... من فوق أعناق لنا وبنان
إذا نحن قلنا قال آرسطو ذا المعلّ ... م أولاً أو قال ذاك الثاني
وكذاك إن قلنا ابن سينا قال ذا ... أو قاله الرازي ذو التّبيان
قالوا لنا قال الرّسول وقال في الـ ... قرآن كيف الدَّفع للقُرآن
وكذاك أنتم منهم أيضًا بهـ ... ذا المنزل الضَّنك[1] الذي تريان
إن جئتموهم بالعقول أتوْكم ... بالنص من أثرٍ ومن قرآن
فتحالفوا إنَّا عليهم كلُّنا ... حَرْبٌ ونحن وأنتم سِلْمان
فإذا فرغنا منهم فخلافنا ... سهل فنحن وأنتم أخوان
فالعرشُ عند فريقنا وفريقكم ... ما فوقه أحد بلا كتمان
ما فوقه شيء سوى العدَمَ الذي ... لا شيءَ في الأعيان والأذهان
ما اللّه موجود هناك وإنما الـ ... عدم المحقّقُ فوق ذي الأكوان
واللّه معدوم هناك حقيقة ... بالذات عكس مقالة الدّيصان

(١) أي الضيق.

هذا هو التوحيد عند فريقنا ... وفريقكم وحقيقة العرفان
وكذا جماعتُنا على التَّحقيق ... في التوراة والإنجيل والفرقان
ليست كلام اللّه بل فيض من الـ ... ـفعَّال أو خَلْقٌ من الأكوان
فالأرض ما فيها له قول ولا ... فوق السَّما للخلق من ديَّان
بَشَرٌ أتى بالوحي وهو كلامُهُ ... في ذاك نحن وأنتم مِثْلَان
وكذاك قلنا إن رؤيتنا له ... عين المحال وليس في الإمكان
وزعمتُمُ أنّا نراه رؤيةَ الـ ... ـمعدوم لا الموجود في الأعيان
إذ كُلّ مرئيٍّ يقوم بنفسه ... أو غيره لا بدَّ في البرهان
من أن يقابل من يراه حقيقةً ... من غير بُعْدٍ مُفْرطٍ وتدان
ولقد تَسَاعَدْنا على إبطال ذا ... أنتم ونحن فما هنا قولان
أمّا البليَّةُ فهي قولُ مجسِّم ... قال القُرآن بدَا مِنَ الرَّحمٰن
هو قولُهُ وكلامُهُ منه بَدَا ... لفظًا ومعنىً ليس يفترقان
سمع الأمين كلامه منه وأدَّ ... اه إلى المبعوث بالقرآن
فله الأداء كما الأدا لرسوله ... والقول قول منزّل الفرقان
هذا الذي قلنا وأنتم إنَّه ... عَيْنُ المُحال وذاك ذو بطلان
فإذا تساعدنا جميعًا أنَّه ... ما بيننا للّه من قُرآن
إلّا كبيت اللّه تلك إضافة الـ ... ـمخلوق لا الأوصاف للرَّحمٰن
فعلام هذا الحرب فيما بيننا ... مع ذا الوفاق ونحن مصطلحان
فإذا أبيتم سِلْمَنا فتحيزوا ... لمقالة التَّجسيم بالإذعان
عودوا مجسِّمة وقولوا ديننا الـ ... ـإثبات دين مشبِّه الدَّيَّان
أوْ لا فلا منَّا ولا منهم وذا ... شأن المنافق إذ له وجهان
هذا يقول مجسِّم وخصومه ... ترميه بالتَّعطيل والكفْران
هو قائمٌ هو قاعدٌ هو جاحدٌ ... هو مثبتٌ تلقاه ذا ألوان
يومًا بتأويل يقول وتارةً ... يسطُو على التأويل بالنُّكران

فصل
في المطالبة بالفرق بين ما يُتأول وما لا يُتأول

فنقول فرِّق بين ما أوَّلته ... ومنعته تفريق ذي برهان
فيقول ما يُفضي إلى التجسيم أوَ ... لَنَاهُ من خَبَرٍ ومن قُرآن
كالاستواء مع التكلُّم هكذا ... لفظُ النُّزول كذاك لفظ يدان
إذ هذه أوصاف جسم مُحْدَثٍ ... لا ينبغي للواحد المنَّان
فنقول أنت وصفته أيضًا بما ... يُفْضي إلى التجسيم والحِدثان
فوصفته بالسمع والإبصار مع ... نفس الحياة وعلم ذي الأكوان
ووصفته بمشيئةٍ مع قدرةٍ ... وكلامُهُ النفسيِّ وهو معان
أو واحدٌ والجسمُ حاملُ هذه الـ ... أوصاف حقًّا فأت بالفُرقان
بين الذي يُفضي إلى التجسيم أو ... لا يقتضيه بواضح البرهان
واللّهِ لو نُشِرَتْ شيوخُكَ كلُّهُمْ ... لم يَقْدروا أبدًا على فرقان

فصل
في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه

فلذاك قال زعيمُهُم في نفسه ... فرقًا سوى هذا الذي تَرَيَان
هذي الصِّفات عقولنا دلَّت على ... إثباتها مع ظاهِرِ القُرآن
فلذاك صُنَّاها عن التأويل فاعْـ ... ـجَبْ يا أخا التحقيق والعرقان
كيف اعتراف القوم إن عقولهم ... دلت على التَّجسيم بالبُرهان
فيقال هل في العقل تجسيم أم الـ ... ـمعقول ينفي ذاك للنقصان
إن قُلْتُمُ ننفي فانفوا هذه الـ ... أوصاف وانسلخوا من القُرآن
أو قلتم يقضي بإثبات له ... ففراركم منها لأيِّ معان
أو قلتم ننفيه في وصفٍ ولا ... ننفيه في وصفٍ بلا برهان
فيقال ما الفرقان بينهما وما الـ ... ـبرهان فأْتُوا الآن بالفرقان
ويقال قد شهد العيانُ بأنه ... ذو حكمةٍ وعنايةٍ وحَنَان
مع رأفة ومحبَّة لعباده ... أهل الوفاء وتابعي القُرآن

ولذاك خُصُّوا بالكرامة دون أعْـ ـداء الإلٰه وشيعة الكفران
وهو الدليل لنا على غضب وبُغـ ـضٍ منه مع مقتٍ لذي العصيان
والنصُّ جاء بهذه الأوصاف مثـ ـلَ السّبع أيضًا ذاك في القُرآن
ويقال سلَّمنا بأن العقل لا يُفضي إليها فهي في الفُرقان
أفنفي آحاد الدليل يكون لد ـمدلول نفيًا يا أولي العرفان
أو نفيُ مُطلَقِهِ يدلُّ على انتفا الـ ـمدلول في عقل وفي قُرآن
أفبعد ذا الانصاف ويحكُمُ سوى محضِ العِناد ونخوةِ الشَّيْطَان
وتحيُّزٍ منكم إليهم أو إلى الـ ـقرآن والآثار والإيمان

فصل
في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة نقلاً وعقلاً

واعلمْ بأنَّ طريقُهم عكسُ الطّريـ ـقِ المستقيم لمن له عينان
جعلوا كلامَ شيوخِهِم نصًّا له الـ إحكام موزونًا به النَّصان
وكلامَ باريهم وقول رسولهم متشابهًا مُتَحَمّلاً لمعان
فتولَّدت من ذينك الأصلين أو لادٌ أَتَتْ للغَيّ والبهتان
إذ من سفاح لا نكاح كونها بئس الوليد وبئست الأبوان
عرضوا النُّصوص على كلام شيوخهم فكأنَّها جيش لذي سُلطان
والعزلُ والإبقاء مرجعُهُ إلى السُّـ ـلطان دون رعية السلطُّان
وكذاك أقوال الشيوخ فإنها الـ ـميزانُ دون النصِّ والقُرآن
إن وافقا قول الشيوخ فمرحبًا أو خالفا فالدفع بالإحسان
إما بتأويلٍ فإن أعيا فتفـ ـويض ونتركها لقول فلان
إذ قوله نص لدينا محكم وظواهر المنقول ذات معان
والنصُّ فهو به عليم دوننا وبحاله ما حيلة العميان
إلا تمسُّكهم بأيدي مبصر حتى يقودهم كذي الأرْسان
فاعجب لعميان البصائر أبصروا كون المقلِّد صاحب البرهان

ورأوه بالتَّقليد أولى من سوا ... ه بغير ما بصر ولا برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا ... معناهما عجبًا لذي الحرمان
قول الشّيوخ أتمُّ تبيانًا من الـ ... ـوحْيَيْن لا والواحد الرحمٰن
النقل نقل صادق والقول من ... ذي عصمة في غاية التّبيان
وسواه إمَّا كاذب أو صحَّ لم ... يك قول معصوم وذي تبُيَان
أفيستوي النَّقلان يا أهل النُّهى ... واللّهِ لا يتماثل النَّقلان
هذا الذي ألقى العداوة بيننا ... في اللّه نحن لأجله خصمان
نصروا الضَّلالة من سفاهة رأيهم ... لكن نصرنا مُوجب القُرآن
ولنا سلوك ضدَّ مسلكهم فما ... رجلان منّا قطُّ يلتقيان
إنَّا أبينا أن ندين بما به ... دانوا من الآراء والبُهتان
إنَّا عزلناها ولم نعبأ بها ... يكفي الرّسول ومحكم الفرقان
من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا ... ه اللّه شر حوادث الأزمان
من لم يكن يشفيه ذان فلا شفا ... ه اللّه في قلب ولا أبدان
من لم يكن يغنيه ذان رماه ربُّ ... العرش بالإعدام والحرمان
من لم يكن يهديه ذان فلا هدا ... هُ اللّه سُبْلَ الحقِّ والإيمان
إن الكلام مع الكبار وليس مع ... تلك الأصاغر سفلة الحيوان
أوساخ هذا الخلق بل أَنْتَانِهِ ... جِيَف الوجود وأخبث الأَنْتان
الطّالبين دماء أهل العلم بالـ ... ـكُفران والعُدوان والبُهتان
الشّاتمي أهل الحديث عداوةً ... للسُّنَّة العُليا مع القُرآن
جعلوا مسبَّتهم طعام حُلُوقهم ... فاللّه يقطعها من الأذقان
كبرًا وإعجابًا وتيهًا زائدًا ... وتجاوزًا لمراتب الإنسان
لو كان هذا من وراء كفايةٍ ... كنّا حَمَلْنا راية الشّكران
لكنَّه من خلف كُلِّ تخلُّفٍ ... عن رتبةِ الإيمان والإحسان
من لي بشبه خوارج قد كَفّروا ... بالذَّنب تأويلاً بلا إحسان
ولهم نصوص قَصّروا في فهمها ... فأتوا من التقصير في العرفان
وخصومنا قد كفَّرونا بالذي ... هو غاية التَّوحيد والإيمان

فصل
في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج

ومن العجائب أنَّهم قالوا لمن ... قد دان بالآثار والقُرآن
أنتم بذا مثل الخوارج إنَّهم ... أخذوا الظواهر ما اهتدوا لِمَعَان
فانْظُرْ إلى ذا البهت[1] هذا وصفُهُم ... نسبُوا إليه شيعَة الإيمان
سلوا على سُنَن الرّسول وحزبِهِ ... سَيْفَيْنِ سيفَ يدٍ وسيفَ لسانَ
خرجوا عليهم مثل ما خرج الأُلى ... من قبلهم بالبَغْي والعُدوان
واللّه ما كان الخوارجُ هكذا ... وَهُمُ البُغاة أئمَّة الطُّغيان
كفَّرتم أصحاب سُنَّتِهِ وهم ... فسَّاق ملَّته فمن يَلْحاني
إن قلت هم خير وأهدى منكم ... واللّه ما الفئتان تستويان
شتَّان بين مكفِّر بالسُّنَّة الـ ... ـعُليا وبين مكفِّر العصيان
قلتم تأولنا كذاك تأوَّلوا ... وكلاكما فئتان باغيتان
ولكم عليهم ميزة التَّعطيل والتَّـ ... ـحريف والتبديل والبهتان
ولهم عَلَيْكم ميزة الإثبات والتـ ... ـصديق مع خوف من الرّحمٰن
ألكم على تأويلكم أجران إذ ... لهم على تأويلهم وزِران
حاشا رسول اللّه من ذا الحكم بل ... أنتم وهُم في حُكْمِه سيَّان
وكلاكما للنَّصِّ فهو مخالف ... هذا وبينكما من الفرقان
هم خالفوا نصًّا لنصٍّ مثله ... لم يفهموا التَّوفيق بالإحسان
لكنكم خالفتم المنصوص بالشـ ... ـبه التي هي فكرة الأذهان
فلأي شيء أنتم خير وأقـ ... ـربُ منهم للحقِّ والإيمان
هم قدَّموا المفهوم من لفظِ الكتا ... ب على الحديث الموجب التّبيان
لكنكم قَدَّمْتُمُ رأي الرِّجا ... ل عليهما أفأنْتُمُ عِدْلان

---

(١) البهت: البهتان.

أم هم إلى الإسلام أقربُ منكم ... لاح الصباح لمن له عينان
والله يحكم بينكم يوم الجزا ... بالعدل والإنصاف والميزان
هذا ونحن فمنهُمُ بل منكم ... بُرآء إلَّا من هدًى وبيان
فاسمع إذًا قول الخوارج ثم قو ... ل خصومنا واحكُم بلا ميلان
من ذا الذي منّا إذا أشباهُهُمْ ... إن كنتَ ذا علم وذا عِرْفَان
قال الخوارجُ للرسول اعدِلْ فلم ... تعدل وما ذي قِسْمَةَ الدَّيَّان[1]
وكذلك الجهميُّ قال نظير ذا ... لكنّه قد زاد في الطُّغيان
قال الصَّواب بأنَّه «استولى» فَلِمْ ... قلت «استوى» وعدلت عن تبيان
وكذلك ينزلُ أمره سبحانه ... لِمَ قلت ينزل صاحبُ الغُفْران
ماذا بعدلٍ في العبارة وهي مو ... همةُ التحرُّك وانتقالِ مكان
وكذاك قلت بأن ربَّك في السَّما ... أوهَمْتَ حيِّز خالقِ الأكوان
كان الصَّوابَ بأن يُقَالَ بأنه ... فوق السَّما سلطانُ ذي السِّلطان
وكذاك قُلْتَ إليه يعرج والصوا ... بُ إلى كرامة ربِّنا المنَّان
وكذاك قلت بأنَّ منه ينزَّل الـ ... قرآن تنزيلًا من الرّحمٰن
كان الصَّوابُ بأن يقال نزولُهُ ... من لوحِهِ أو من محلٍّ ثان
وتقول أين اللّه ذاك الأين مُمْـ ... تنعٌ عليه وليس في الإمكان
لو قلت مَنْ؟ كان الصوابَ كما ترى ... في القبر يسألُ ذلك المَلَكَان
وتقول اللهمَّ أنت الشاهدُ الـ ... أعْلَى تشيرُ بإصبعٍ وبَنَان
نحْوَ السَّماء وما إشارتُنا له ... حسِّيَّة بل تلك في الأذهان

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه بالأرقام (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٧٤٣٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، قال رسول الله ﷺ: «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل، فد خبت وخسرت إن لم أعدل» فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية...» الحديث.

والـلّه مـا نـدري الـذي نـبـديـه فـي ... هــذا مــن الــتــأويــل لــلإخــوان
قلنا لهم إن السَّما هي قبلة الدَّا ... عــي كــبــيــت الــلّه ذي الأركــان
قــالــوا لــنــا هــذا دلــيــلٌ أنــه ... فـوق الـسـمـاء بـأوضَـحِ الـبـرهـان
فـالـنَّـاس طُـرًّا[1] إنـمـا يـدعـونـه ... مـن فـوق هـذي فـطـرةُ الـرَّحـمٰـن
لا يـسـألـون الـقِـبْـلَةَ الـعُـلـيـا ولـ ... ـكِـنْ يـسـألـون الـرَّبَّ ذا الإحـسـان
قـالـوا ومـا كـانـت إشـارتـه إلـى ... غـيـر الـشَّـهـيـدِ مـنـزِّل الـفُـرقـان
أتُـراهُ أمـسـى لـلسَّـمـا مـسـتـشـهـدًا ... حاشاه من تحريفِ ذي البُهتان
وكـذاك قُـلْتَ بـأنـه مـتـكـلِّمٌ ... وكـلامُـهُ الـمـسـمـوعُ بـالآذان
نـادى الـكـلـيـمَ بـنـفـسـه وكـذاك قـد ... سَـمِـعَ الـنِّـدا فـي الـجـنَّـة الأبـوان
وكـذا يُـنَـادِي الـخَـلْقَ يـوم مَـعـادِهِـمْ ... بـالـصَّـوتِ يـسـمـعُ صـوتـهُ الـثَّـقـلان
إنِّـي أنـا الـدَّيَّـان آخُـذُ حـقَّ مـظـ ... ـلوم مـن الـعـبـد الـظَّـلـومِ الـجَـانـي
وتـقـول إنَّ الـلّه قـال وقـائـلٌ ... وكـذا يـقـول ولـيـس فـي الإمـكـان
قـولٌ بـلا حـرفٍ ولا صـوتٍ يُـرى ... مـن غـيـر مـا شَـفَـةٍ وغـيـر لـسـان
أوقعتَ في التَّشبيه والتَّجسيم مَنْ ... لـم يَـنْـفِ مـا قـد قُـلْتَ فـي الـرّحـمٰـن
لـو لـم تَـقُـلْ فـوق الـسـمـاء ولـم تُـشِـرْ ... بـإشـارةٍ حـسـيَّـةٍ بِـبَـنَـانِ
وسَـكَـتَّ عـن تـلك الأحـاديـثِ الـتـي ... قـد صـرَّحَـتْ بـالـفـوقِ لـلدَّيَّـان
وذَكَـرْتَ أن الـلّه لـيـس بـداخـل ... فـيـنـا ولا هـو خـارج الأكـوان
كنَّا انتصفنا من أولي التَّجسيم بل ... كـانـوا لـنـا أسـرى عـبـيـد هـوان
لـكـن مـنـحـتـهـم سـلاحًـا كُـلّمـا ... شـاءُوا لـنـا مـنـهـم أشـدّ طِـعَـان
وغَـدَوْا بـأسـهـمـك الـتـي أَعْـطَـيْـتَـهُـم ... يـرمـونـنـا غـرضًـا بـكُـلّ مـكـان
لـو كـنـت تـعـدل فـي الـعـبـارة بـيـنـنـا ... مـا كـان يـوجـد بـيـنـنـا زحـفـان
هـذا لـسـان الـحـال مـنـهـم وهـو فـي ... ذات الـصُّـدور يُـغَـلُّ بـالـكِـتْـمَـان
يـبـدو عـلى فـلتـات أَلْسُـنِـهـم وفـي ... صـفـحـات أوجـهـهـم يُـرىٰ بـعـيـان
سِـيَـمـا إذا قـرئ الـحـديـث عـلـيـهـم ... وتـلـوت شـاهـده مـن الـقُـرآن

---

(١) أي جميعًا.

فهناك بين النازعات وكوّرت ... تلك الوجوه كثيرة الألوان[١]
ويكاد قائلهم يُصَرّحُ لو يرى ... من قابل فتراه ذا كتمان
يا قوم شاهدنا رؤوسكم على ... هذا ولم نشهده من إنسان
إلّا وحشو فؤاده غِلٌّ على ... سنن الرّسول وشيعة القُرآن
وهو الذي في كُتْبِهِم لكن بلط ... ف عبارة منهم وحسن بيان
وأخو الجهالة نسبة للفظ والـ ... مَعْنى فصيد العالم الرباني
يا من يظن بأننا حِفْنا[٢] عليـ ... هم كُتْبُهُم تُنْبيكَ عن ذا الشان
فانْظُرْ ترى لكن نرى لك تركها ... حذرًا عَلَيْك مصايد الشيطان
فشباكها واللّه لم يعلق بها ... من ذي جناح قاصر الطيران
إلّا رأيت الطير في قفص الردى ... يبكي له نوح على الأغصان
ويظل يخبط طالبًا لخلاصه ... فتضيق عنه فُرْجَةُ العيدان
والذنب ذنب الطير خلى أطيب الث ... مرات في عال من الأفنان[٣]
وأتى إلى تلك المزابل يبتغي الـ ... فضلات كالحشرات والديدان
يا قَوْمِ واللّه العظيم نصيحةً ... من مشفقٍ وأخٍ لكم معوان
جربت هذا كلّه ووقعت في ... تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإلٰه بلطفه ... من ليس تجزيه يدي ولساني
حَبْرٌ أتى من أرض حرَّان فيا ... أهلاً بمن قد جاء من حرَّان
فاللّه يجزيه الذي هو أهله ... من جنّةِ المأوى مع الرِّضوان
قَبَضَتْ يداه يدي وسار فلم نَرِمْ ... حتى أراني مطلع الإيمان
ورأيت أعلام المدينة حولها ... يَزَكُ الهدى وعساكر القُرآن
ورأيت آثارًا عظيمًا شأنها ... محجوبة عن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافيًا ... حصباؤه كلآلئ التِّيجان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ [عبس: ٤٠ ـ ٤٢].
(٢) من الحيف، وهو الظلم والجور.
(٣) أي الأغصان.

ورأيتُ أكوابًا هناك كثيرةً ... مثل النّجوم لوارد ظمآن
ورأيتُ حوض الكوثر الصافي الذي ... لا زال يشخَبُ فيه ميزابان
ميزاب سُنَّته وقولُ إلٰهه ... وهما مدى الأيام لا ينيان
والناسُ لا يرِدُونَه إلّا من الـ ... آلاف أفراد ذوو إيمان
وَرَدُوا عِذَاب مناهل أكرِمْ بها ... وَوَرَدْتُم أنتم عذاب هوان
فبحقِّ من أعطاكم ذا العدل والـ ... إنصاف والتخصيص بالعرفان
من ذا على دين الخوارج بعد ذا ... أنتم أم الحشوي ما تريان؟
واللّه ما أنتم لدى الحشوي ... أهلاً أن يقدمكم على عثمان
فضلاً عن الفاروق والصِّدِّيق فضـ ... ـلاً عن رسول اللّه والقُرآن
واللّه لو أبصرتم لرأيتم الـ ... ـحشويَّ حامل راية الإيمان
وكلام ربِّ العالمين وعبده ... في قلبه أعلى وأكبر شان
من أن يُحرّف عن مواضعه وأن ... يُقضىٰ له بالعزل عن إيقان
ويرى الولاية لابن سينا أو أبي ... نصرٍ أو المولود من صفوان
أو من يتابعهم على كفرانهم ... أو من يقلِّدهم من العميان
يا قومنا باللّه قوموا وانظروا ... وتفكروا في السرِّ والإعلان
نظرًا وإن شئتم مناظرةً فمن ... مثنى على هذا ومن وُحْدان
أيُّ الطوائف بعد ذا أدنى إلى ... قول الرّسول ومحكم القُرآن
فإذا تبيَّن ذا فإمَّا تتبعوا ... أو تعذروا أو تؤذنوا بِطِعان

فصل
في تلقيبهم أهل السُّنَّة بالحشوية
وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين
وذكر أول من لَقّبَ به أهل السُّنَّة من أهل البدع

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حَشْوًا في الوجو ... د وفضلة في أمة الإنسان
ويظنّ جاهلهم بأنهم حَشَوْا ... ربَّ العباد بداخل الأكوان

إذ قولهم فوق العباد وفي السَّما ... ءِ الربُّ ذو الملكوتِ والسُّلطان
ظنَّ الحمير بأن «في» للظَّرْف والرَّ ... حمٰن مَحْوِيٌّ بظرف مكان
واللّه لم نَسْمع بذا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تَبًّا لذي البهتان
بل قولهم إن السمٰوات العلى ... في كفٍّ خالق هذه الأكوان
حقًّا كخردلة ترى في كف مم ... سكها تعالى اللّه ذو السطان
أترونه المحصور بعد أم السَّما ... يا قومنا ارتدعوا عن العداون
كم ذا مشبهة وكم حشوية ... فالبهت لا يخفى على الرّحمٰن
يا قوم إن كان الكتاب وسنة الـ ... ـمختار حشوًا فاشهدوا ببيان
أنَّا بحمد إلٰهنا حشوية ... صِرْفٌ بلا جحدٍ ولا كِتمان
تدرون من سمَّت شيوخكم بهـ ... ـذا الاسم في الماضي من الأزمان
سمّى به عمروٌ لعبد الله ذا ... ك ابن الخليفة طارد الشيطان
فَوَرِثْتُمُ عَمْرًا كما ورِثوا لعبـ ... ـدِ اللّه أنَّى يستوي الإرثان
تدرون من أولى بهذا الاسم وهـ ... ـو مناسب أحواله بوزان
من قد حشا الأوراق والأذهان من ... بدع تخالف موجب القُرآن
هذا هو الحشويُّ لا أهل الحديـ ... ـث أئمة الإسلام والإيمان
وَرَدُوا عذاب مناهل السُّنن التي ... ليست زُبالة هذه الأذهان
وَوَرَدْتُم القلّوطَ[1] مجرى كُلّ ذي الـ ... ـأوساخ والأقذار والأنتان
وكسلتم أن تصعدوًا للورد من ... رأس الشريعة خيبة الكسلان

فصل
في بيان عدوانهم في تلقيب أهل القُرآن والحديث بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكُلّ لقب خبيث

كم ذا مشبّهة مجسّمة نوا ... بتة مَسَبّة جاهل فتّان

(١) وهو النهر الجار الذي تنصبّ إليه الأقذار.

أسماء سَمّيْتم بها أهل الحد ... يث وناصري القُرآن والإيمان
سميتموهم أنتم وشيوخكم ... بَهْتًا بها من غير ما سلطان
وجعلتموها سُبَّةً لِتُنَفّروا ... عنهم كفعل السَّاحر الشيطان
ما ذنبهم واللّه إلا أنهم ... أخذوا بوحي اللّه والفرقان
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة ... غير الحديث ومقتضى القُرآن
وأبوا يدينوا بالذي دنتم به ... من هذه الآراء والهذيان
وصفوه بالأوصاف في النَّصّين من ... خبر صحيح ثم من قرآن
إن كان ذا التجسيم عندكم فيا ... أهلاً به ما فيه من نكران
إنّا مجسّمة بحمد اللّه لم ... نجحد صفات الخالق الرَّحمٰن
واللّه ما قال امرؤ منا بأن ... اللّه جِسْمٌ يا أولي البهتان
واللّه يعلم أننا في وصفه ... لم نَعْدُ ما قد قال في القُرآن
أو قاله أيضًا رسول اللّه فَهْـ ... ـو الصادق المصدوق بالبرهان
أو قاله أصحابه من بعده ... فهم النجوم مطالع الإيمان
سَمّوه تَجْسيمًا وتشبيهًا فلسـ ... ـنا جاحديه لذلك الهَذَيان
بل بيننا فرق لطيف بل هو الـ ... ـفَرْق العظيم لمن له عينان
ان الحقيقة عندنا مقصودة ... بالنص وهي مرادة التبيان
لكن لديكم فهي غير مرادة ... أنى يراد محقق البطلان
فكلامه فيما لديكم لا حقيـ ... ـقة تحته تبدو إلى الأذهان
في ذكر آيات العلو وسائر الـ ... أوصاف وهي القلب للقرآن
بل قول ربّ الناس ليس حقيقة ... فيما لديكم يا أولي العرفان
وكلام ربّ العالمين على حقيـ ... ـقته لدينا وهو ذو برهان
وإذا جعلتم ذا مجازًا صح أن ... ينفي على الإطلاق والإمكان
وحقائق الألفاظ بالعقل انتفت ... فيما زعمتم فاستوى النفيان
نفي الحقيقة وانتقاء اللفظ إن ... دَلّت عليه فَحَظُّكُم نَفْيان
ونصيبنا إثبات ذاك جميعه ... لفظًا ومعنىً ذاك إثباتان
فمن المُعَطّل في الحقيقة غيركم ... لقب بلا كَذِبٍ ولا عُدْوان

وإذا سببتم بالمُحال فسبُّنا ... بأدلة وحجاج[1] ذي برهان
تبدي فضائحكم وتهتك سِتْرَكم ... وتُبين جَهْلَكُمُ مع العدوان
ما بُعْدَ ما بين السباب بذاكم ... وسبابكم بالكذب والطغيان
من سَبّ بالبرهان ليس بظالم ... والظلم سَبّ العبد بالبهتان
فحقيقة التجسيم إن تك عندكم ... وصف الإلٰه الخالق الدّيّان
بصفاته العليا التي شهدت بها ... آياته ورسوله العَدْلان
فتحملوا عنّا الشهادة واشهدوا ... في كلّ مجتمع وكلّ مكان
أنّا مجسمة بفضل اللَّه ولـ ... ـيشهد بذلك مَعْكُمُ الثقلان
اللَّه أكبر كَشّرت عن نابها الـ ... ـحرب العوان وصيح بالأقران
وتقابل الصّفّان وانقسم الورى ... قسمين واتّضحت لنا القسمان

فصل
في بيان مورد أهل التعطيل
وأنهم تعوّضوا بالقلّوط عن مورد السلسبيل

يا وارد القلوط ويحك لو ترى ... ماذا على شَفَتَيْك والأسنان
أو ما ترى آثارها في القَلْب والنـ ... ـيّات والأعمال والأركان
لو طاب منك الورد طابت كلها ... أنّى تطيب موارد الأنْتان
يا وارد القلّوط طَهّر فاك من ... خَبَثٍ به واغسله من أنتان
يا شاتم الحشوي حشو الدّين والـ ... ـقُرآن والآثار والإيمان
أهلاً بهم حَشْوَ الهدى وسواهم ... حشو الضلال فما هما سيان
أهلاً بهم حَشْوَ اليقين وغيرهم ... حشو الشكوك فما هما صنوان
اهلا بهم حَشْوَ المساجد والسّوى ... حشو الكنيف[2] فما هما عدلان
أهلاً بهم حَشْوَ الجنان وغيرهم ... حشو الجحيم أيستوي الحشوان
يا وارد القلّوط ويحك لو تـ ... ـرى الحشوي وارد منهل الفرقان

(١) أي المحاجة والمجادلة.
(٢) وهو المرحاض.

وتـراه مـن رأس الـشـريـعـة شـاربًـا مـن كـفّ مـن قـد جـاء بـالـقـرآن
وتـراه يـسـقـي الـنـاس فـضـلة كـأسـه وخـتـامـهـا مـسـك عـلى ريـحـان
لَعَـذَرْتَـه إن بـال فـي الـقـلّوط لـم يـشـرب بـه مـع جـمـلة الـعـمـيـان
يـا وارد الـقـلّوط لا تـكـسـل فـرأ س الـمـاء فـاقـصـده قـريـب دان
هـو مـنـهـل سـهـل قـريـب واسـع كـاف إذا نـزلـت بـه الـثـقـلان
والـلّه لـيس بـأصـعـب الـوردين بـل هـو أسـهـل الـوردين لـلظـمـآن

فصل
في بيان هدمهم لقواعد الاسلام والإيمان بعزلهم نصوص السُّنَّة والقُرآن

يـا قـوم بـالـلّه انـظـروا وتـفـكـروا فـي هـذه الأخـبـار والـقُـرآن
مـثـل الـتـدبـر والـتـفـكـر لـلذي قـد قـالـه ذو الـرأي والـحـسـبـان
فـأقـل شـيء أن يـكـونـا عـنـدكـم حـدًّا سـواء يـا أولـي الـعـدوان
والـلّه مـا اسـتـويـا لـدى زعـمـائـكـم فـي الـعـلم والـتـحـقـيـق والـعـرفـان
عـزلـوهـمـا بـل صَـرّحـوا بـالـعَـزْل عـن نـيـل الـيـقـيـن ورتـبـة الـبـرهـان
قـالـوا وتـلك أدلـة لـفـظـيـة لـسـنـا نُـحَـكّـمُـهـا عـلى الإيـقـان
مـا أنـزلـت لـيـنـال مـنـهـا الـعـلم بـالـ إثـبـات لـلأوصـاف لـلرّحـمٰـن
بـل بـالـعـقـول يـنـال ذاك وهـذه عـنـه بـمـعـزل غـيـر ذي سـلطـان
فَـبِـجُـهْـدِنـا تـأويـلهـا والـدفـع فـي أكـنـافـهـا دفـعًـا كـذي الـصّـولان
ككـبـيـر قـوم جـاء يـشـهـد عـنـد ذي حـكـم يـريـد دفـاعـه بـلـيـان
فـيـقـول قـدرك فـوق ذا وشـهـادة لـسـواك تـصـلح فـاذهـبـن بـأمـان
وبـوده لـو كـان شـيء غـيـر ذا لـكـن مـخـافـة صـاحـب الـسّـلطـان
فـلقـد أتـانـا عـن كـبـيـر فـيـهـم وهـو الـحـقـيـر مـقـالـة الـكـفـران
لـو كـان يـمـكـنـني ولـيـس بـمـمـكـن لَحَكَكْتُ من ذا المصحف العثماني
ذكـر اسـتـواء الـربّ فـوق الـعـرش لـ كـن ذاك مـمـتـنـع عـلى الإنـسـان
والـلّه لـولا هـيـبـة الإسـلام والـ قـرآن والأمـراء والـسّـلطـان

لأتوا بكُلّ مصيبة ولدكدكوا الـ إسلام فوق قواعد الأركان
فلقد رأيتم ما جرى لأئمة الـ إسلام من مِحَنٍ على الأزمان
لا سيّما لما استمالوا جاهلاً ذا قدرة في الناس مع سلطان
وَسَعَوْا إليه بكُلّ إفك بَيّن بل قاسموه بأغلظ الأيمان
إن النصيحة قصدهم كنصيحة الشـ يطان حين خلا به الأبوان
فيرى عمائم ذات أذناب على تلك القشور طويلة الأردان
ويرى هيولي[1] لا تهول لِمُبْصر وتهول أعمى في ثياب جبان
فإذا أصاخ بسمعه ملأوه من كذب وتلبيس ومن بهتان
فيرى ويسمع لَبْسَهم ولباسَهم يا محنة العينين والأذنان
فتحوا جِرابَ[2] الجهل مع كذب فخذ واحمل بلا كيل ولا ميزان
وأتوا إلى قلب المطاع ففتّشوا عما هناك ليدخلوا بأمان
فإذا بدا غرض لهم دخلوا به منه إليه كحيلة الشيطان
فإذا رأوه هش نحو حديثهم ظفروا وقالوا ويح آل فلان
هو في الطريق يعوق مولانا عن الـ ـمقصود وهو عَدُوّ هذا الشان
فإذا هُمُ غَرَسوا العداوة واظبوا سقي الغراس كفعل ذي البستان
حتى إذا ما أثمرت ودنا لهم وقت الجذاذ وصار ذا إمكان
ركبوا على جُرْدٍ[3] لهم وحَمِيّة واسْتَنْجَدوا بعساكر الشيطان
فهنالك ابتليت جنود اللّه من جند اللعين بسائر الألوان
ضربًا وحبسًا ثم تكفيرًا وتبـ ـديعًا وشتمًا ظاهر البهتان
فلقد رأينا من فريق منهم أمرًا تهد له قوى الإيمان
من سبهم أهل الحديث وَذَنْبُهُم أخذ الحديث وترك قول فلان
يا أمة غضب الإلٰه عليهم أَلِأَجْلِ هذا تشتموا بهوان

(١) الهيولي لفظ يوناني يعني الأصل والمادة.
(٢) الجراب: الوعاء.
(٣) وهو الفرس.

تَبًّا لكم إذ تشتمون زوامل ... الإسلام[١] حزب اللّه والقُرآن
وسببتموهم ثم لستم كُفْأَهُم ... فرأوا مسبّتكم من النقصان
هذا وهم قَبِلوا وصيّة ربّهم ... في تركهم لمسبّة الأوثان
حذر المقابلة القبيحة منهم ... بمسبة القُرآن والرّحمٰن[٢]
وكذاك أصحاب الحديث فإنهم ... ضربت لهم ولكم بذا مثلان
سبُّوكُمُ جُهّالُهُم فَسَبَبْتُمُ ... سنن الرّسول وعسكر الإيمان
وصددتم سفهاءكم عنهم وعن ... قول الرّسول وذا من الطغيان
ودعوتموهم للذي قالته أشـ ... ـياخ لكم بالخرص والحسبان
فأبوا إجابتكم ولم يتحيزوا ... إلّا إلى الآثار والقُرآن
وإلى أولي العرفان من أهل الحديـ ... ـث خلاصة الأكوان والإنسان
قوم أقامهم الإلٰه لحفظ هـ ... ـذا الدين من ذي بدعة شيطان
وأقامهم حرسًا من التبديل والتـ ... ـحريف والتتميم والنقصان
يَزَاكٌ[٣] على الإسلام بل حصن له ... يأوي إليه عساكر الفرقان
فَهُمُ المِحَكّ فمن يرى مُتَنَقّصًا ... لَهُمُ فزنديقٌ خبيثٌ جان
إن تَتّهمه فقبلك السلف الأُلى ... كانوا على الإيمان والإحسان
أيضًا قد اتهموا الخبيث على الهدى ... والعلم والآثار والقُرآن
وهو الحقيق بذاك إذ عادى روا ... ة الدين وهي عداوة الديان
فإذا ذكرت الناصحين لربهم ... وكتابه ورسوله بلسان
فاغسله ويلك من دم التعطيل والتّـ ... ـكذيب والكفران والبهتان
أتسبهم عَدْوًا ولست بكفئهم ... فاللّه يفدي حزبه بالجاني
قوم هُمُ باللّه ثم رسوله ... أولى وأقرب منك للإيمان
شتان بين التاركين نصوصه ... حقًّا لأجل زبالة الأذهان

---

(١) أي حملة الدين وأمناء الشريعة.
(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ [الأنعام: ١٠٨].
(٣) أي حرس.

والتاركين لأجلها آراء من ... آراؤهم ضرب من الهذيان
لمّا فسا الشيطان في آذانهم ... ثَقُلَت رؤوسهم عن القُرآن
فلذاك ناموا عنه حتى أصبحوا ... يتلاعبون تلاعب الصبيان
والركب قد وصلوا العلى وتيمّموا ... من أرض طيبَةَ مطلع الإيمان
وأتوا إلى روضاتها وتيمّموا ... من أرض مكة مطلع القُرآن
قوم إذا ما ناجذ النص بدا ... طاروا له بالجَمْع والوحدان
وإذا بدا علم الهدى استبقوا له ... كتسابق الفرسان يوم رهان
وإذا هم سمعوا بمبتدع هذى ... صاحوا به طُرًّا بكُلّ مكان
ورثوا رسول اللّه لكن غيرهم ... قد راح بالنقصان والحرمان
وإذا استهان سواهُمُ بالنصّ لم ... يرفع به رأسًا من الخسران
عضوا عليه بالنواجذ رغبة ... فيه وليس لديهم بمُهان
ليسوا كمن نبذ الكتاب حقيقة ... وتلاه قصد تبرّك وفلان
عزلوه في المعنى وَوَلّوا غيره ... كأبي الربيع خليفة السّلطان
ذكروه فوق منابر وبسكّة ... رقموا اسمه في ظاهر الأثمان
والأمر والنهي المطاع لغيره ... ولمهتد ضربت بذا مثلان
يا للعقول أيستوي من قـ ... ـال بالقُرآن والآثار والبرهان
ومخالف هذا وفطرة ربِّه ... اللّه أكبر كيف يستويان
بل فطرة اللّه التي فطروا على ... مضمونها والعقل مقبولان
والوحي جاء مصدقًا لهما فلا ... تلق العداوة ما هما حربان
سِلْمان عند موفّق ومصدّق ... واللّه يشهد أنَّهما سِلْمان
فإذا تعارض نصّ لفظ ورادٍ ... والعقل حتى ليس يلتقيان
فالعقل إما فاسد ويظنه الر ... ائي صحيحًا وهو ذو بطلان
أو أن ذاك النص ليس بثابت ... ما قاله المعصوم بالبرهان
ونصوصه ليست تعارض بعضها ... بعضًا فَسَلْ عنها عليم زمان
وإذا ظننت تعارضًا فيها فذا ... من آفة الأفهام والأذهان
أو أن يكون البعض ليس بثابت ... ما قاله المبعوث بالقُرآن

لكنّ قول محمد والجَهْم في قلب الموحد ليس يجتمعان
إلّا ويطرد كل قول ضده فإذا هما اجتمعا فمقتتلان
والناس بعد على ثلاث حزبه أو حربه أو فارغ متوان
فاختر لنفسك أين تجعلها فلا واللّه لست برابع الأعيان
من قال بالتعطيل فهو مكذب بجميع رسل اللّه والفرقان
إنَّ المُعَطّل لا إلٰه له سوى المـ ـنحوت بالأفكار في الأذهان
وكذا إلٰه المشركين نَحيتَهُ الـ أَيْدي هما في نحتهم سيّان
لكن إلٰه المرسلين هو الذي فوق السماء مكوّن الأكوان
تاللّه قد نسب المُعَطّل كُلّ من بالبينات أتى إلى الكتمان
واللَّه ما في المرسلين معطّل ناف صفات الواحد الرحمٰن
كلّا ولا في المرسلين مشبه حاشاهم من إفك ذي بهتان
فخذ الهدى من عبده وكتابه فهما إلى سبل الهدى سببان

فصل
في إبطال قول الملحدين إن الاستدلال بكلام اللّه ورسوله لا يفيد العلم واليقين

واحذر مقالات الذين تفرقوا شيعًا وكانوا شيعة الشيطان
واسأل خبيرًا عنهم ينبيك عن أسرارهم بنصيحة وبيان
قالوا الهدى لا يستفاد بسنة كَلًّا ولا أثر ولا قرآن
اذ كُلّ ذاك أدلة لفظية لم تُبْدِ عن علم ولا إيقان
فيها اشتراك ثم إجمال يُرى وتجوّز بالزّيْد والنقصان
وكذلك الإضمار والتحقيق والـ ـحَذفُ الذي لم يبد عن تبيان
والنقل آحاد فموقوف على صدق الرواة وليس ذا برهان
اذ بعضهم في البعض يقدح دائمًا والقدح فيهم فهو ذو إمكان
وتواترًا فهو القليل ونادر جدًا فأين القطع بالبرهان
هذا ويحتاج السلامة بعد من ذاك المعارض صاحب السّلطان

وهو الذي بالعقل يُعرَف صدقه ... والنفي مظنون لدى الإنسان
فلأجل هذا قد عزلناها وولّ ... يْنَا العقول ومنطق اليونان
فانْظُرْ إلى الإسلام كيف بقاؤه ... من بعد هذا القول ذي البطلان
وانظر إلى القُرآن معزولاً لَدَيْـ ... ـهم عن نفوذ ولاية الإيقان
وانظر إلى قول الرّسول كذاك معـ ... ـزولاً لديهم ليس ذا سلطان
واللّه ما عزلوه تعظيمًا له ... أيظن ذلك قطّ ذو عرفان
يا ليتهم إذ يحكمون بِعَزْلِهِ ... لم يرفعوا رايات جِنْكِسْخان
يا ويحهم ولّوا نتائج فكرهم ... وقضوا بها قطعًا على القرآن
ورذالهم ولّوا إشارات ابن سيـ ... ـنا حين ولّوا مَنْطِقَ اليونان
وانظر إلى نص الكتاب مُجَدّلاً ... وسط العرين ممزّق اللحمان
بالطعن بالإجمال والإضمار والتـ ... ـخصيص والتأويل بالبهتان
وبالاشتراك وبالمجاز وحذف ما ... شاءوا بدعواهم بلا برهان
وانظر إليه ليس ينفذ حكمه ... بين الخصوم وما له من شان
وانظر إليه ليس يُقْبل قوله ... في العلم بالأوصاف للرحمٰن
لكنّما المقبول حكم العقل لا ... أحكامه لا يستوي الحكمان
يبكي عليه أهله وجنوده ... بدمائهم ومدامع الأجفان
عهدوه قدمًا ليس يحكم غيره ... وسواه معزول عن السّلطان
إن غاب نابت عنه أقوال الرسو ... ل هما لهم دون الورى حكمان
فأتاهم ما لم يكن في ظنهم ... في حكم جنكسخان ذي الطغيان
بجنود تعطيل وكفران من الـ ... ـمفعول ثم الآصِ والعلّان
فعلوا بملته وسنّته كما ... فعلوا بأمته من العدوان
واللّه ما انقادوا لجنكسخان حتـ ... ـى أعرضوا عن محكم القُرآن
واللّه ما ولوه إلّا بعد عَزْ ... ل الوحي عن علم وعن إيقان
عزلوه عن سلطانه وهو اليقيـ ... ـن المستفاد لنا من السلطان
هذا ولم يكف الذي فعلوه حَتّـ ... ـى تمّموا الكفران بالبهتان
جعلوا القُرآن عضين إذ عضّوهُ أنـ ... ـواعًا معددة من النّقصان

منها انتفاء خروجه من ربنا ... لم يَبْدُ من رب ولا رحمٰن
لكنّه خلق من اللوح ابتدا ... أو جبرئيل أو الرّسول الثاني
ما قاله رب السمٰوات العلى ... ليس الكلام بوصف ذي الغفران
تَبًّا لهم سلبوه أكمل وصفه ... عضهوه[1] عضه الريب والكفران
هل يستوي باللّه نسبته إلى ... بشر ونسبته إلى الرّحمٰن
من أين للمخلوق عِزّ صفاته ... اللّه أكبر ليس يستويان
بَيْنَ الصّفات وبَيْنَ مخلوق كما ... بَيْنَ الإلٰه وهذه الأكوان
هذا وقد عضهوه أن نصوصه ... معزولة عن إمرة الإيقان
لكنّ غايتها الظنون وليته ... ظنًّا يكون مطابقًا ببيان
لكنْ ظواهر لا يطابق ظنّها ... ما في الحقيقة عندنا بوزان
إلّا إذا ما أوّلت فمجازها ... بزيادة فيها أو النقصان
أو بالكناية واستعارات وتَشْـ ... ـبيه وأنواع المجاز الثاني
فالقطع ليس يفيده والظن مَنْـ ... ـفِيّ كذلك فانتفى الأمران
فلم الملامة اذ عزلناها وَوَلّ ... يْنا العقول وفكرة الأذهان
فاللّه يُعْظِم في النّصوص أجوركم ... يا أمة الآثار والقُرآن
ماتت لدى الأقوام لا يحيونها ... أبدًا ولا تحييهم لهوان
هذا وقولهم خلاف الحس والـ ... ـمعقول والمنقول والبرهان
مع كونه أيضًا خلاف الفطرة الـ ... أولى وسنة ربنا الرّحمٰن
فاللّه قد فطر العباد على التفا ... هم بالخطاب لمقصد التبيان
كُلّ يدل على الذي في نفسه ... بكلامه من أهل كُلّ لسان
فترى المخاطب قاطعًا بمراده ... هذا مع التقصير في الإنسان
إذ كُلّ لفظ غير لفظ نبيّنا ... هو دونه في ذا بلا نكران
حاشا كلام اللّه فهو الغاية الـ ... ـقصوى له أعلى ذرى التبيان
لم يفهم الثقلان من لفظ كما ... فهموا من الأخبار والقُرآن

---

(١) أي رموه بالبهتان.

فهو الذي استولى على التبيان كاسـ ـتيلائه حقًّا على الإحسان
ما بعد تبيان الرّسول لناظر إلّا العمى والعيب في العميان
فانْظُرْ إلى قول الرّسول لسائل من صحبه عن رؤية الرّحمٰن
حَقًّا تَرَوْن إلٰهكم يوم اللّقا رؤيا العيان كما يُرى القمران
كالبدر ليل تمامه والشمس في نحر الظهيرة ما هما مثلان[1]
بل قصده تحقيق رؤيتنا له فأتى بأظهر ما يُرى بعيان
ونفى السحاب وذاك أمر مانع من رؤية القمرين في ذا الآن
فأتى إذًا بالمُقْتَضى ونفى الموا نع خشية التقصير في التبيان
صلى عليه اللّه ما هذا الذي يأتي به من بعد ذا ببيان
ماذا يقول القاصد التبيان يا أهل العمى من بعد ذا التبيان
فبأي لفظ جاءكم قلتم له ذا اللفظ معزول عن الإيقان
وضربتُمُ في وجهه بعساكر التـ ـأويل دفعًا منكم بليان
لو أنكم واللّه عاملتم بذا أهل العلوم وكُتْبَهُم بِوِزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها وغدت علوم الناس ذات هوان
هذا وليسوا في بيان علومهم مثل الرّسول ومنزل القُرآن
واللّه لو صح الذي قد قلتم قُطِعَتْ سبيل العلم والإيمان
فالعقل لا يهدي إلى تفصيلها لكنّ ما جاءت به الوَحْيان
فإذا غدا التفصيل لفظيًّا ومَعْـ ـزولاً عن الإيقان والرجحان
فهناك لا علمًا أفادت لا ولا ظنًّا وهذا غاية الحرمان
لو صح ذاك القول لم يحصل لنا قَطْعٌ بقولٍ قطّ من إنسان
وغدا التخاطب فاسدًا وفساده أصل الفساد لنوع ذا الإنسان

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٣٧) وفي غير موضع ومسلم في صحيحه برقم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك...» الحديث.

ما كان يحصل علمنا بشهادة ... ووصيّة كَلّا ولا إيمان
وكذلك الإقرار يصبح فاسدًا ... إذ كان محتملاً لسبع معان
وكذا عقود العالمين بأسرها ... باللفظ إذ يتخاطب الرجلان
أيسوغ للشهدا إذا شهادتهم بها ... من غير علم منهم ببيان
إذ تِلْكُمُ الألفاظ غير مفيدة ... للعلم بل للظن ذي الرجحان
بل لا يسوغ لشاهد أبدًا شها ... دته على مدلول نطق لسان
بل لا يراق دَمٌ بلفظ الكفر من ... مُتَكَلّم بالظن والحسبان
بل لا يباح الفرج بالإذن الذي ... هو شرط صحته من النّسوان
أيسوغ للشهداء جَزْمُهُمُ بأن ... رضيت بلفظ قابل لمعان
هذا وجملة ما يقال بأنه ... في ذا فساد العقل والأديان
هذا ومن بُهْتانهم أن اللغا ... ت أَتَتْ بنقل الفرد والوحدان
فانْظُرْ إلى الألفاظ في جريانها ... في هذه الأخبار والقُرآن
أتظنّها تحتاج نقلاً مسندًا ... متواترًا أو نقل ذي وحدان
أم قد جرت مجرى الضرورات لا ... تحتاج نقلاً وهي ذات بيان
إلّا الأقلّ فانه يحتاج للنقل ... الصحيح وذاك ذو تبيان
ومن المصائب قول قائلهم بأنّ ... اللّه أظهر لفظة بلسان
وخلافهم فيه كثير ظاهر ... عربي وضع ذاك أم سرياني
وكذا اختلافهم أَمُشْتَقًّا يرى ... أم جامدًا قولان مشهوران
والأصل ماذا فيه خلف ثابت ... عند النحاة وذاك ذو ألوان
هذا ولفظ اللّه أظهر لَفْظَهُ ... نطق اللسان بها مدى الأزمان
فانْظُرْ بحقّ اللّه ماذا في الذي ... قالوه من لَبْس ومن بهتان
هل خالف العقلاء أن اللَّه ربّ ... العالمين مدبر الأكوان
ما فيه إجمال ولا هو موهم ... نقل المجاز ولا له وضعان
والخلف في أحوال ذاك اللفظ لا ... في وضعه لم يختلف رجلان
وإذا هُمُ اختلفوا بلفظة مكة ... فيه لهم قولان معروفان
أَفَبَيْنَهم خلف بأن مرادهم ... حرم الإلٰه وَقِبْلَةَ البلدان

وإذا هُمُ اختلفوا بلفظة أحمد ... فيه لهم قولان مذكوران
أفبينهم خلف بأن مرادهم ... منه رسول اللّه ذو البرهان
ونظير هذا ليس يحصر كثرة ... يا قوم فاستحيوا من الرّحمٰن
أَبِمِثْلِ ذا الهذيان قد عُزِلَت نصو ... ص الوحي عن علم وعن إيقان
فالحمد للّه المعافي عبده ... مما بلاكم يا ذوي العرفان
فلأجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم ... ومضوا على آثار كُلّ مهان
ولأجل ذاك غدوا على السُّنن التي ... جاءت وأهليها ذوي أضغان
يرمونهم بَهْتًا بكُلّ عظيمة ... حاشاهم من إفك ذي بهتان

فصل
في تنزيه أهل الحديث وحملة الشريعة عن الألقاب القبيحة والشنيعة

فرموهم بَغْيًا بما الرامي به ... أولى ليدفع عنه فعل الجاني
يرمي البريء بما جناه مباهتًا ... ولذاك عند الغِرّ يشتبهان
سموهم حشوية ونوابتا ... ومجسّمين وعابدي أوثان
وكذاك أعداء الرّسول وصحبه ... وهم الروافض أخبث الحيوان
نصبوا العداوة للصحابة ثم سَمّـ ... ـوا بالنواصب شيعة الرّحمٰن
وكذا المُعَطّل شبه الرّحمٰن بالـ ... ـمعدوم فاجتمعت له الوصفان
وكذاك شبّه قوله بكلامنا ... حتى نَفاهُ وذان تشبيهان
وكذاك شبّه وصفه بصفاتنا ... حتى نَفاها عنه بالبهتان
وأتى إلى وصف الرّسول لربه ... سمّاه تشبيهًا فيا إخواني
باللّه من أولى بهذا الاسم من ... هذا الخبيث المُخْبث الشيطاني
إن كان تشبيهًا ثبوت صفاته ... سبحانه فبِكامل ذي شأن
لكن نفي صفاته تشبيهه ... بالجامدات وكُلّ ذي نقصان
بل بالذي هو غير شيء وهو معـ ... ـدوم وإن يفرض ففي الأذهان
فمن المشبه بالحقيقة أنتم ... أم مثبت الأوصاف للرّحمٰن

فصل
في نكتة بديعة تبين ميراث الملقِّبين والملقَّبين من المشركين والموحدين

هذا وثم لطيفةٌ عَجَبٌ سأُبْـ ... ـديها لكم يا معشر الإخوان
فاسمع فذاك معطّل ومشبّه ... واعقل فذاك حقيقة الإنسان
لا بد أن يرث الرّسول وضدّه ... في الناس طائفتان مُختلفان
فالوارثون له على منهاجه ... والوارثون لضده فئتان
إحداهما حربٌ له ولِحِزْبِه ... ما عندهم في ذاك من كتمان
فرموه من ألقابهم بعظائم ... هم أهلها لا خيرة الرّحمٰن
فأتى الألى ورثوهم فرموا بها ... وُرّاثهُ بالبغي والعدوان
هذا يحقق إرث كُلّ منهما ... فاسمع وعِهْ يا من له أُذُنان
والآخرون أولو النفاق فأضمروا ... شيئًا وقالوا غيره بلسان
وكذا المُعَطّل مضمِرٌ تعطيله ... قد أظهر التنزيه للرحمٰن
هذي مواريث العباد تقسّمت ... بين الطوائف قسمة المنان
هذا وثَمّ لطيفة أخرى بها ... سلوان من قد سبّ بالبهتان
تجد المُعَطّل لاعنًا لمجسّم ... ومشبّه للّه بالإنسان
واللّه يصرف ذاك عن أهل الهدى ... كمحمد ومذمّم إسمان
هم يشتمون مذمّمًا ومحمد ... عن شتمهم في معزل وصيان
صان الإلٰه محمّدًا عن شتمهم ... في اللفظ والمعنى هما صونان
كصيانة الأتباع عن شتم المعطّـ ... ـل للمُشَبّه هكذا الإرثان
والسبب مرجعه إليهم إذ هُمُ ... أَهْلٌ لكُلّ مذمّة وهوان[1]
وكذا المُعَطّل يلعن اسم مشبّه ... واسم الموحد في حمى الرحمٰن
هذي حسان عرائس زُفّت لكم ... ولدى المُعَطّل هنّ غير حسان
والعلم يدخل قلب كُلّ موفّق ... من غير بواب ولا استئذان

(١) الهوان: الخزي والذل.

ويرده المحروم من خذلانه ... لا تُشْقِنا اللهمّ بالحرمان
يا فرقة نَفَتِ الإلٰه وقولَه ... وعُلُوَّه بالجحد والكفران
موتوا بغيظكُمُ فَرَبّي عالم ... بسرائرٍ منكم وخُبْث جنان
فاللّه ناصر دينه وكتابه ... ورسوله بالعلم والسّلطان
والحق ركن لا يقوم لهدِّهِ ... أَحَدٌ ولو جُمِعت له الثقلان
توبوا إلى الرّحمٰن من تعطيلكم ... فالربّ يقبل توبة النّدمان
من تاب منكم فالجنان مصيره ... أو مات جهمِيًّا ففي النيران

فصل
في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الأنبياء

واسمع وَعِهْ سرًّا عجيبًا كان مكـ ... ـتومًا من الأقوام منذ زمان
فأذعتُهُ بعد اللّتَيّا والتي ... نُصْحًا وخوف معرّة الكتمان
جيم وجيم ثم جيم معهما ... مقرونة مع أحرف بِوزان
فيها لدى الأقوام طِلَّسْمٌ متى ... تَحْلُلْهُ تَحْلُلْ ذِرْوَةَ العرفان
فإذا رأيت الثّور فيه تقارن الـ ... ـجيمات بالتثليث شَرّ قِران
دَلّت على أن النحوس جميعها ... سهم الذي قد فاز بالخذلان
جبر وإرجاء وجيم تَجَهُّم ... فتأمل المجموع في الميزان
فاحكم بطالعها لمن حصلت له ... بخلاصه من ربقة الإيمان
فاحمل على الأقدار ذنبك كلَّه ... حمل الجذوع على قوى الجدران
وافتح لنفسك باب عُذْرِك إذ ترى الـ ... أفعال فعل الخالق الديان
فالجبر يشهدك الذنوب جميعها ... مثل ارتعاش الشيخ ذي الرجفان
لا فاعل أبدًا ولا هو قادر ... كالميت أدرج داخل الأكفان
والأمر والنهي اللذان توجّها ... فهما كأمر العبد بالطيران
وكأمره الأعمى بنقط مصاحف ... أو شكلها حذرًا من الألحان
وإذا ارتَفَعْت دُرَيْجَةً أخرى رَأَيْـ ... ـت الكُلّ طاعات بلا عصيان

إن قيل قد خالفت أمر الشرع قل ... لكن أطعت إرادة الرّحمٰن
ومطيع أمر اللّه مثل مطيع ما ... يقضي به وكلاهما عبدان
عبد الأوامر مثل عبد مشيئة ... عند المحقق ليس يفترقان
فانْظُرْ إلى ما قادت الجيم التي ... للجَبْر من كُفُرٍ ومن بُهْتان
وكذلك الإرجاء حين تُقِرّ بالـ ... ـمعبود تُصْبِح كامل الإيمان
فارم المصاحف في الحشوش وخرب الـ ... ـبَيْت العتيق وَجِدّ في العصيان
واقتل إذا ما اسطعت كُلّ موحّد ... وتمسّحن بالقَسّ والصّلبان
واشتم جميع المرسلين ومن أتوا ... من عنده جهرًا بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها ... بل خِرّ للأصنام والأوثان
وأقرّ أنّ اللَّه جل جلاله ... هو وحده الباري لذي الأكوان
وأقرّ أنّ رسوله حقًّا أتى ... من عنده بالوحي والقُرآن
فتكون حقًّا مؤمنًا وجميع ذا ... وزر عَلَيْك وليس بالكفران
هذا هو الإرجاء عند غلاتهم ... من كُلّ جهمي أخي الشيطان
فأضف إلى الجيمين جيمَ تَجَهّم ... وانف الصفات وألق بالأرسان[1]
قل ليس فوق العرش رب عالم ... بسرائرٍ منّا ولا إعلان
بل ليس فوق العرش ذو سمع ولا ... بصر ولا عدل ولا إحسان
بل ليس فوق العرش معبود سو ... ى العدم الذي لا شيء في الأعيان
بل ليس فوق العرش من متكلّم ... بأوامر وزواجر وقران
كَلّا ولا كلم إليه صاعد ... أبدًا ولا عملٌ لذي شكران
أنّى وحظّ العرش منه كحظّ ما ... تحت الثرى عند الحضيض الداني
بل نسبة الرّحمٰن عند فريقهم ... للعرش نسبته إلى البنيان
فعليهما استولى جميعًا قدرة ... وكلاهما من ذاته خلوان
هذا الذي أعطته جيم تجهم ... حَشْوًا بلا كَيْلٍ ولا ميزان
تاللّه ما استجمعن عند معطل ... جيماتها ولديه من إيمان

(١) الرسن: الحبل الذي يقاد به البعير.

والـجَهْـم أصّـلها جـمـيـعًـا فـاغـتـدت مـقـسـومـة فـي الـنـاس بـالـمـيـزان
والـوارثـون لـه عـلى الـتـحـقـيـق هـم أصـحـابـهـا لا شـيـعـة الإيـمـان
لـكـن تـقـسّـمـت الـطـوائـف قـولـه ذو الـسّـهـم والـسّـهـمـين والـسّـهـمـان
لكن نجا أهل الحديث المحض أَتـ ـبـاعُ الـرّسـول وتـابـعـو الـقُـرآن
عرفوا ما الذي قد قال مع علم بما قـال الـرّسـول فـهـم أولـو الـعـرفـان
وسواهم في الجهل والدعوى مع الـ ـكـبْـر الـعـظـيـم وكـثـرة الـهـذيـان
مـدّوا يـدًا نـحـو الـعـلى بـتـكـلّف وتـخـلّف وتـكـبّـر وتـوان
أَتُـرى يـنـالـوهـا وهـذا شـأنـهـم حاشا العُلَى من ذا الزبون الغاني

فصل

في جواب الربّ تبارك وتعالى يوم القيامة إذا سأل المُعَطّل والمُثْبِتَ عن قول كُلّ منهما

وسل الـمُـعَـطّـل مـا تـقـول إذا أتـى فـئـتـان عـنـد الـلّه تـخـتـصـمـان
إحداهما حكمت على معبودها بـعـقـولـهـا وبـفـكـرة الأذهـان
سـمّـتـه مـعـقـولاً وقـالـت إنـه أولى من الـمـنـصـوص بـالـبـرهـان
والـنـصّ قـطـعًـا لا يـفـيـد فـنـحـن أَوّ لْـنـا وفـوّضـنـا لـنـا قـولان
قـالـت وقـلـنـا فـيـك لـسـت بـداخـل كـلًّا ولـسـت بـخـارج الأكـوان
والعرش أَخْلَيْناه منك فلست فو ق الـعـرش لـسـت بـقـابـل لـمـكـان
وكـذاك لـسـت بـقـائـل الـقُـرآن بـل قـد قـالـه بـشـرٌ عـظـيـم الـشـان
ونسبته حقًّا إليك بنسبة التّـ ـشْـريـف تـعـظـيـمًـا لـذا الـقُـرآن
وكذاك قلنا لست تَنْزِلُ في الدجى إنّ الـنـزول صـفـات ذي الـجـثـمـان
وكـذاك قـلـنـا لـسـت ذا وجـه ولا سـمـع ولا بـصـر فـكـيـف يـدان
وكـذاك قـلـنـا لا تُـرى فـي هـذه الـد نـيـا ولا يـوم الـمـعـاد الـثـانـي
وكـذاك قـلـنـا مـا لـفـعـلك حـكـمـة مـن أجـلـهـا خَـصّـصْـتـه بـزمـان
مـا ثَـمّ غـيـر مـشـيـئـة قـد رجّـحـت مِـثْـلاً عـلى مِـثْـلٍ بـلا رجـحـان
لـكـن مـنـا مـن يـقـول بـحـكـمـة لـيـسـت بـوصـف قـام بـالـرّحـمٰـن
هـذا وقـلـنـا مـا اقـتـضـتـه عـقـولـنـا وعـقـولُ أشـيـاخ ذوي عـرفـان

قالوا لنا لا تأخذوا بظواهر الْـ ... ـوَحْيَيْن تنسلخوا من الإيمان
بل فكّروا بعقولكم إن شئتُمُ ... أو فاقبلوا آراء عقل فلان
فلأجل هذا لم نُحَكّم لفظ آ ... ثار ولا خبر ولا قرآن
إذ كُلّ تلك أدلّة لفظيّة ... معزولةٌ عن مقتضى البرهان

فصل

والآخرون أتوا بما قد قاله ... من غير تحريف ولا كتمان
قالوا تلقّينا عقيدتنا عن الـ ... ـوَحْيَيْن بالأخبار والقُرآن
فالحكمُ ما حكما به لا رأي أهـ ... ـل الاختلاف وظنّ ذي الحسبان
آراؤهم أحداث هذا الدين نا ... قضة لأصل طهارة الإيمان
آراؤهم ريح المقاعد أين تل ... ـك الريح من رَوْحٍ ومن ريحان
قالوا وأنت رقيبنا وشهيدنا ... من فوق عرشك يا عظيم الشان
إنا أَبَيْنا أن ندين ببدعة ... وضلالة أو إفْكِ ذي بهتان
لكن بما قد قُلْتُه أو قاله ... من قد أتانا عنك بالفرقان
ولذاك فارقناهم حين احتيا ... ج الناس للأنصار والأعوان
كيلا تصير مصيرهم في يومنا ... هذا ونطمع منك بالغفران
فمن الذي منّا أحقّ بأمنه ... فاختر لنفسك يا أخا العرفان
لا بد أن نلقاه نحن وأنتم ... في موقف العرض العظيم الشان
وهناك يسألنا جميعًا ربنا ... ولديه قَطْعًا نحن مختصمان
فنقول قلت كذا وقال نبينا ... أيضًا كذا فإمامنا الوَحْيان
فافعل بنا ما أنت أهلٌ بَعْدَ ذا ... نحن العبيد وأنت ذو الإحسان
أفتقدرون على جواب مثل ذا ... أم تعدلون إلى جواب ثان
ما فيه قال اللّه قال رسوله ... بل فيه قلنا مثل قول فلان
وهو الذي أدّت إليه عقولنا ... لما وَزَنّا الوحي بالميزان
إن كان ذلكم الجواب مُخَلّصًا ... فامضوا عليه يا ذوي العرفان
تاللّه ما بعد البيان لمنصف ... إلّا العنادُ ومَرْكَبُ الخذلان

فصل
في تحميل أهل الإثبات للمعطلين
شهادة تؤدىٰ عند رب العالمين

يا أيُّها الباغي على أتباعه[1] بالظلم والبهتان والعدوان
قد حمّلوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولاً لدى الرّحمٰن
واشهد عليهم إن سئلت بأنهم قالوا إلٰه العرش والأكوان
فوق السمٰوات العلى حقًّا على الـ ـعَرْش استوى سبحان ذي السّلطان
والأمر ينزل منه ثم يسير في الـ أقطار سبحان العظيم الشان
وإليه يصعد ما يشاء بأمره من طيّبات القول والشكران
وإليه قد صعد الرّسول وقبله عيسى ابن مريم كاسر الصلبان
وكذلك الأملاك تصعد دائمًا من هٰهنا حقًّا على الديان
وكذاك روح العبد بعد مماتها ترقى إليه وهو ذو إيمان
واشهد عليهم أنه سبحانه مُتَكَلّمٌ بالوحي والقُرآن
سمع الأمين كلامه منه وأدّ اه إلى المبعوث بالفرقان
هو قول رب العالمين حقيقة لفظًا ومعنىً ليس يفترقان
واشهد عليهم أنه سبحانه قد كلّم المولود من عمران
سمع ابن عمران الرّسول كلامه منه إليه مَسْمَع الآذان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأنّ اللّه ناداه بلا كتمان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأنّ اللّه نادى قبله الأبوان
واشهد عليهم أنهم قالوا بأنّ اللّه يسمع صوته الثقلان
واللّه قال بنفسه لرسوله إني أنا اللَّه العظيم الشان
واللّه قال بنفسه لرسوله اذهب إلى فرعون ذي الطغيان
واللّه قال بنفسه حم مع طه ومع يس قول بيان
واشهد عليهم أنهم وصفوا الإلٰـ ـه بكُلّ ما قد جاء في القُرآن

(١) أي أتباع الرسول ﷺ.

وبكُلّ ما قال الرّسول حقيقة ... من غير تحريف ولا عدوان
واشهد عليهم أن قول نبيّهم ... وكلام رب العرش ذا التبيان
نص يفيد لَدَيْهم علم اليقيـ ... ـن إفادة المعلوم بالبرهان
واشهد عليهم أنهم قد قابلوا التـ ... ـعطيل والتمثيل بالنكران
إن المُعَطّل والممثل ما هما ... مُتَيَقِّنَين عبادة الرّحمٰن
ذا عابد المعدوم لا سبحانه ... أبدًا وهذا عابد الأوثان
واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـ ... ـأسماء والأوصاف للديان
وكذلك الأحكام أحكام الصفا ... ت وهذه الأركان للإيمان
قالوا عليم وهو ذو علم ويعـ ... ـلم غاية الإسرار والإعلان
وكذا بصير وهو ذو بصر ويُبْـ ... ـصر كُلّ مرئيٍّ وذي الألوان
وكذا سميع وهو ذو سمع ويسـ ... ـمع كُلّ مسموع من الأكوان
متكلّم وله كلام وصفه ... ويكلّم المخصوص بالرضوان
وهو القوي بقوة هي وصفه ... وعليك يقدر يا أخا السّلطان
وهو المريد له الإرادة هكذا ... أبدًا يريد صنائع الإحسان
والوصف معنى قائم بالذات والـ ... ـأسماء أعلام له بوزان
أسماؤه دلت على أوصافه ... مشتقّة منها اشتقاق معان
وصفاته دلت على أسمائه ... والفعل مرتبط به الأمران
والحكم نسبتها إلى متعلقا ... ت تقتضي آثارها ببيان
ولربما يُعنى به الإخبار عن ... آثارها يُعنى به أمران
والفعل إعطاء الإرادة حكمها ... مع قدرة الفعال والإمكان
فإذا انتفت أوصافه سبحانه ... فجميع هذا بيّن البطلان
واشهد عليهم أنهم قالوا بهـ ... ـذا كلّه جهرًا بلا كتمان
واشهد عليهم أنهم برآء من ... تأويل كُلّ محرف شيطان
واشهد عليهم أنهم يتأوّلو ... ن حقيقة التأويل في القُرآن
هم في الحقيقة أهل تأويل الذي ... يُعنى به لا قائل الهذيان
واشهد عليهم أن تأويلاتهم ... صرف عن المرجوح للرجحان

واشهد عليهم أنهم حملوا النّصو ... ص على الحقيقة لا المجاز الثاني
إلّا إذا ما اضطرّهم لمجازها الـ ... ـمضطر من حِسٍّ ومن برهان
فهناك عصمتها إباحته بِغَيْـ ... ـر تجانف للإثم والعدوان
واشهد عليهم أنهم لا يُكْفِرُو ... نَكُمُ بما قلتم من الكفران
إذ أَنْتُمُ أهل الجهالة عندهم ... لستم أولي كفر ولا إيمان
لا تعرفون حقيقة الكفران بل ... لا تعرفون حقيقة الإيمان
إلّا إذا عانـدتم ورددتُمُ ... قول الرّسول لأجل قول فلان
فهناك أنتم أكفر الثقلين من ... إنس وجنّ ساكني النيران
واشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الـ ... أقدار واردة من الرّحمٰن
واشهد عليهم أن حجة ربهم ... قامت عليهم وهو ذو غفران
واشهد عليهم أنهم هم فاعلو ... ن حقيقة الطاعات والعصيان
والجبر عندهم محالٌ هكذا ... نفي القضاء فبئست الرأيان
واشهد عليهم أن إيمان الورى ... قول وفعل ثم عقد جنان
ويزيد بالطاعات قطعًا هكذا ... بالضد يمسي وهو ذو نقصان
واللّه ما إيمان عاصينا كإيـ ... ـمان الأمين مُنَزّل القُرآن
كَلّا ولا إيمان مؤمِنِنا كإيـ ... ـمان الرّسول معلم الإيمان
واشهد عليهم أنهم لم يُخْلِدوا ... أهل الكبائر في حميم آن
بل يخرجون بإذنه بشفاعة ... وبدونها لمساكن بجنان
واشهد عليهم أن ربهم يُرىٰ ... يوم المعاد كما يرى القمران
واشهد عليهم أن أصحاب الرسو ... ل خيار خلق اللّه من إنسان
حاشا النبيّين الكرام فإنهم ... خير البرية خيرة الرحمٰن
وخيارهم خلفاؤه من بعده ... وخيارهم حقًّا هما العمران
والسابقون الأولون أحق بالتّـ ... ـقديم ممّن بعدهم ببيان
كُلّ بحسب السبق أفضل رتبة ... من لاحق والفضل للمنّان

فصل
في عهود المثبتين لربّ العالمين

يا ناصر الإسلام والسُّنن التي ... جاءت عن المبعوث بالقُرآن
يا من هو الحق المبين وقوله ... ولقاؤه ورسوله ببيان
اشرح لدينك صدر كُلّ موحّد ... شرحًا ينال به ذُرا الإحسان
واجْعَله مؤتمًّا بِوَحْيِك لا بما ... قد قاله ذو الإفك والبهتان
وانْصر به حزب الهدى واكبت به ... حزب الضلال وشيعة الشيطان
وانْعش به من قصده إحياؤه ... واعصمه من كيد امرىء فتّان
واضرب بحقك عنق أهل الزيغ والتـ ... ـبْديل والتكذيب والطغيان
فوحقّ نعمتك التي أوليتني ... وجعلت قلبي واعي القُرآن
وكتبت في قلبي متابعة الهدى ... فقرأتُ فيه أَسْطُر الإيمان
ونشلتني من حب أصحاب الهوى ... بحبائل من مُحْكَمِ الفرقان
وجعلت شِرْبي المَنْهَلَ العَذْبَ الذي ... هو رأس ماء الوارد الظمآن
وعصمتني من شرب سفل الماء تَحْـ ... ـتَ نجاسة الآراء والأذهان
وحفظتني مما ابْتَلَيْتَ به الألى ... حكموا عَلَيْك بشرعة البهتان
نبذوا كتابك من وراء ظهورهم ... وتمسكوا بزخارف الهذيان
وَأَرَيْتَني البدع المُضِلّة كيف يد ... قيها مُزَخْرفة إلى الإنسان
شيطانه فيظل ينقشها له ... نقش المشبه صورة بدهان
فيظنها المغرور حقًّا وهي في التّـ ... ـحقيق مثل الآل[1] في القيعان
لأجاهدن عداك ما أبقيتني ... ولأجعلن قتالهم ديداني[2]
ولأفضحنّهُمُ على رؤوس الملا ... ولأفرِيَنّ[3] أديمَهُم[4] بلساني
ولأكشفن سرائرًا خَفِيَتْ على ... ضعفاء خلقك منهُمُ ببيان

(١) وهو السراب.
(٢) أي عادني.
(٣) فرى الشيء أي شقه وأفسده.
(٤) الأديم أي الجلد.

ولأتبعنّهم إلى حيث انتهوا حتى يُقال أَبَعْدَ عَبّادان
ولأرجمنّهم بأعلام الهدى رَجْمَ المريد بثاقب الشّهبان
ولأقعُدُنّ لهم مراصد كيدهم ولأحصُرَنّهُمُ بكُلّ مكان
ولأجعلنّ لحومهم ودماءهم في يوم نَصْرك أعظم القُرْبان
ولأحمِلَنّ عليهم بعساكر ليست تَفِرّ إذا التقى الزحفان
بعساكر الوحيين والفطرات بالـ ـمعقول والمنقول بالإحسان
حين يبين لمن له عقل من الـ أَوْلى بحكم العَقْل والبرهان
ولأنصحن اللّه ثم رسوله وكتابه وشرائع الإيمان
إن شاء ربي ذا يكون بحوله أو لم يشأ فالأمرُ للرّحمٰن

فصل

في شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس في السماء إلٰه يعبد ولا للَّه بيننا كلام ولا في القبر رسولٌ

إنّا تحمّلنا الشهادة بالذي قُلْتُمْ نؤدّيها لدى الرّحمٰن
ما عندكم في الأرض قرآن كلا م اللَّه حقًّا يا أولي العدوان
كَلّا ولا فوق السمٰوات العلى ربٍّ يطاع بواجب الشكران
كَلّا ولا في القبر أَيضًا عندكم من مرسل واللَّه عند لسان
هاتيك عورات ثلاث قد بدت منكم فغطوها بلا روغان
فالروح عندكم من الأعراض قا ئمةٌ بجسم الحيّ كالألوان
وكذا صفات الحيّ قائمةٌ به مَشْروطَةٌ بحياة ذي الجثمان
فإذا انتفت تلك الحياة فينتفي مشروطها بالعقل والبرهان
ورسالة المبعوث مشروط بها كصفاته بالعلم والإيمان
فإذا انتفت تلك الحياة فكُلّ مشـ ـروط بها عَدَمٌ لذي الأذهان

فصل
في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ... ترقيعَهُ يا كثرة الخُلْقان[١]
قال الرّسول بقبره حيّ كما ... قد كان فوق الأرض والرُّجْمان[٢]
من فوقه أطباق ذاك التربِّ واللّ ... بِنات قد عُرِضَت على الجُدْران
لو كان حيًّا في الضريح حياته ... قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها ... واللَّه هذي سنّة الرّحمٰن
أتراه تحت الأرض حيًّا ثمَّ لا ... يفتيهم بشرائع الإيمان
ويُريحُ أمّته من الآراء والـ ... ـخُلْفِ العظيم وسائر البهتان
أم كان حيًّا عاجزًا عن نطقه ... وعن الجواب لسائل لَهْفان
وعن الحراك فما الحياة اللّاتِ قد ... أثبتموها أوضحوا ببيان
هذا ولم لا جاءه أصحابه ... يَشْكُون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيّهم ... حيّ يشاهدُهُم شهود عيان
هل جاءكم أثر بأنّ صحابه ... سألوه فُتْيا وهو في الأكفان
فأجابهم بجواب حيّ ناطق ... فأتوا إذًا بالحق والبرهان
هلّا أجابهم جوابًا شافيًا ... إن كان حيًّا ناطقًا بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن الـ ... ـحُجُرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على ... إرشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ... ويكون للتّبيان ذا كتمان
ان قلتم سبق البيان صَدَقْتُم ... قد كان بالتكرار ذا إحسان
هذا وكم من أمر أشْكَلَ بعده ... أعني على العلماء كُلّ زمان
أو ما ترى الفاروق وَدّ بأنه ... قد كان منه العهد ذا تبيان
بالجد في ميراثه وكلالة ... وببعض أبواب الربا الفتّان
قد قصّر الفاروق عند فريقكم ... إذ لم يَسَلْهُ وهو في الأكفان

---

(١) جمع خَلَق أي البالي.
(٢) جمع رَجَم وهو القبر.

أتـراهـم يـأتـون حـول ضـريـحـه لـسـؤال أمّـهـم أَعَـزّ حـصـان
ونـبـيّـهـم حـيّ يـشـاهـدهـم ويـسـ ـمـعـهـم ولا يـأتـي لـهـم بـبـيـان
أفـكـان يـعـجـز أن يـجـيـب بـقـولـه إذ كـان حـيًّـا داخـل الـبـنـيـان
يا قومنا استحيوا من العقلاء والـ ـمَـبْـعـوث بـالـقُـرآن والـرّحـمٰـن
والـلَّه لا قـدر الـرّسـول عـرفـتـم كَـلّا ولا لـلـنّـفـس والإنـسـان
مـن كـان هـذا الـقـدر مـبـلَغَ عـلمـه فـليـسـتـتـر بـالـصـمـت والـكـتـمـان
ولـقـد أبـان الـلَّه أن رسـولـه مَـيْـتٌ كـمـا قـد جـاء فـي الـقـرآن[1]
أفـجـاء أن الـلَّه بـاعـثُـهُ لـنـا فـي الـقـبـر قـبـل قـيـامـة الأبـدان
أثـلاث مـوتـات تـكـون لـرُسْـلِهِ ولـغـيـرهـم مـن خـلقـه مـوتـان
إذ عـنـد نـفـخ الـصـور لا يـبـقـى امـرؤ فـي الأرض حـيًّـا قـط بـالـبـرهـان
أفـهـل يـمـوت الـرُّسْـلُ أم يـبـقـوا إذا مـات الـورى أم هـل لـكـم قـولان
فـتـكـلـمـوا بـالـعـلـم لا الـدعـوى وجـيـ ـئـوا بـالـدلـيـل فـنـحـن ذو أذهـان
أو لـم يـقـل مـن قـبـلـكـم لـلـرافـعـي الْ أَصْـوات حـول الـقـبـر بـالـنـكـران
لا تـرفـعـوا الأصـوات حـرمـة عـبـده مَـيْـتًـا كـحـرمـتـه لـدى الـحـيـوان
قـد كـان يـمـكـنـهـم يـقـولـوا إنـه حـي فـغـضـوا الـصـوت بـالإحـسـان
لـكـنّـهـم بـالـلَّه أعـلـمُ مـنـكـم ورسـولـه وحـقـائـق الإيـمـان
ولـقـد أتـوا إلـى الـعـبـاس يَـسْـ تَـسْـقـون مـن قـحـط وجـدب زمـان
هـذا وبـيـنـهـم وبـيـن نـبـيّـهـم عـرضُ الـجـدار وحـجـرة النِّـسـوان
فـنـبـيّـهـم حـيّ ويـسـتـسـقـون غَـيْـ ـرَ نـبـيّـهـم حـاشـا أولـي الإيـمـان

فصل
فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فـإن احـتـجـجـتـم بـالـشـهـيـد بـأنـه حـيّ كـمـا قـد جـاء فـي الـقـرآن[2]

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠].
(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والرسل أكمل حالةً منه بلا ... شك وهذا ظاهر التّبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحقّ من ... شُهدائنا بالعقل والبرهان
وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ ... فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يَحِلّ لغيره ... منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه ... حيّ لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائمًا ... في قبره لصلاة ذي القربان[1]
أفميّت يأتي الصلاة وإنّ ذا ... عين المحال وواضح البطلان
أو لم يقل أني أرد على الذي ... يأتي بتسليم مع الإحسان[2]
أيرد ميّت السَّلام على الذي ... يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم ... أحياء في الأجداث ذا تبيان[3]
وبأن أعمال العباد عليه تُعْـ ... ـرض دائمًا في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي ... قد خُصّ بالفضل العظيم الشأن

فصل
في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقالُ أصل دليلكم في ذاك حُجّـ ... ـتنا عَلَيْكم وهي ذات تبيان
إن الشهيد حياته منصوصة ... لا بالقياس القائم الأركان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٧٥) من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مررت على موسى وهو يصلي في قبره» وفي رواية: «أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره».

(٢) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه برقم (٢٠٤١) وأحمد في المسند (٢/ ٥٢٧) من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام».
والحديث حسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود برقم (١٧٩٥).

(٣) يشير إلى ما أخرجه البزار في مسنده برقم (٢٣٤٠ كشف) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ٢٨٥) من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم يصلّون».
والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (٦٢١).

هـذا مـع الـنـهـي الـمـؤكـد أنـنـا ... نـدعـوه مـيـتـا ذاك فـي الـقـرآن
ونـسـاؤه حـلٌّ لـنـا مـن بـعـده ... والـمـال مقـسـوم على السّهـمـان[1]
هـذا وأن الأرض تـأكُـلّ لـحـمـه ... وسـبـاعـهـا مـع أمّـة الـديـدان
لـكـنّـه مـع ذاك حـيّ فـارِحٌ ... مُـسْـتَـبْـشِـرٌ بـكـرامـة الـرّحـمٰـن[2]
فـالـرسـل أولـى بـالـحـيـاة لـديـه مع ... مـوت الـجـسـوم وهـذه الأبـدان
وهـي الـطـريّـة فـي الـتـراب وأكـلُـهـا ... فـهـو الـحـرام عـلـيـه بـالـبـرهـان
ولـبـعـض أتـبـاع الـرّسـول يـكـون ذا ... أَيـضًـا وقـد وجـدوه رأي عـيـان
فـانْـظُـرْ إلـى قـلـب الـدلـيـل عـلـيـهـم ... حَـرْفًـا بـحـرفٍ ظـاهـر الـتّـبـيـان
لـكـن رسـول الـلّـه خُـصّ نـسـاؤه ... بـخـصـيـصـة عـن سـائـر الـنِّـسـوان
خُـيِّـرْن بـيـن رسـولـه وسـواه فـاخـ ... ـتـرن الـرّسـول لـصـحـة الإيـمـان[3]
شـكـر الإلٰـه لـهـن ذلـك وربـنـا ... سـبـحـانـه لـلـعـبـد ذو شـكـران
قُـصِـرَ الـرّسـول عـلـى أولـئـك رحـمـة ... مـنـه بـهـن وشـكـر ذي الإحـسـان
وكـذاك أَيـضًـا قـصـرهـن عـلـيـه مـعـ ... ـلوم بـلا شـك ولا حـسـبـان
زوجـاتـه فـي هـذه الـدنـيـا وفـي الـ ... أخـرى يـقـيـنًـا واضـح الـبـرهـان
فـلـذا حَـرُمْـن عـلـى سـواه بـعـده ... إذ ذاك صـونًـا عـن فـراش ثـان
لـكـن أتـيـن بـعـدّة شـرعـيـة ... فـيـهـا الـحـداد ومـلـزم الأوطـان
هـذا ورؤيـتـه الـكـلـيـم مـصـلّـيًـا ... فـي قـبـره أثـر عـظـيـم الـشـان
فـي الـقـلـب مـنـه حُـسـيـكَـةٌ هـل قـالـه ... فـالـحـق مـا قـد قـال ذو الـبـرهـان
ولـذاك أعـرض فـي الـصـحـيـح مـحـمـد ... عـنـه عـلـى عـمـد بـلا نـسـيـان
والـدارقـطـنـي الإمـام أعـلّـه ... بـروايـة مـعـلـومـة الـتـبـيـان
أنـس يـقـول رأي الـكـلـيـم مـصـلّـيًـا ... فـي قـبـره فـأعـجـب لـذا الـعـرفـان

---

(١) جمع سهم وهو النصيب.

(٢) كـمـا فـي قـولـه تـعـالـى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٧٠].

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩].

فرواه موقوفًا عليه وليس بالـ ـمرفوع وأشواقًا إلى العِرفان
بين السياق إلى السياق تفاوت لا تطّرِحْه فما هما سيّان
لكن تُقَلّدْ مُسْلِمًا وسواه ممّـ ـن صحّ هذا عنده ببيان
فرواته الأثبات أعلام الهدى حفاظ هذا الدِّين في الأزمان
لكنّ هذا ليس مختَصًّا به واللَّه ذو فضل وذو إحسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره خَبَرًا صحيحًا عنده ذا شان
فيه صلاة العصر في قبر الذي قد مات وهو محقّق الإيمان
فتمثل الشمس التي قد كان ير عاها لأجل صلاة ذي القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين هل تدعاني
حتى أصلي العصر قبل فواتها قالا ستفعل ذاك بعد الآن[1]
هذا مع الموت المحقق لا الذي حُكِيَتْ لنا بثبوته القولان
هذا وثابت البناني قد دعا الرّ حمٰن دعوة صادق الإيقان
أن لا يزال مصلّيًا في قبره إن كان أُعْطِيَ ذاك من إنسان
لكنّ رؤيته لموسى ليلة الـ ـمعراج فوق جميع ذي الأكوان
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجَبُهُ بلا نكران
ولذاك ظن معارضًا لصلاته في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه أسري به ليراه ثمَّ مشاهدًا بعيان
فرآه ثمَّ وفي الضريح وليس ذا بتناقض إذ أمكن الوقتان
هذا وَرَدّ نبينا لسلام من يأتي بتسليم مع الإحسان
ما ذاك مُخْتَصًّا به أَيضًا كما قد قاله المبعوث بالقرآن
من زار قبر أخ له فأتى بتسـ ـليم عليه وهو ذو إيمان
رد الإلٰه عليه حقًّا روحه حتى يرد عليه رَدّ بيان

(١) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٣١١٦ إحسان) وابن ماجه في سننه برقم (٤٢٧٢) من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل الميت القبر مثلت له الشمس عند غروبها، فيقول: دعوني أصلي».
والحديث حسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٤٤٧).

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم ... لَمّا يصح وظاهر النكران
فانْظُرْ إلى الإسناد تعرف حاله ... إن كنت ذا علم بهذا الشأن
هذا ونحن نقول هم أحياء لـ ... ـكن عندنا كحياة ذي الأبدان
والتّربُ تحتهم وفوق رؤوسهم ... وعن الشمائل ثمَّ عن أيمان
مثل الذي قد قلتموه معاذنا ... باللَّه من إفك ومن بهتان
بل عِنْدَ ربهم تعالى مثل ما ... قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهم أجلّ وحالُهم ... أعلى وأكمل عند ذي الإحسان
هذا وأمّا عرض أعمال العبا ... د عليه فهو الحق ذو إمكان
وأتى به أثر فإن صح الحديـ ... ـث به فحقٌّ ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مُخْتَصًّا به ... أَيضًا بآثار روين حسان
فعلى أبي الإنسان يعرض سعيه ... وعلى أقاربه مع الإخوان
إن كان سعيًا صالحًا فرحوا به ... واستبشروا يا لذة الفرحان
أو كان سعيًا سيئًا حزنوا وقا ... لوا ربِّ راجعه إلى الإحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى ... هذا الحديث عقيبه بلسان
يا ربِّ إني عائذ من خزية ... أخزى بها عند القريب الداني
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة الـ ... ـمَحْبُوّ بالغفران والرضوان
لكن هذا ذو اختصاص والذي ... للمصطفى ما يعمل الثقلان
هذي نهايات لإقدام الورى ... في ذا المقام الضنك صعب الشأن
والحق فيه ليس تحمله عقو ... ل بني الزمان لغلظة الأذهان
ولجهلهم بالروح مع أحكامها ... وصفاتها للإلف بالأبدان
فارض الذي رضي الإلٰه لهم به ... أتريد تَنْقُضُ حكمة الرّحمٰن
هل في عقولهم بأن الروح في ... أعلى الرفيق مقيمةٌ بجنان
وتُرَدّ أوقات السَّلام عليه من ... أتباعه في سائر الأزمان
وكذاك إن زرت القبور مُسَلّمًا ... رُدّت لهم أرواحهم للآن
فَهُمُ يردون السَّلام عَلَيْك لـ ... ـكن لست تسمعه بذي الأذنان
هذا وأجواف الطيور الخضر مسـ ... ـكَنُها لدى الجَنّاتُ والرضوان

من ليس يحمل عقله هذا فلا تظلمه واعذُرَه على النّكران
للروح شأن غير ذي الأكوان لا تهمله شأن الروح أعجب شان
وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفَرْدِ في الأزمان
هذا وأمرٌ فوق ذا لو قلته بادرت بالانكار والعدوان
فلذاك أَمْسَكْتُ العِنان[1] ولو أرى ذاك الرفيق جَرَيْتُ في الميدان
هذا وقولي إنها مخلوقة وحدوثها المعلوم بالبرهان
هذا وقولي أنها ليست كما قد قال أهل الافك والبهتان
لا داخل فينا ولا هي خارج عنّا كما قالوه في الديان
واللَّه لا الرّحمٰن أَثْبَتّم ولا أرواحكم يا مُدّعي العرفان
عطّلْتُم الأبدان من أرواحها والعرش عطّلْتم من الرّحمٰن

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل[2] الإيمان وحصونه جيلاً بعد جيل

لا يُفْزِعَنْكَ قعاقِعٌ وفراقِعٌ وجعاجِعٌ عَرِيَتْ عن البرهان
ما عندهم شيء يهولك غير ذا ك المنجنيق مقطّع الأركان
وهو الذي يدعونه التركيب منـ ـصوبًا على الإثبات منذ زمان
أرأيت هذا المنجنيق فإنهم نصبوه تحت معاقل الإيمان
بلغت حجارته الحصون فهدّت الشـ ـرفات واستولت على الجدران
للَّه كم حصن عليه استولت الـ ـكفار من ذا المنجنيق الجاني
واللَّه ما نصبوه حتى عَيّروا قصدا على الحصن العظيم الشأن
ومن البليّة أن قومًا بين أهـ ـل الحصن واطَوهُم على العدوان
وَرَمَوْا به معهم وكان مصاب أهـ ـل الحصن منهم فوق ذي الكفران

---

(١) وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة.
(٢) وهي الحصون.

فتركّبت من كفرهم ووفاق من ... في الحصن أنواع من الطغيان
وجرت على الإسلام أعظم محنة ... من ذين تقديرا من الرّحمن
واللَّهِ لولا أن تدارك دينه الرّ ... حمٰن كان كسائر الأديان
لكن أقام له الإلٰه بفَضْلِه ... يَزَكًا من الأنصار والأعوان
فَرَمَوْا على ذا المنجنيق صواعقًا ... وحجارة هدّته للأركان
فاسألهم ماذا الذي يعنون بالتّـ ... ـركيب فالتركيب ست معان
إحدى معانيه هو التركيب من ... متباين كَتَرَكُّبِ الحيوان
من هذه الأعضا كذا أعضاؤه ... قد رُكّبت من أربع الأركان
أفلازم ذا للصفات لربنا ... وعلوّه من فوق كُلّ مكان
ولعل جاهلكم يقول مباهتًا ... ذا لازم الإثبات بالبرهان
فالبَهْتُ[1] عندكم رخيص سعره ... حَثْوًا بلا كيل ولا ميزان
هذا وثانيها فتركيب الجِوا ... رِ وذاك بين اثنين يفترقان
كالجسر والباب الذي تركيبه ... بجواره لمحلِّه من بان
والأول المدعو تركيب امتزا ... جٍ واختلاطٍ وهو ذو تبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته ... أَيضًا تعالى اللَّه ذو السّلطان
والثالث التركيب من متماثل ... يدعي الجواهر فَرْدَةَ الأكوان
والرابع الجسم المركب من هيو ... لاه وصورته لَدَى اليونان
والجسم فهو مركّب من ذين عنـ ... ـد الفيلسوف وذاك ذو بطلان
ومن الجواهر عند أرباب الكلا ... م وذاك أَيضًا واضح البطلان
فالمثبتون الجوهر الفرد الذي ... زعموه أصل الدِّين والإيمان
قالوا بأن الجسم منه مركّب ... ولهم خلاف وهو ذو ألوان
هل يمكن التركيب من جزأين أو ... من أربعٍ أو ستّة وثمان
أو ست عشرة قد حكاه الأشعري ... لدى مقالات على التّبيان
أفلازم ذا من ثبوت صفاته ... وعلوّه سبحان ذي السبحان
والحقّ أن الجسم ليس مركّبًا ... من ذا ولا هذا هما عَدَمان

(١) أي التقوّل والافتراء.

والجوهر الفرد الذي قد أثبتو ... ه في الحقيقة ليس ذا إمكان
لو كان ذلك ثابتًا لزم المُحا ... لُ الواضحُ البطلان والبهتان
من أَوْجُهٍ شَتّى ويَعْسُرُ نظمها ... جدًّا لأجل صعوبة الأوزان
أتكون خردلة تساوي الطّود[1] في الـ ... أجزاء في شيء من الأذهان
إذ كان كُلّ منهما أجزاؤه ... لا تنتهي بالعد والحسبان
وإذا وَضَعْتَ كُلّ الجوهرين وثالثًا ... في الوسط وهو الحاجز الوسطاني
فلأجله افترقا فلا يتلاقيا ... حتى يزول إذًا فيلتقيان
ما مسّه إحداهما منه هو الـ ... ـممسوس للثاني بلا فرقان
هذا محال أو تقولوا غَيْرَهُ ... فهو انقسام واضح التّبيان
والخامس التركيب من ذات من الـ ... أوصاف هذا باصطلاح ثان
سموه تركيبًا وذلك وَضْعُهُم ... ما ذاك في عُرْفٍ ولا قرآن
لسنا نُقِرّ بلفظة موضوعة ... بالاصطلاح لشيعة اليونان
أو من تلقّى عنهم من فرقة ... جهمِيّةٍ ليست بذي عرفان
في وصفه سبحانه بصفاته الـ ... عُلْيَا ونَتْرُكُ مقتضى القرآن
والعقل والفطرات أَيضًا كلّها ... قبل الفساد ومقتضى البرهان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الـ ... أسماء ما الألقاب ذات الشان
هل من دليل يقتضي إبطال ذا التركـ ... ـيب من عقل ومن فرقان
واللَّه لو نُشِرَت شيوخكم لما ... قدروا عليه ولو أتى الثقلان
والسادس التركيب من ماهيّة ... ووجودها ما هٰهنا شيئان
إلّا إذا اختلف اعتبارهما فذا ... في الذهن والثاني ففي الأعيان
فهناك يعقل كون ذا غَيْرًا لذي ... فعلى اعتبارهما هما غيران
أما إذا اتحدا اعتبارًا كان نفـ ... ـس وجودها هو ذاتها لا ثاني
من قال شيئًا غير ذا كان الذي ... قد قاله ضربًا من الغفلان
هذا وكم خبط هنا قد زال بالتـ ... ـفصيل وهو الأصل في العرفان
وابن الخطيب وحزبه من بعده ... لم يهتدوا لمواقع الفرقان

(١) وهو الجبل.

بل خبطوا نقلاً وبحثًا أوجبا شكًّا لكُلّ ملدّد حيران
هل ذات ربِّ العالمين وجوده أم غيره فهما إذا شيئان
فيكون تركيبًا مُحالاً ذاك أن قلنا به فيصير ذا إمكان
وإذا نفينا ذاك صار وجوده كالمطلق الموجود في الأذهان
وحكوا أقاويلاً ثلاثًا ذَيْنَكَ الـ ـقَوْلَين إطلاقًا بلا فرقان
والثالث التفريق بين الواجب الـ أعلى وبين وجود ذي الإمكان
وَسَطَوْا عليها كلها بالنّقْض والـ إبطال والتشكيك للإنسان
حتى أتى من أرض آمد آخرا ثور كبير بل حقير الشأن
قال الصواب الوقف في ذا كلّه والشك فيه ظاهر التّبيان
هذا قُصارى بحثِهِ وعلومه أن شك في اللَّه العظيم الشأن

فصل
في أحكام هذه التراكيب الستة

فالأولان حقيقة التركيب لا تَعْدوها في اللفظ والأذهان
وكذلك الأعيان أَيضًا انما التـ ـركيب فيها ذانك النوعان
والأَوْسطان هما اللّذان تنازع الـ عقلاء في تركيب ذي الجُثْمان
ولهم أقاويل ثلاث قد حكيـ ـناها وبيّنّا أتمّ بيان
والآخران هما اللّذان عليهما درات رحى الحَرْبِ التي تريان
أنتم جعلتم وصفه سبحانه بعلوه من فوق ذي الأكوان
وصفاته العليا التي ثبتت له بالنَّقْل والمَعْقول ذي البرهان
من جملة التركيب ثمَّ نفيتم مضمونه من غير ما برهان
فجعلتُمُ المرقاة للتعطيل هـ ـذا الاصطلاح وذا من العدوان
لكن إذا قيل اصطلاح حادث لا حجر في هذا على إنسان
فنقول نفيُكُم بهذا الاصطلا ح صفاته هو أبطل البطلان
وكذاك نفيكم به لعلوه فوق السماء وفوق كُلّ مكان
وكذاك نفيكم به لكلامه بالوحي كالتوراة والقرآن

وكذاك نفيكم لرؤيتنا له يوم المعاد كما يرى القمران
وكذاك نفيكم لسائر ما أتى في النّقل من وصف بغير معان
كالوجه واليد والأصابع والذي أبدًا يسوءُكم بلا كتمان
وبودّكم لو لم يقله ربنا ورسوله المبعوث بالبرهان
وبودّكم واللَّه لَمّا قاله أن ليس يدخل مسمع الإنسان
قام الدليل على استناد الكون أَجْـ ـمعه إلى خلّاقه الرّحمٰن
ما قام قط على انتفاء صفاته وعلوّه من فوق ذي الأكوان
هو واحد في وصفه وعلوّه ما للورى ربٌّ سواه ثان
فلأي معنى تجحدون عُلُوّه وصفاته بالفَشْر والهذيان
هذا وما المحذور إلّا أن يقال مع الإلٰه لنا إلٰه ثان
أو أن يعطل عن صفات كماله هذان محذوران محظوران
أما إذا ما قيل ربٌّ واحد أوصافه أَرْبَتْ على الحُسْبان
وهو القديم فلم يزل بصفاته متوحّدًا بل دائم الإحسان
فبأي برهان نفيتم ذا وقد تم ليس هذا قط في الإمكان
فلئن زعمتم أنه نقص فذا بهت فما في ذا من النّقصان
النقص في أمرين سلب كماله أو شركة للواحد الرّحمٰن
أتكون أوصاف الكمال نقيصة في أي عقل ذاك أم قرآن
إن الكمال بكثرة الأوصاف لا في سلبها ذا واضح البرهان
ما النقص غير السلب قطّ وكُلّ نَقْـ ـصٍ أصله سلب وهذا واضح التبيان
فالجهل سلب العلم وهو نقيصة والظلم سلب العدل والإحسان
مُتَنَقّص الرّحمٰن سالب وصفه حقًّا تعالى اللَّهُ عن نقصانِ
وكذا الثّناء عليه ذكر صفاته والحمد والتمجيد كلَّ أوان
ولذاك أعلم خلقِهِ أدراهم بصفاته من جاء بالقرآن
وله صفات ليس يحصيها سوا ه من ملائكة ولا إنسان
ولذاك يثني في القيامة ساجدًا لَمّا يراه المصطفى بعيان
بثناء حمد لم يكن في هذه الد نْيَا ليُحْصيه مدى الأزمان

وثـنـاؤه بـصـفـاتـه لا بـالـسّـلو ... ب كـمـا يـقـول الـعـادم الـعـرفـان
والعقل دل على انتهاء الكون أجـ ... ـمعه إلى ربٍّ عـظـيـم الـشـأن
وثـبـوت أوصـاف الـكـمـال لـذاتـه ... لا يـقـتـضـي إبـطـال ذا الـبـرهـان
والـكـون يـشـهـد أن خـالـقـه تـعـا ... لـى ذو الـكـمـال ودائـم الـسّـلطـان
وكـذاك يـشـهـد أنـه سـبـحـانـه ... فـوق الـوجـود وفـوق كُـلّ مـكـان
وكـذاك يـشـهـد أنـه سـبـحـانـه الـ ... ـمـعـبـود لا شـيء مـن الأكـوان
وكـذاك يـشـهـد أنـه سـبـحـانـه ... ذو حـكـمـة فـي غـايـة الإتـقـان
وكـذاك يـشـهـد أنـه سـبـحـانـه ... ذو قـدرة حـي عـلـيـم دائـم الإحـسـان
وكـذاك يـشـهـد أنـه الـفـعّـال حـقًّـ ... ـا كُـلّ يـوم ربـنـا فـي شـان
وكـذاك يـشـهـد أنـه الـمـخـتـار فـي ... أفـعـالـه حـقًّـا بـلا نـكـران
وكـذاك يـشـهـد أنـه الـقـيـوم قـا ... م بـنـفـسـه ومـقـيـم ذي الأكـوان
وكـذاك يـشـهـد أنـه ذو رحـمـة ... وإرادة ومـحـبـة وحـنـان
وكـذاك يـشـهـد أنـه سـبـحـانـه ... مـتـكـلّم بـالـوحـي والـقـرآن
وكـذاك يـشـهـد أنـه سـبـحـانـه الـ ... ـخـلّاق بـاعـث هـذه الأبـدان
لا تـجـعـلوه شـاهـدًا بـالـزور والـتّـ ... ـعـطـيـل تـلك شـهـادة الـبـطـلان
وإذا تـأمـلت الـوجـود رأيـتـه ... ان لـم تـكـن مـن زمـرة الـعـمـيـان
بـشـهـادة الإثـبـات حـقًّـا قـائـمًـا ... لـلّه لا بـشـهـادة الـنـكـران
وكـذاك كـتـب الـلّه شـاهـدة بـه ... أَيـضًـا فـهـذا مـحـكـم الـقـرآن
وكـذاك رسـل الـلّه شـاهـدة بـه ... أَيـضًـا فـسـل عـنـهـم عـلـيـم زمـان
وكـذلـك الـفـطـر الـتـي مـا غُـيّـرت ... عـن أصـل خـلـقـتـهـا بـأمـر ثـان
وكـذا الـعـقـول الـمـسـتـنـيـرات الـتـي ... فـيـهـا مـصـابـيـح الـهـدى الـربـانـي
أتـرون أنـا تـاركـو ذا كـلّه ... لـشـهـادة الـجـهـمـي والـيـونـانـي
هـذي الـشـهـود فـإن طـلـبـتـم شـاهـدًا ... مـن غـيـرهـا سـيـقـوم بـعـد زمـان
إذ يـنـجـلي هـذا الـغـبـار فـيـظـهـر الـ ... ـحـق الـمـبـيـن مـشـاهـدًا بـعـيـان
فـإذا نـفـيـتـم ذا وقـلـتـم أنـه ... مـلـزوم تـركـيـب فـمـن يَـلْـحـانـي[1]

(١) أي يلومني.

إن قلت لا عقل ولا سمع لكم ... وَصَرَخْت فيما بينكم بأذان
هل يجعل الملزوم عين اللازم الـ ... ـمَنْفِيِّ هذا بيّن البطلان
فالشيء ليس لنفسه ينفي لدى ... عقل سليم يا ذوي العرفان
قلتم نَفَيْنا وصفه وعلوه ... من خشية التركيب والإمكان
لو كان موصوفًا لكان مُرَكّبًا ... والوصف والتركيب متحدان
أو كان فوق العرش كان مُرَكّبًا ... فالفوق والتركيب متفقان
فنفيتم التركيب بالتركيب مع ... تغيير إحدى اللّفْظَتَيْن بثان
بل صورة البرهان أصبح شكلها ... شَكْلًا عقيمًا ليس ذا برهان
لو كان موصوفًا لكان كذاك مو ... صوفًا وهذا حاصل البرهان
فإذا جعلتم لفظة التركيب بالـ ... ـمعنى الصحيح أمارة البطلان
جئنا إلى المعنى فخلّصناه منـ ... ـها واطّرَحْناها اطّراح مُهان
هي لفظةٌ مقبوحةٌ بدعيّةٌ ... مذمومةٌ منّا بكُلّ لسان
واللفظ بالتوحيد نجعله مكا ... ن اللفظ بالتركيب في التبيان
واللفظ بالتوحيد أولى بالصفا ... ت وبالعُلُوّ لمن له أذنان
هذا هو التوحيد عند الرسل لا ... أصحاب جَهْمٍ شيعةِ الكفران

فصل
في أقسام التوحيد
والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المُعَطّلين

فاسمع إذًا أنواعه هي خمسة ... قد حُصّلت أقسامُها ببيان
توحيد أتباع ابن سينا وهو مَنْ ... سوب لآرسطو من اليونان
ما للإلٰه لديهم ماهيّة ... غير الوجود المطلق الوَحْدان
مسلوب أوصاف الكمال جميعها ... لكن وجودٌ حَسْبُ ليس بفان
ما إن له ذات سوى نفس الوجو ... د المطلق المسلوب كُلّ معان
فلذاك لا سمع ولا بصر ولا ... علم ولا قول من الرّحمٰن
وكذاك قالوا ليس ثمَّ مشيئة ... وإرادة لوجود ذي الأكوان
بل تلك لازمة له بالذات لم ... تنفك عنه قط في الأزمان

ما اختار شيئًا قط يفعلُهُ ولا ... هذا له أبدًا بذي إمكان
وبنوا على هذا استحالة خَرْقِ ذي الـ ... أَفْلاك يوم قيامة الأبدان
وكذاك قالوا ليس يعلم قط شيـ ... ـئًا ما من الموجود في الأعيان
لا يعلم الأفلاك كم أعدادها ... وكذا النجوم وذانك القمران
وكذا ابن آدم ليس يسمع صَوتَه ... كَلّا وليس يراه رأي عيان
بل ليس يعلم حاله علمًا بِتَفْـ ... ـصيلٍ من الطاعات والعصيان
كَلّا ولا عِلْمٌ له بتساقط الـ ... أوراق أو بمنابت الأغصان
علمًا على التفصيل هذا عندهم ... عين المحال ولازم الإمكان
بل نفس آدم عندهم أمر محا ... ل لم يكن في سالف الأزمان
ما زال نوع الناس موجودًا ولا ... يفنى كذاك الدهر والملوان
هذا هو التوحيد عند فريقهم ... مثل النصير وحزبه الشيطاني
قالوا وألجأنا إلى ذا خشية التـ ... ـركيب والتجسيم ذي البطلان
ولذاك قلنا ما له سمع ولا ... بصر ولا علم فكيف يدان
وكذاك قلنا ليس فوق العرش إلّا ... المستحيل وليس ذا إمكان
جسم على جسم كَلّا الجسمين مَحْـ ... ـدودًا يكون كلاهما صنوان[1]
فبذاك حقًّا صَرّحوا في كتبهم ... وهم الفحول أئمة الكفران
ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى الـ ... كفران ينحازوا ولا الإيمان
والشرك عندهم ثبوت الذات والـ ... أوصاف إذ يبقى هناك اثنان
غير الوجود فصار ثمَّ ثلاثة ... فلذا نفينا اثنين بالبرهان
نفي الوجود فلا يضاف إليه شي ... ءٌ غيره فيصير ذا إمكان

فصل
في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الالحاد

هذا وثانيها فتوحيد ابن سبـ ... ـعينٍ وشيعتِهِ أولي البهتان
كُلّ اتحادي خبيث عنده ... معبوده موطوؤه الحقّاني

(١) الصنو هو المثل.

توحيدهم أن الإلٰه هو الوجو ... د المطلق المبثوث في الأعيان
هو عينها لا غيرها ما هٰهنا ... ربٌّ وعبد كيف يفترقان
لكنّ وهم العبد ثمَّ خيالَهُ ... في ذي المظاهر دائما يلجان
فلذاك حكمهما عليه نافذ ... فابن الطبيعة ظاهر النقصان
فإذا تجرَّد عقله عن حسِّه ... وخياله بل ثَمَّ تجريدانِ
تجريده عن عقله أَيضًا فإن ... العَقْل لا يدنيه من ذا الشان
بل يخرق الحُجُب الكثيفة كلها ... وهما وحسًّا ثمَّ عقلاً واني
فالوهم منه وحسّه وخياله ... والعلم والمعقول في الأذهان
حجب على ذا الشان فاخرقها وإلّا ... كنت محجوبًا عن العرفان
هذا وأكثفها حجابُ الحس والـ ... ـمعقول ذانك صاحبا الفرقان
فهناك صار موحّدًا حقًّا ترى ... هذا الوجود حقيقة الديان
والشرك عندهم فتنويع الوجو ... د وقولنا إن الوجود اثنان
واحتج يومًا بالكتاب عليهم ... شخص فقالوا الشرك في القرآن
لكنّما التوحيد عند القائلين ... بالاتحاد فهم أولو العرفان
ربٌّ وعبد كيف ذاك وإنما الـ ... ـموجود فرد ما له من ثان

فصل

في النوع الثالث من توحيد أهل الإلحاد

هذا وثالثها هو التوحيد عنـ ... ـد الجهم تعطيلٌ بلا إيمان
نفي الصفات مع العلو كذاك نفـ ... ـيُ كلامه بالوحي والقرآن
فالعرش ليس عليه شيء بتّة ... لكنّه خِلْوٌ من الرّحمٰن
ما فوقه ربٌّ يطاع ولا عليـ ... ـه للورى من خالق رحمٰن
بل حظ عرش الربّ عند فريقهم ... منه كحظ الأسفل التحتاني
فهو المُعَطّل عن نعوت كماله ... وعن الكلام وعن جميع معان
وانظر إلى ما قد حكينا عنه في ... مَبْدا القصيد حكاية التّبيان
هذا هو التوحيد عند فريقهم ... تِلْوَ الفحول مقدّمي البهتان

والشرك عندهم فإثبات الصفا ت لربنا ونهاية الكفران
إن كان شركًا ذا وكُلّ الرسل قد جاءُوا به يا خيبة الإنسان

فصل
في النوع الرابع من أنواعه

هذا ورابعها فتوحيدُ لدى جَبْرِيِّهم هو غاية العرفان
العبد ميت ما له فعل ولـ ـكن ما ترى هو فعل ذي السّلطان
واللَّه فاعل فعلنا من طاعة ومن الفسوق وسائر العصيان
هي فعل ربِّ العالمين حقيقة ليست بفعل قط للإنسان
فالعبد ميت وهو مجبور على حركاته كالجسم في الأكفان
وهو الملوم على فعال إلٰهه فيه وداخل جاحم النيران
يا ويحه المسكين مظلوم يُرى في صورة العبد الظلوم الجاني
لكن نقول بأنه هو ظالم في نفسه أَدَبًا مع الرّحمٰن
هذا هو التوحيد عند فريقهم من كُلّ جَبْرِيٍّ خبيث جَانِ
والكُلّ عند غلاتهم طاعاتُنا ما ثَمَّ في التحقيق من عصيان
والشرك عندهم اعتقادك فاعلاً غير الإلٰه المالك الديان
فانْظُرْ إلى التوحيد عند القوم ما فيه من الإشراك والكفران
ما عندهم واللَّه شيء غيره هاتيك كُتْبُهُمُ بكُلّ مكان
أترى أبا جهل وشيعته رَأَوْا من خالق ثان لذي الأكوان
أم كلُّهم جَمْعًا أقرّوا أنه هو وحده الخلّاق للإنسان
فإذا ادّعيتم أن هذا غاية التّـ ـوحيد صار الشّرك ذا بطلان
فالناس كلّهم أقرّوا أنّه هو وحده الخلّاق ليس اثنان
إلّا المجوس فإنهم قالوا بأن الشر خالقُهُ إلٰه ثان

فصل
في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين
ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمُعَطّلين

فاسمع إذًا توحيد رسل اللَّه ثمَّ ... اجعله داخل كفّة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها ... أولى لدى الميزان بالرجحان
توحيدهم نوعان قولي وفعـ ... ـلي كِلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيـ ... ـضًا في كتاب اللَّه موجودان
إحداهما سلب وذا نوعان أيـ ... ـضًا فيه حقًّا فيه مذكوران
سَلْبُ النقائص والعيوب جميعها ... عنه هما نوعان معقولان
سَلْبٌ لمُتَّصل ومنفصل هما ... نوعان معروفان أما الثاني
سَلْبُ الشريك مع الظهير مع الشـ ... ـفيع بدون إذن المالك الديان
وكذاك سلب الزوج والولد الذي ... نسبوا إليه عابدو الصّلبان
وكذاك نفي الكفء أَيضًا والولي ... لنا سوى الرّحمٰن ذي الغفران
والأول التنزيه للرّحمٰن عن ... وصف العيوب وكُلّ ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الذي ... ينفي اقتدار الخالق الديان
والنوم والسُّنَّة التي هي أصله ... وعزوب شيء عنه في الأكوان
وكذلك العبث الذي تنفيه حكـ ... ـمتُهُ وحمد اللَّه ذي الإتقان
وكذاك ترك الخلق إهمالاً سدى ... لا يُبْعَثون إلى معاد ثان
كَلّا ولا أمر ولا نهي عليـ ... ـهم من إلٰه قاهرٍ ديّان
وكذاك ظلم عباده وهو الغني ... فما له والظلم للإنسان
وكذاك غفلته تعالى وهو علّا ... م الغيوب فظاهر البطلان
وكذلك النّسيان جلّ إلٰهنا ... لا يعتريه قَطّ من نسيان
وكذاك حاجته إلى طُعْم ورز ... ق وهو رزّاق بلا حسبان
هذا وثاني نوعي السلب الذي ... هو أول الأنواع في الأوزان
تنزيه أوصاف الكمال له عن التّـ ... ـشبيه والتمثيل والنكران

لسنا نشبّه وصفه بصفاتنا إن المشبّه عابد الأوثان
كَلّا ولا نُخْليه من أوصافه إن المُعَطّل عابد البهتان
من مثّل اللَّه العظيم بخلقه فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عطّل الرّحمٰن من أوصافه فهو الكفور وليس ذا إيمان

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوتي

هذا ومن توحيدهم إثبات أو صاف الكمال لربنا الرّحمن
كعلوّه سبحانه فوق السماوات العلى بل فوق كُلّ مكان
فهو العليّ بذاته سبحانه إذ يَسْتَحيل خلاف ذا ببيان
وهو الذي حقًّا على العرش استوى قد قام بالتّدبير للأكوان
حي مريد قادر متكلم ذو رحمة وإرادة وحنان
هو أول هو آخر هو ظاهر هو باطن هي أربع بِوِزان
ما قبله شيء كذا ما بعده شيء تعالى اللَّه ذو السّلطان
ما فوقه شيء كذا ما دونه شيء وذا تفسير ذي البرهان
فانْظُرْ إلى تفسيره بتدبر وتبصّر وتعقل لمعان
وانظر إلى ما فيه من أنواع معـ ـرفة لخالقنا العظيم الشان
وهو العليّ فكُلّ أنواع العلُوّ له فثابتةٌ بلا نكران
وهو العظيم بكُلّ معنى يوجب التّـ ـعظيم لا يحصيه من إنسان
وهو الجليل فكُلّ أوصاف الجلا ل له محقّقة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربّها أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأوصاف والـ أفعال والأسماء بالبرهان
لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن إفك ذي البهتان
وهو المجيد صفاته أوصاف تَعْـ ـظيم فَشَأْنُ الوَصْفِ أعظم شان
وهو السميع يسمع ويرى كُلّ ما في الكون عاليه مع التحتاني
ولكُلّ صوت منه سمع حاضر فالسّرّ والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا ... يخفى عليه بعيدُها والدّاني
وهو البصير يرى دبيب النملة السّـ ... ـوداء تحت الصّخر والصّوّان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ... ويرى نياط عروقها بعيان
ويرى خيانات العيونِ بِلَحْظها ... ويرى كذاك تقلب الأجفان
وهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سِرٍّ ومن إعلان
وبكُلّ شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غدا وما ... قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كَيْـ ... ـف يكون ذا إمكان

فصل

وهو الحميد فكُلّ حمد واقع ... أو كان مفروضًا مدى الأزمان
ملأ الوجود جميعه ونظيره ... من غير ما عدٍّ ولا حسبان
هو أهله سبحانه وبحمده ... كُلّ المحامد وصف ذي الإحسان

فصل

وهو المكلم عَبْدَه موسى بتكـ ... ـليم الخطاب وقبله الأبوان
كلماته جلت عن الإحصاء والتـ ... ـعداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو أن أشجار البلاد جميعها الـ ... أقلام تكتبها بكُلّ بنان[1]
والبحر يُلْقى فيه سبعة أبحر ... لكتابة الكلمات كُلّ زمان
نفدت ولم تنفد بها كلماته ... ليس الكلام من الإلٰه بفان[2]
وهو القدير فليس يعجزه إذا ... ما رام شيئًا قطّ ذو سلطان
وهو القوي له القوى جمعًا تعا ... لى اللَّه ذو الأكوان والسّلطان
وهو الغني بذاته فغناه ذا ... تِيّ له كالجود والإحسان

---

(١) البنان: الأصابع أو أطرافها.
(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

وهـو الـعـزيـز فـلن يُـرام جـنـابُـهُ أنّـى يـرام جـنـابُ ذي الـسّـلطـان
وهـو الـعـزيـز الـقـاهـر الـغـلّاب لـم يـغـلبـه شـيء هـذه صـفـتـان
وهـو الـعـزيـز بـقـوة هـي وصـفـه فـالـعـز حـيـنـئـذ ثـلاث مـعـان
وهـي الـتـي كَـمُـلَت لـه سـبـحـانـه مـن كُـلّ وجـه عـادم الـنّـقْـصـان
وهـو الـحـكـيـم وذاك مـن أوصـافـه نـوعـان أَيـضًـا مـا هـمـا عـدمـان
حُـكْـمٌ وإحـكـام وكُـلٌ مـنـهـمـا نـوعـان أَيـضًـا ثـابـتـا الـبـرهـان
والـحـكـم شـرعـي وكـونـي ولا يـتـلازمـان ومـا هـمـا سِـيّـان
بـل ذاك يـوجـد دون هـذا مـفـردًا والـعـكـس أَيـضًـا ثـمَّ يـجـتـمـعـان
لَنْ يـخـلو الـمـربـوب مـن إحـداهـمـا أو مـنـهـمـا بـل لـيـس يـنـتـفـيـان
لـكـنّـمـا الـشـرعـي مـحـبـوب لـه أبـدًا ولـن يـخـلو مـن الأكـوان
هـو أمـره الـديـنـي جـاءت رسـله بـقـيـامـه فـي سـائـر الأزمـان
لـكـنّـمـا الـكـونـي فـهـو قـضـاؤه فـي خـلقـه بـالـعـدل والإحـسـان
هـو كـلّه حـقٌّ وعـدل ذو رضـى والـشـأن فـي الـمـقـضـيّ كُـلّ الـشـان
فلذاك يرضى بالقضاء ويَسْخَطُ الـ ـمَـقْـضِـيّ حـين يـكـون بـالـعـصـيـان
فاللَّه يرضى بالقضاء ويَسْخَطُ الـ ـمَـقْـضِـيّ مـا الأمـران مُـتّـحـدان
فـقـضـاؤه صـفـة بـه قـامـت ومـا الـ ـمـقـضـي إلّا صـنـعـة الإنـسـان
والـكـون مـحـبـوب ومـبـغـوض لـه وكـلاهـمـا بـمـشـيـئـة الـرّحـمٰـن
هـذا الـبـيـان يـزيـل لَبْـسًـا طـالـمـا هـلكـت عـلـيـه الـنـاس كُـلّ زمـان
ويـحـل مـا قـد عَـقّـدوا بـأصـولـهـم وبـحـوثـهـم فـافـهـمـه فَـهْـمَ بـيـان
مـن وافـق الـكـونـيّ وافـق سُـخْـطَـه إن لـم يـوافـق طـاعـة الـديـان
فـلذاك لا يـعـدوه ذَمّ أو فِـوا ت الـحـمـد مـع أجـر ومـع رضـوان
ومـوافـق الـدّيـنـي لا يـعـدوه أجْـ ـرٌ بـل لـه عـنـد الـصـواب اثـنـان

فصل

والـحـكـمـة الـعـليـا عـلى نـوعـيـن أيـ ـضًـا حُـصّـلا بـقـواطـع الـبـرهـان
إحـداهـمـا فـي خـلقـه سـبـحـانـه نـوعـان أَيـضًـا لـيـس يـفـتـرقـان
إحـكـام هـذا الـخـلق إذ ايـجـاده فـي غـايـة الإحـكـام والإتـقـان

وصدوره من أجل غايات له ... وله عليها حمد كُلّ لسان
والحكمة الأخرى فَحِكْمَةُ شرعه ... أَيضًا وفيها ذانك الوصفان
غاياتها اللاتي حُمِدْن وكونُها ... في غاية الإتقان والإحسان

فصل

وهو الحيِيّ فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان
لكنّه يلقي عليه ستره ... فهو السّتّير وصاحب الغفران
وهو الحليم فلا يعاجل عبده ... بعقوبة ليتوب من عصيان
وهو العفو فعفوه وسع الورى ... لولاه غار الأرض بالسّكان
وهو الصبور على أذى أعدائه ... شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يُعيدنا ... شَتْمًا وتكذيبًا من الإنسان
هذا وذاك بسمعه وبعلمه ... لو شاء عاجلهم بكُلّ هوان
لكن يعافيهم ويرزقهم وهم ... يؤذونه بالشّرك والكفران

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللّوا ... حظ كيف بالأفعال بالأركان
وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـ ... ـل بحفظهم من كلّ أمر عَان
وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللّطف في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة ... واللطف عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشان

فصل

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل ... يعطيهم بالرفق فوق أماني[1]
وهو القريب وقربه المختص بالدّ ... اعي وعابده على الإيمان

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٩٢٧) ومسلم في صحيحه برقم (٢٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».

وهو المجيب يقول من يدعو أُجِبْـ ـهُ أنا المجيب لكُلّ من ناداني[١]
وهو المجيب لدعوة المضطر إذ يدعوه في سِرّ وفي إعلان[٢]
وهو الجواد فجوده عمّ الوجو د جميعه بالفضل والإحسان
وهو الجواد فلا يخيّبُ سائلاً ولو أنّه من أمة الكفران
وهو المغيث لكُلّ مخلوقاته وكذا يحب إغاثة اللهفان

فصل

وهو الودود يحبهم ويحبه أحبابه والفضل للمنان
وهذا الذي جعل المحبّة في قلو بهم وجازاهم بحب ثان
هو هو الإحسان حقًّا لا معًا وضة ولا لتوقع الشكران
لكن يحب شكورهم لا لاحتيا ج منه للشكران والإيمان
وهو الشّكور فلن يُضَيّع سعيهم لكن يضاعِفُهُ بلا حسبان
ما للعباد عليه حقٌّ واجب هو أوجب الأجر العظيم الشان
كَلّا ولا عملٌ لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عُذّبوا فبِعَدْله أو نُعّمُوا فبفضلِهِ سبحان ذي السلطان

فصل

وهو الغفور فلو أتى بقُرابها خطأ موحّدُ ربه الرّحمٰن
لأتاه بالغفران ملء قرابها سبحانه هو واسع الغفران
وكذلك التواب من أوصافه والتوب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها بعد المتاب بنعمة المنّان

فصل

وهو الإلٰه السيد الصمد الذي صمدت إليه الخلق بالإذعان

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].
(٢) كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

الكامل الأوصاف من كُلّ الوجو ه كمالُهُ ما فيه من نقصان
وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسّلطان
لو لم يكن حيًّا عزيزًا قادرًا ما كان من قهر ولا سلطان
وكذلك الجبّار من أوصافه والجبر في أوصافه نوعان
جَبْرُ الضعيف وكُلّ قلب قد غدا ذا كَسْرَةٍ فالجَبْرُ منه دان
والثّانِ جَبْرُ القهر بالعزّ الذي لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العلوّ فليس يدنو من إنسان
من قولهم جبّارة للنخلة الـ ـعليا التي فاتت لكُلّ بنان

فصل

وهو الحسيب كفاية وحماية والحَسْبُ كافي العبد كُلّ أوان
وهو الرشيد فقوله وفعاله رشد وربك مرشد الحيران
وكلاهما حقٌّ فهذا وصفه والفعل للإرشاد ذاك الثاني
والعدل من أوصافه في فعله ومقالِهِ والحكم بالميزان
فعلى الصّراط المستقيم إلٰهنا قولاً وفعلاً ذاك في القرآن

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التـ ـنزيه بالتعظيم للرّحمٰن
وهو السَّلام على الحقيقة سالم من كُلّ تمثيل ومن نقصان
والبرّ في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والإحسان
صدرت عن البرّ الذي هو وصفه فالبرّ حينئذ له نوعان
وصفٌ وفعلٌ فهو برٌّ مُحْسِنٌ مولي الجميل ودائم الإحسان
وكذلك الوهاب من أسمائه فانْظُرْ مواهبه مدى الأزمان
أهل السمٰوات العلى والأرض عن تلك المواهب ليس يَنْفَكّان
وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في أوصافه أمران
فَتْح بحكم وهو شرع إلٰهنا والفتح بالأَقْدار فتح ثان
والربّ فتّاح بذينِ كِلَيْهما عدلاً وإحسانًا من الرّحمٰن

وكذلك الرزّاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله نوعان أَيضًا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والإيمان والـ ـرزق المُعَدّ لهذه الأبدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا رزّاقه والفضل للمنّان
والثان سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكو ن من الحرام كلاهما رزقان
واللَّه رازِقُهُ بهذا الاعتبا رِ وليس بالإطلاق دون بيان

فصل

هذا ومن أوصافه القيّوم والـ ـقيّوم في أوصافه أمْران
إحداهما القيّوم قام بنفسه والكون قام به هما الأمران
فالأول استغناؤه عن غيره والفقر من كُلّ إليه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شأن عظيم هكذا موصوفُهُ أَيضًا عظيم الشان
والحيّ يتلوه فأوصاف الكما ل هما لأفق سمائها قطبان
فالحيّ والقيوم لن تتخلف الـ أوصاف أصلاً عنهما ببيان
هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والميزان
وهو المعز لأهل طاعته وذا عز حقيقي بلا بطلان
وهو المذل لمن يشاء بذله الدّا رين ذُلّ شقًّا وذُلّ هوان
هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنّان
يعطي برحمته ويمنع من يشا ء بحكمة واللَّه ذو سلطان

فصل

والنور من أسمائه أَيضًا ومن أوصافه سبحان ذي البرهان
قال ابن مسعود كلامًا قد حكا ه الدّارمي عنه بلا نُكران
ما عنده ليل يكون ولا نهار قلت تحت الفلك يوجد ذان
نور السموات العلى من نوره والأرض كيف النجم والقمران
من نور وجه الربّ جلّ جلاله وكذا حكاه الحافظ الطبراني

فيه استنار العرش والكرسي مع ... سبع الطباق وسائر الأكوان
وكتابه نور كذلك شرعه ... نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الإيمان في قلب الفتى ... نور على نور مع القرآن
وحجابه نور فلو كشف الحجّا ... ب لأحرق السبحات للأكوان[1]
وإذ أتى للفصل يُشْرِقُ نورُه ... في الأرض يوم قيامة الأبدان
وكذاك دار الربّ جَنّاتُ العلى ... نور تلألأ ليس ذا بطلان
والنور ذو نوعين مخلوق ووصـ ... ـف ما هما والله متّحدان
وكذلك المخلوق ذو نوعين محـ ... ـسوس ومعقول هما شيئان
احذر تزلّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوّة[2] ... كم قد هوى فيها على الأزمان
مِنْ عابد بالجهل زلت رجله ... فهوى إلى قعر الحضيض الداني
لاحت له أنوار آثار العبا ... دة ظنّها الأنوار للرّحمٰن
فأتى بكُلّ مصيبة وبلية ... ما شئت من شطح ومن هذيان
وكذا الحلولي الذي هو خدنه ... من هٰهنا حقًّا هما أخوان
ويقابل الرجلين ذو التعطيل والـ ... ـحُجُب الكثيفة ما هما سيّان
ذا في كثافة طبعه وظلامه ... وبظلمة التعطيل هذا الثاني
والنور محجوب فلا هذا ولا ... هذا له من ظُلْمَةٍ يريان

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذانك الصّـ ... ـفتان للأفعال تابعتان
وهما صفات الذات أَيضًا إذ هما ... بالذات لا بالغَيْر قائِمَتان
ولذاك قد غلط المُقَسّم حين ظَن ... صفاته نَوْعَيْن مختلفان

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧٩) وابن ماجه في سننه برقم (١٩٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ وفي رواية: النار ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(٢) الهوّة هي الحفرة البعيدة القعر.

إن لـم يـرد هـذا ولـكـن قـد أرا ... د قـيـامـهـا بـالـفـعـل ذي الإمـكـان
والـفـعـل والـمـفـعـول شـيء واحـد ... عـنـد الـمُـقَـسّـم مـا هـمـا شـيـئـان
فلذاك وصف الفعل ليس لديه إلا ... نِـسْـبَـةٌ عَـدَمِـيّـةٌ بـبـيـان
فـجـمـيـع أسـمـاء الـفـعـال لـديـه لـيـ ... ـست قـطّ ثـابـتـة ذوات مـعـان
مـوجـودة لـكـن أمـور كـلّـهـا ... نـسـب تـرى عـدمـيّـة الـوجـدان
هـذا هـو الـتـعـطـيـل لـلأفـعـال كـالـتّـ ... ـعـطـيـل لـلأوصـاف بـالـمـيـزان
فالحق أن الوصف ليس بمورد التّـ ... ـقـسـيـم هـذا مـقـتـضـى الـبـرهـان
بل مورد التقسيم ما قد قام بالذّ ... ات الـتـي لـلـواحـد الـرّحـمٰـن
فـهـمـا إذًا نـوعـان أوصـاف وأفـ ... ـعـال فـهـذي قـسْـمـة الـتـبـيـان
فالوصْف بالأفعال يستدعي قيا ... م الـفـعـل بـالـمـوصـوف بـالـبـرهـان
كالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما ... إن بـيـن ذيـنـك قـطّ مـن فُـرقـان
ومـن الـعـجـائـب أنـهـم ردُّوا عـلى ... مـن أثـبـت الأسـمـاء دون مـعـان
قامت بمن هي وصفه هذا محا ... لٌ غـيـر مـعـقـول لـدى الأذهـان
وأتوا إلى الأوصاف باسم العقل قا ... لـوا لـم تـقـم بـالـواحـد الـديـان
فانْظُرْ إليهم أبطلوا الأصل الذي ... ردُّوا بـــه أقـــوالـــهـــم بِـــوِزان
إن كـان هـذا مـمـكـنًـا فـكـذاك قـو ... ل خـصـومـكـم أَيـضًـا فـذو إمـكـان
والوصف بالتقديم والتأخير كَوْ ... نِـيٌّ وديـنـيٌّ هـمـا نـوعـان
وكـلاهـمـا أمـر حـقـيـقـي ونـسـ ... ـبيٌّ ولا يخفى المثال على أولي الأذهان
والـلَّه قـدّر ذاك أجـمـعـه بـإحـ ... ـكـام وإتـقـان مـن الـرّحـمـن

فصل

هـذا ومـن أسـمـائـه مـا لـيـس يـفـ ... ـرد بـل يـقـال إذا أتـى بـقِـران
وهـي الـتـي تـدعـى بـمـزدوجـاتـهـا ... أفـرادهـا خـطـر عـلى الإنـسـان
إذ ذاك مـوهـم نـوع نـقـص جـلّ رب ... الـعـرش عـن عَـيْـب وعـن نـقـصـان
كـالـمـانـع الـمـعـطـي وكـالـضـار الـذي ... هـو نـافـع وكـمـالـه الأمـران
ونـظـيـر هـذا الـقـابـض الـمـقـرون باسـ ... ـم الـبـاسـط الـلـفـظـان مـقـتـرنـان

وكذا المعزّ مع المذل وخافض مع رافع لفظان مزدوجان
وحديث إفراد اسم منتقم فمو قوف كما قد قال ذو العرفان
ما جاء في القُرآن غير مقيّد بالمجرمين وجا به نوعان

فصل

ودلالة الأسماء أنواع ثلا ث كلها معلومة ببيان
دلّت مطابقة كذاك تضمنًا وكذا التزامًا واضح البرهان
أما مطابقة الدلالة فهي أن الإسم يُفْهَمُ منه مفهومان
ذات الإلٰه وذلك الوصف الذي يشتق منه الإسم بالميزان
لكن دلالته على إحداهما بتضمّن فافهمه فهم بيان
وكذا دلالته على الصفة التي ما اشتق منها فالتزام دان
وإذا أردت لذا مثالاً بيّنا فمثال ذلك لفظة الرّحمٰن
ذات الإلٰه ورحمة مدلولها فهما لهذا اللفظ مدلولان
إحداهما بعض لذا الموضوع فهـ ي تضمن ذا واضح التبيان
لكن وصف الحيّ لازم ذلك الـ معنى لزوم العلم للرّحمٰن
فلذا دلالته عليه بالتزا م بيّن والحق ذو تبيان

فصل
في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء ربِّ العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حمّلت لمعان
إياك والإلحاد فيها إنه كفر معاذ اللَّه من كفران
وحقيقة الإلحاد فيها المَيْل بالـ إشراك والتعطيل والنكران
فالملحدون إذا ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرّحمٰن
المشركون لأنهم سمّوا بها أوثانهم قالوا إلٰه ثان
هم شبّهوا المخلوق بالخلاق عكـ س مشبّه الخلّاق بالإنسان

وكذاك أهل الاتحاد فإنهم إخوانهم من أقرب الإخوان
أعطوا الوجود جميعه أسماءه إذ كان عين اللَّه ذي السّلطان
والمشركون أقلّ شركًا منهم هم خصّصوا ذا الإسم بالأوثان
ولذاك كانوا أهل شرك عندهم لو عمّموا ما كان من كفران
والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثمَّ غير الإسم أَوِّلْ بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
فالقصد دفع النص عن معنى الحقي قة فاجتهد فيه بلطف بيان
عطّل وحرّف ثمَّ أول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران
للمثبتين حقائق الأسماء والـ أوصاف بالأخبار والقرآن
فإذا هم احتجوا عَلَيْك بها فقل هذا مجاز وهو وضع ثان
فإذا غُلِبْتَ على المجاز فقل لهم لا يُستفاد حقيقة الإيقان
أنى وتلك أدلة لفظيّة عزلت عن الإيقان منذ زمان
فإذا تضافرت الأدلة كثرة وغُلِبْت عن تقرير ذا ببيان
فعَلَيْك حينئذ بقانون وضع ناه لدفع أدلة القرآن
ولكُلّ نص ليس يقبل أن يؤوّ ل بالمجاز ولا بمعنى ثان
قل عارض المنقول معقول وما الـ أمران عند العقل يتفقان
ما ثمَّ إلّا واحد من أربع متقابلات كلها بوزان
إعمال ذَيْنِ وعكسه أو نُلغي الـ معقول ما هذا بذي إمكان
العقل أصل النقل وهو أبوه إن تبطله يبطل فرعه التحتاني
فتعيّن الإعمال للمعقول والـ إلغاء للمنقول بالبرهان
إعماله يفضي إلى إلغائه فاهجره هجر الترك والنسيان
واللَّه لم نكذب عليهم إننا وَهُمُ لدى الرّحمٰن مختصمان
وهناك يُجْزى الملحدون ومن نفى الـ إلحاد يُجْزىٰ ثَمَّ بالغفران
فاصبر قليلاً إنما هي ساعة يا مثبت الأوصاف للرّحمٰن
فلسوف تجني أجر صبرك حين يجـ ني الغير وزر الإثمَّ والعدوان
فاللَّه سائلنا وسائلهم عن الـ إثبات والتعطيل بعد زمان

فأعد حينئذ جوابًا كافيًا ... عند السؤال يكون ذا تبيان
هذا وثالثهم فنافيها ونا ... في ما تدل عليه بالبهتان
ذا جاحد الرّحمن رأسًا لم يقرّ ... بخالق أبدًا ولا رحمٰن
هذا هو الإلحاد فاحذره لعلّ ... اللَّه أن ينجيك من نيران
وتفوز بالزلفى لديه وجنة الـ ... ـمأوى مع الغفران والرضوان
لا توحشنك غربة بين الورى ... فالناس كالأموات في الجَبّان[1]
أو ما علمت بأن أهل السنة الـ ... ـغرباء حقًّا عند كُلّ زمان
قل لي متى سلم الرّسول وصحبه ... والتابعون لهم على الإحسان
من جاهل ومعاند ومنافق ... ومحاربٍ بالبغي والطغيان
وتظن أنك وارث لهم وما ... ذقت الأذى في نصرة الرّحمن
كَلّا ولا جاهدت حقَّ جهاده ... في اللَّه لا بيد ولا بلسان
منّتك واللَّه المحال النفس فاسـ ... ـتَحْدِث سوى ذا الرأي والحسبان
لو كنت وارثه لآذاك الأُلى ... ورثوا عداه بسائر الألوان

فصل
في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المُعَطّلين والمشركين

هذا وثاني نوعي التوحيد تو ... حيد العبادة منك للرّحمٰن
ألّا تكون لغيره عبدًا ولا ... تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالإسلام والإيمان والـ ... إحسان في سرّ وفي إعلان
والصدق والإخلاص ركنا ذلك التـ ... ـوحيد كالركنين للبنيان
وحقيقة الإخلاص توحيد المُرا ... د فلا يزاحمه مرادٌ ثان
لكن مراد العبد يبقى واحدًا ... ما فيه تفريق لدى الإنسان
إن كان ربك واحدًا سبحانه ... فاخصصه بالتوحيد مع إحسان

(١) أي المقبرة.

إن كان ربك واحدًا أنشاك لم يَشَرَكْهُ إذ أنشاك ربٌّ ثان
فكذاك أيضًا وحده فاعبده لا تعبد سواه يا أخا العرفان
والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ل الجهد لا كَسِلاً ولا متواني
والسُّنَّة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السّلطاني
فلواحد كن واحدًا في واحد أعني سبيل الحق والإيمان
هذي ثلاث مسعدات للذي قد نالها والفضل للمنان
فإذا هي اجتمعت لنفس حُرّة بلغت من العلياء كُلّ مكان
للَّه قلب شام هاتيك البرو ق من الخيام فَهَمّ بالطيران
لولا التعلّل بالرجا لتَصَدّعت أعشاره كَتَصَدّع البنيان
وتراه يبسطه الرجاء فينثني متمايلاً كتمايل النشوان
ويعود يقبضه الإياس لكونه متخلفًا عن رفقة الإحسان
فتراه بين القبض والبسط اللذا نِ هما لأفق سمائه قطبان
وبدا له سعد السعود فصار مَسْـ ـراه عليه لا على الدّبَران
للَّه ذياك الفريق فإنهم خُصُّوا بخالصة من الرّحمٰن
شدّت ركائبهم إلى معبودهم ورسوله يا خيبة الكسلان

فصل

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران[1]
وهو اتخاذ الندّ للرّحمٰن أيًّـ ـا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه بل يرجوه ثمَّ يخافه ويحبه كمحبة الديان
واللَّه ما ساووهم باللَّه في خلق ولا رزق ولا إحسان
فاللَّه عندهم هو الخلاق والر زّاق مولي الفضل والإحسان
لكنّهم ساووهم باللَّه في حبٍّ وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرّحمٰن ما جَعَلُوا المحبة قط للرّحمٰن

(١) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

لـو كـان حـبـهـم لأجـل الـلَّه مـا عـادوا أحِـبّـتـه عـلى الإيـمـان
ولـمـا أحـبـوا سـخـطـه وتـجـنّـبـوا مـحـبـوبـه ومـواقـع الـرضـوان
شرط الـمحبة أن توافق من تحب عـلى مـحـبـتـه بـلا عـصـيـان
فـإذا ادعـيت لـه الـمحبة مع خلا فـك مـا يـحـب فـأنـت ذو بـهـتـان
أتـحـب أعـداء الـحبيب وتـدّعـي حـبًّـا لـه مـا ذاك فـي إمـكـان
وكـذا تـعـادي جـاهـدًا أحـبـابـه أيـن الـمـحـبـة يـا أخـا الـشـيـطـان
لـيس الـعبادة غير توحيد الـمحبّـ ـة مـع خـضـوع الـقـلب والأركـان
والـحب نـفس وفاقه فيما يحبّ وبـغـض مـا لا يـرتـضـي بـجـنـان
ووفـاقـه نـفـس اتـبـاعـك أمـره والـقـصـد وجـه الـلَّه ذي الإحـسـان
هـذا هـو الإحـسـان شـرطٌ فـي قـبـو ل الـسـعـي فـافـهـمـه مـن الـقـرآن
والاتـبـاع بـدون شـرع رسـولـه عـيـن الـمـحـال وأبـطـل الـبـطـلان
فـإذا نـبـذت كـتـابـه ورسـولـه وتـبـعـت أمـر الـنـفـس والـشـيـطـان
واتـخـذت أنـدادًا تـحـبـهـم كـحـبّ الـلَّه كـنـت مـجـانـب الإيـمـان
ولـقـد رأيـنـا مـن فـريـق يـدعـي الـ إسـلام شِـرْكًـا ظـاهـر الـتـبـيـان
جـعـلوا لـهـم شركاء والـوهـم وسَـوّ وهـم بـه فـي الـحـب لا الـسّـلطـان
والـلَّه مـا سـاوَوْهُـمْ بـالـلَّه بـل زادوا لـهـم حـبًّـا بـلا كـتـمـان
والـلَّه ما غـضـبـوا إذا انـتُـهـكـت مـحـا رم ربـهـم فـي الـسـر والإعـلان
حـتـى إذا مـا قـيـل فـي الـوثـن الـذي يـدعـونـه مـا فـيـه مـن نـقـصـان
فـأجـارك الـرّحـمٰـن من غضب ومن حَـرْبٍ ومـن شـتـم ومـن عـدوان
وأجـارك الـرّحـمٰـن من ضربٍ وتـعـ ـزيـر ومـن سـبٍّ ومـن سـجّـان
والـلَّه لـو عـطـلت كُـلّ صـفـاتـه مـا قـابـلوك بـبـعـض ذا الـعـدوان
والـلَّه لـو خـالـفـت نـصّ رسـولـه نـصًّـا صـريـحًـا واضـح الـتـبـيـان
وتـبـعـت قـول شيوخهم أو غيرهم كـنـت الـمـحـقـق صـاحـب الـعـرفـان
حـتـى إذا خـالـفـت آراء الـرجـا ل بـسـنـة الـمـبـعـوث بـالـقـرآن
نـادَوْا عَـلَـيْـك بـبـدعـة وضـلالـة قـالـوا وفـي تـكـفـيـره قـولان
قـالـوا تـنـقّـصـت الـكـبـار وسـائـر الـ ـعـلمـاء بـل جـاهـرت بـالـبـهـتـان

هـذا ولـم تَـسْـلُبْـهُـمُ حـقًّـا لـهـم ... لـيـكـون ذا كـذب وذا عـدوان
وإذا سـلبـت صـفـاتـه وعـلوه ... وكـلامُـهُ جـهـرًا بـلا كـتـمـان
لـم يغضبوا بل كان ذلك عندهم ... عين الصواب ومقتضى الإحسان
والأمـر واللَّه الـعـظـيـم يـزيـد فـو ... ق الـوصـف يـعـرفـه أولـو الـعـرفـان
وإذا ذكـرت الـلَّه تـوحـيـدًا رأيـ ... ـت وجـوهـهـم مـكـسـوفـة الألـوان
بـل ينـظـرون إلـيـك شَـزْرًا مـثـل مـا ... نـظـر الـتّـيـوس إلـى عـصـا الـجـوبـان
وإذا ذكـرت بـمـدحـةٍ شـركـاءهـم ... يَـسْـتَـبْـشـرون تـبـاشـر الـفـرحـان
والـلَّه مـا شـمـوا روائـح ديـنـه ... يـا زكـمـة أعـيـت طـبـيـب زمـان

فصل
في صف العسكرين وتقابل الصفين
واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران

يا من يشب الحربِّ جهلاً ما لكم ... بـقـتـال حـزب الـلَّه قـط يـدان
أنـى يـقـاوم جـنـدكـم لـجـنـودهـم ... وهُـمُ الـهـداة ونـاصـرو الـرّحـمٰـن
وجـنـودكـم مـا بـيـن كـذاب ودجّـ ... ـال ومـحـتـال وذي بـهـتـان
من كُلّ أرعن يدّعي المعقول وهـ ... ـو مـجـانـب لـلـعـقـل والإيـمـان
أو كُـلّ مـبـتـدع وجـهـمـي غـدا ... فـي قـلـبـه حَـرَجٌ مـن الـقـرآن
أو كُـلّ مـن دان ديـن شـيـوخ أهـ ... ـل الاعـتـزال الـبـيّـن الـبـطـلان
أو قـائـل بـالاتـحـاد وإنـه ... عـيـن الإلٰـه ومـا هـنـا شـيـئـان
أم مـن غـدا فـي ديـنـه مـتـحـيّـرًا ... أتـبـاع كُـلّ مـلـدد حَـيْـران
وجـنـودهـم جـبـريـل مـع ميـكـال مـع ... بـاقـي الـمـلائـك نـاصـري الـقـرآن
وجـمـيـع رسـل الـلَّه مـن نـوح إلـى ... خـيـر الـورى الـمـبـعـوث من عـدنـان
فالقلب خمستهم أولو العزم الأُلى ... فـي سـورة الـشـورى أَتَـوْا بـبـيـان[1]

(١) كما في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

في أول الأحزاب أَيضًا ذكرهم ... هم خير خلق اللَّه من إنسان[1]
ولواؤهم بيد الرّسول محمد ... والكُلّ تحت لواء ذي الفرقان
وجميع أصحاب الرّسول عصابة الـ ... ـإسلام أهل العلم والإيمان
والتابعون لهم بإحسان على ... طبقاتهم في سائر الأزمان
أهل الحديث جميعهم وأئمة الـ ... ـفتوى وأهل حقائق العرفان
العارفون بربهم ونبيهم ... ومراتب الأعمال في الرجحان
صوفيّة سنّيّة نبويّة ... ليسوا أولي شطح ولا هذيان
هذا كلامهم لدينا حاضر ... من غير ما كذب ولا كتمان
فاقبل حوالة من أحال عليهم ... هم أمليا وصاحبو إمكان
فإذا بعثنا غارة من أخريا ... ت العسكر المنصور بالقرآن
طَحَنَتْكم طَحْنَ الرحى للحب حتـ ... ـى صرْتُمُ كالبَعْر في القيعان
أنى يقاوم ذي العساكر طمطم ... أو تِنْكِلوشا أو أخو اليونان
أعني أرسطو عابد الأوثان أو ... ذاك الكفور معلّم الألحان
ذاك المعلم أَوّلاً للحرف والثـ ... ـاني لصَوْت بِئْست العلمان
هذا أساس الفسق والحرف الذي ... وضعوا أساس الكفر والهذيان
أو ذلك المخدوع حامل راية الـ ... ـإلحاد ذاك خليفة الشيطان
أعني ابن سينا ذلك المحلول من ... أديان أهل الأرض ذا الكفران
وكذا نصير الشرك في أتباعه ... أعداء رسل اللَّه والإيمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم ... وغزوا جيوش الدِّين والقرآن
فجرى على الإسلام منهم محنة ... لم تجر قط بسالف الأزمان
أو جعد أو جهم وأتباع له ... هم أمة التعطيل والبهتان
أو حفص أو بشر أو النّظّام ذا ... ك مقدّم الفسّاق والمجّان
والجعفران كذاك شيطانٌ ويُدْ ... عى الطاق لا حُيّيت من شيطان
وكذلك الشحام والعلّاف والنّـ ... ـجار أهل الجهل بالقرآن

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧].

والـلَّه مـا فـي الـقـوم شـخـص رافـع ... بـالـوحـي رأسًـا بـل بـرأي فـلان
وخـيـار عـسـكـركـم فـذاك الأشـعـريّ ... الـقـرم ذاك مُـقَـدّم الـفـرسـان
لـكـنـكـم والـلَّه مـا أنـتـم عـلى ... إثـبـاتـه والـحـق ذو بـرهـان
هـو قـال إن اللَّه فـوق الـعـرش، واسـ ... ـتـولـى مـقـالـة كُـلّ ذي بـهـتـان
فـي كـتـبـه طُـرًّا وقـرر قـول ذي الـ ... ـإثـبـات تـقـريـرًا عـظـيـم الـشـأن
لـكـنـكـم أكـفـرتـمـوه وقـلـتـم ... مـن قـال هـذا فـهـو ذو كـفـران
من كبركم في جهلكم ثم انظروا ... ثـم اعـذُروا أو كـفّـروا بـبـيـان
فـخـيـار عـسـكـركـم فـأنـتـم مـنـهـم ... بـرآء إذ قـربـوا مـن الإيـمـان
هـذي الـعـسـاكـر قـد تـلاقـت جـهـرة ... ودنـا الـقـتـال وصـيـح بـالأقـران
صـفّـوا الـجـيـوش وعـبـئـوهـا وابـرزوا ... لـلـحـربِّ واقـتـربـوا مـن الـفـرسـان
فَـهُـمُ إلـى لُقْـيـاكُـمُ بـالـشّـوق كـي ... يـوفـوا بـنـذرهـم مـن الـقـربـان
ولـهـم إلـيـكـم شـوق ذي قـرم فـمـا ... يـشـفـيـه غـيـر مـوائـد الـلّـحـمـان
تَـبًّـا لـكـم لـو تـعـقـلون لـكـنـتـم ... خـلف الـخـدور كـأضـعـف الـنِّـسـوان
مـن أيـن أنـتـم والـحـديـث وأهـلـه ... والـوحـي والـمـعـقـول بـالـبـرهـان
مـا عـنـدكـم إلّا الـدعـاوى والـشـكـا ... وى أو شـهـادات عـلى الـبـهـتـان
هـذا الـذي والـلَّه نـلـنـا مـنـكـم ... فـي الـحـرب إذ يـتـقـابـل الـصـفّـان
والـلَّه مـا جـئـتـم بـقـال الـلَّه أو ... قـال الـرّسـول ونـحـن فـي الـمـيـدان
إلّا بِـجَـعْـجَـعَـةٍ وفَـرْقَـعَـةٍ وغَـمْـ ... ـغَـمَـةٍ وقَـعْـقَـعَـةٍ بـكُـلّ شـنـان
ويـحـق ذاك لـكـم وأنـتـم أهـلـه ... أنـتـم بـحـاصـلـكـم أولـو عـرفـان
وبـحـقِّـكـم تـحـمـوا مـنـاصـبـكـم وأن ... تـحـمـوا مـآكـلـكـم بـكُـلّ سـنـان
وبـحـقِّـنـا نـحـمـي الـهـدى ونـذب عـن ... سـنـن الـرّسـول ومـقـتـضـى الـقـرآن
قَـبَـحَ الإلٰـه مـنـاصـبًـا ومـآكـلاً ... قـامـت عـلى الـبـهـتـان والـعـدوان
والـلَّه لـو جـئـتـم بـقـال الـلَّه أو ... قـال الـرّسـول كـفـعـل ذي الإيـمـان
كـنـا لـكـم شـاويـش تـعـظـيـم وإجـ ... ـلال كـشـاويـشٍ لـذي سـلـطـان
لـكـن هـجـرتـم ذا وجِـئْـتُـمُ بـدعـة ... وأردتـم الـتـعـظـيـم بـالـبـهـتـان

فصل

العلم قال اللَّه قال رسوله ... قال الصحابة هم ذوو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرّسول وبين رأي فلان
كَلّا ولا جحد الصفات لربنا ... في قالب التّنْزيه والسبحان
كَلّا ولا نفي العلو لفاطر الـ ... أكوان فوق جميع ذي الأكوان
كَلّا ولا عزل النّصوص وأنّها ... ليست تفيد حقائق الإيمان
إذ لا تفيدكم يقينًا لا ولا ... علمًا فقد عزلت عن الإيقان
والعلم عندكم ينال بغيرها ... بزبالة الأفكار والأذهان
سمّيتموه قواطعًا عقليّة ... تنفي الظواهر حاملات معان
كَلّا ولا إحصاء آراء الرجا ... ل وضبطها بالحصر والحسبان
كَلّا ولا التأويل والتّبديل والتـ ... ـحريف للوحيَيْن بالبهتان
كَلّا ولا الإشكال والتشكيك والـ ... ـوقف الذي ما فيه من عرفان
هذي علومكم التي من أجلها ... عاديتمونا يا أولي العرفان

فصل
في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المُعَطّلة وأهل الالحاد حزب جنكيزخان

يا قوم صالحتم نفاة الذات والـ ... أوصاف صلحًا موجبًا لأمان
وأغرتم وَهْنًا عليهم غارة ... قَعْقَعتُمُ فيها لهم بشنان
ما كان فيها من قتيل منهم ... كَلّا ولا فيها أسيرٌ عان
ولَطَفْتُمُ في القول أو صانعتم ... وآتيتم في بحثكم بدهان
وجلستم معهم مجالسكم مع الـ ... أستاذ بالآداب والميزان
وضرعتم للقوم كُلّ ضراعة ... حتى أعاروكم سلاح الجاني
فغزوتم بسلاحهم لعساكر الـ ... إثبات والآثار والقرآن
ولأجل ذا كنتم مخانيثًا لهم ... لم تنفتح منكم لهم عينان
حذرًا من استرجاعهم لسلاحهم ... فترون بعد السلب كالنِّسوان

وبحثتم مع صاحب الإثبات بالتـ ... كـفـيـر والـتـضـلـيـل والـعـدوان
وقلبتم ظهر المِجَنّ[1] له وأجـ ... ـلَبْتُم عليه بعسكر الشيطان
واللَّه هذي ريبة لا يختفي ... مضمونها إلّا على الثيران
هذا وبينهما أشد تفاوت ... فئتان في الرّحمٰن تختصمان
هذا نفى ذات الإلٰه ووصفه ... نفيًا صريحًا ليس بالكتمان
لكن ذا وصف الإلٰه بكُلّ أو ... صاف الكمال المطلق الرباني
ونفي النقائص والعيوب كَنَفْيِه التّـ ... ـشْبيه للرّحمٰن بالإنسان
فلأي شيءٍ كان حَرْبُكُم له ... بالجِدّ دون معطل الرّحمٰن
قلنا نعم هذا المجسّم كافر ... أفكان ذلك كامل الإيمان
لا تنطفي نيران غيظكم على ... هذا المجسّم يا أولي النيران
فاللَّه يوقدها ويصلي حرّها ... يوم الحساب محرّف القرآن
يا قومنا قد ارتكبتم خطة ... لم يرتكبها قط ذو عرفان
وأعنتم أعداءكم بوفاقكم ... لهم على شيء من البطلان
أخذوا نواصِيَكم بها ولِحَاكُمُ ... فغدت تجرّ بذلّة وهوان
قلتم بقولهم ورمتم كسرهم ... أنّى وقد غلقوا لكم بِرِهان
وكسرتُمُ الباب الذي من خلفه ... أعداء رسل اللَّه والإيمان
فأتى عدو ما لكم بقتالهم ... وبحربهم أبد الزّمان يدان
فغدوتم أسرى لهم بحبالهم ... أيديكم شُدّت إلى الأذقان
حملوا عَلَيْكم كالسباع استقبلت ... حُمُرًا معقّرة ذوي أرسان
صالوا عليكم بالذي صُلْتُمْ به ... أنتم علينا صَوْلة الفرسان
لولا تحيّزكم إلينا كنتم ... وسط العرين ممزّقي اللحمان
لكن بنا استنصرتم وبقولنا ... صلتم عليهم صولة الشّجعان
وآليتم الإثبات إذ صلتم به ... وعزلتم التعطيل عزل مهان
وأتيتم تغزوننا بسريّة ... من عسكر التعطيل والكفران

(١) وهو الترس.

مـن ذا بـحـقٍّ الـلَّه أجـهـل مـنـكـم وأحـقّـنـا بـالـجـهـل والـعـدوان
تـالـلَّه مـا يـدري الـفـتـى بـمـصـابـه والـقـلب تـحـت الـخـتـم والـخـذْلان

فصل
في مصارع النفاة المُعَطّلين بأسنة
أمراء الإثبات الموحّدين

وإذا أردت تـرى مـصـارع مـن خـلا مـن أمـة الـتـعـطـيـل والـكـفـران
وتـراهـم أسـرى حـقـيـرًا شـأنـهـم أيـديـهـم غـلـت إلـى الأذقـان
وتـراهـم تـحـت الـرمـاح دريـئـة مـا فـيـهـم مـن فـارس طـعّـان
وتـراهـم تـحـت الـسـيـوف تـنـوشـهـم مـن عـن شـمـائـلـهـم وعـن أيـمـان
وتـراهـم انـسـلـخـوا من الـوحـيـين والـ ـعَقْل الـصـحـيـح ومـقـتـضـى الـقـرآن
وتـراهـم والـلَّه ضـحـكـة سـاخـر ولـطـالـمـا سـخـروا مـن الإيـمـان
قـد أوحـشـت مـنـهـم ربـوع زادهـا الـ ـجـبّـار إيـحـاشًـا مـدى الأزمـان
وخـلـت ديـارهـم وشُـتّـت شـمـلـهـم مـا فـيـهـم رجـلان مـجـتـمـعـان
قـد عـطـل الـرّحـمٰـن أفـئـدة لـهـم مـن كُـلّ مـعـرفـة ومـن إيـمـان
إذ عـطـلوا الـرّحـمٰـن من أوصـافـه والـعـرش أخـلـوه مـن الـرّحـمٰـن
بـل عـطـلوه عـن الـكـلام وعـن صـفـا ت كـمـالـه بـالـجـهـل والـبـهـتـان
فـاقـرأ تـصـانـيـف الإمـام حـقـيـقـة شـيـخ الـوجـود الـعـالـم الـربـانـي
أعـنـي أبـا الـعـبـاس[1] أحـمـد ذلـك الـ ـبَـحْـر الـمـحـيـط بـسـائـر الـخـلـجـان
واقـرأ كـتـاب الـعـقـل والـنـقـل الـذي مـا فـي الـوجـود لـه نـظـيـر ثـان
وكـذاك مـنـهـاج لـه فـي رده قـول الـروافـض شـيـعـة الـشـيـطـان
وكـذاك أهـل الاعـتـزال فـإنـه أرداهـم فـي حـفـرة الـجـبّـان
وكـذلـك الـتـأسـيـس أصـبـح نَـقْـضـه أعـجـوبـةً لـلـعـالـم الـربـانـي
وكـذاك أجـوبـة لـه مـصـريّـة فـي ست أسـفـار كُـتِـبْـن سـمـان

(١) أي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكذا جواب للنصارى فيه ما ... يشفي الصدور وإنه سِفْران
وكذاك شرح العقيدة للأصبها ... ني شارح المحصول شرح بيان
فيها النبوات التي إثباتها ... في غاية التقرير والتبيان
واللَّه ما لأُولي الكلام نظيره ... أبدًا وكُتْبُهُمُ بكُلّ مكان
وكذا حدوث العالم العُلْويّ والسـ ... ـفليّ فيه في أتمّ بيان
وكذا قواعد الاستقامة إنها ... سفران فيما بيننا ضخمان
وقرأت أكثرها عليه فزادني ... واللَّه في علم وفي إيمان
هذا ولو حَدّثْتُ نفسي أنه ... قبلي يموت لكان غير الشان
وكذاك توحيد الفلاسفة الألى ... توحيدهم هو غاية الكفران
سفر لطيف فيه نقض أصولهم ... بحقِّيقة المعقول والبرهان
وكذاك تسعينيّة فيها له ... ردّ على من قال بالنّفْساني
تسعون وَجْهًا بَيّنَت بطلانه ... أعني كلام النّفس ذا الوحداني
وكذا قواعده الكبار وأنها ... أوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمي لها فأسوقها ... فأشرت بعض إشارة لبيان
وكذا رسائله إلى البلدان والـ ... أطراف والأصحاب والإخوان
هي في الورى مبثوثة معلومة ... تباع بالغالي من الأثمان
وكذا فتاواه فأخبرني الذي ... أَضْحى عليها دائم الطوفان
بلغ الذي ألفاه منها عدة الـ ... أيام من شهر بلا نقصان
سفر يقابل كُلّ يوم والذي ... قد فاتني منها بلا حسبان
هذا وليس يقصّر التفسير عن ... عشر كبار ليس ذا نقصان
وكذا المفاريد التي في كُلّ مسـ ... ـألة فسفْرٌ واضح التبيان
ما بين عشر أو تزيد بضعفها ... هي كالنجوم لسالك حيران
وله المقامات الشهيرة في الورى ... قد قامها للَّه غير جبان
نصر الإلٰه ودينه وكتابه ... ورسوله بالسيف والبرهان
أبدى فضائحهم وبيّن جهلهم ... وأرى تناقضهم بكُلّ زمان
وأصارهم واللَّه تحت نعال أهـ ... ـل الحقّ بعد ملابس التّيجان

وأصارهم تحت الحضيض وطالما كانوا هم الأعلام للبلدان
ومن العجائب أنه بسلاحهم أرداهم تحت الحضيض الداني
كانت نواصينا بأيديهم فما منّا لهم إلّا أسير عان
فغدت نواصيهم بأيدينا فما يلقوننا إلّا بحبل أمان
وغدت ملوكهم مماليكًا لأنصـ ـار الرّسول بمنّة الرّحمٰن
وأتت جنودهم التي صالوا بها منقادة لعساكر الإيمان
يدري بهذا من له خبر بما قد قاله في ربّه الفئتان
والفدم[1] يوحشنا ولكن هناكم فحضوره ومغيبه سيّان

فصل
في بيان أن المصيبة التي حلّت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ما أنزل اللّه بها من سلطان

يا قوم أصل بلائكم أسماء لم ينزل بها الرّحمٰن من سلطان
هي عَكّسَتْكُم غاية التعكيس واقـ ـتَلَعَت دياركم من الأركان
فتهدمت تلك القصور وأوحشت منكم ربوع العلم والإيمان
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها من غير تفصيل ولا فرقان
وهي التي اشتملت على أمرين من حَقٍّ وأمرٍ واضح البطلان
سمَّيتم عرش المهيمن حيّزًا والاستواء تحيزًا لمكان
وجعلتُمُ فوق السمٰوات العلى جهة وسُقْتُم نفي ذا بوزان
وجعلتم الإثبات تشبيهًا وتجـ ـسيمًا وهذا غاية البهتان
وجعلتم الموصوف جسمًا قابل الـ أعراض والأكوان والألوان
وجعلتم أوصافه عرضًا وهـ ذا كلّه جسر إلى النّكران
وكذاك سميتم حلول حوادث أفعاله تلقيب ذي عدوان
إذ تنفر الأسماع من ذا اللفظ نفـ ـرتها من التشبيه والنقصان

(١) أي العيي عن الحجة والكلام.

فكسوتم أفعاله لفظ الحوا ... دث ثمَّ قلتم قول ذي بطلان
ليست تقوم به الحوادث والمرا ... د النفي للأفعال للدّيان
فإذا انتفت أفعاله وصفاته ... وكلامُهُ وعلوّ ذي السّلطان
فبأي شيء كان ربًّا عندكم ... يا فرقة التحقيق والعرفان
والقصد نفي فعاله عنه بذا التّـ ... ـلْقيب فعل الشاعر الفتان
وكذاك حكمة ربّنا سَمّيْتُم ... عِلَلاً وأغراضًا وذان اسمان
لا يشعران بِمِدِحَةٍ بل ضدّها ... فيهون حينئذ على الأذهان
نفي الصّفات وحكمة الخلاق والـ ... أفعال إنكارًا لهذا الشأن
وكذا استواء الربّ فوق العرش قُلْ ... تُم إنه التركيب ذو بطلان
وكذاك وجه الربّ جلّ جلاله ... وكذاك لفظ يد ولفظ يدان
سمّيتم ذا كلّه الأعضاء بل ... سمّيتموه جوارح الإنسان
وسطوتم[1] بالنفي حينئذ عليـ ... ـه كَنَفْيِنا للعيب مع نقصان
قلتم نُنَزّهُه على الأعراض والـ ... أغراض والأبعاض والجثمان
وعن الحوادث أن تحلّ بذاته ... سبحانه من طارق الحدثان
والقصد نفي صفاته وفعاله ... والاستواء وحكمة الرّحمٰن
والناس أكثرهم بسجن اللفظ مَحْـ ... ـبوسون خوف معرّة السّجّان
والكُلّ إلّا الفَرْدَ يقبل مَذْهَبًا ... في قالب ويردّه في ثان
والقصد أن الذات والأوصاف والـ ... أفعال لا تنفى بذا الهذيان
سموه ما شئتم فليس الشأن في الـ ... أسماء بل في مَقْصَدٍ ومعان
كم ذا توسلتم بلفظ الجسم والتـ ... ـجْسيم للتعطيل والكفران
وجعلتموه الترس إن قلنا لكم ... اللَّه فوق العرش والأكوان
قلتم لنا جسم على جسم تعا ... لى اللَّه عن جِسْمٍ وعن جُثْمان
وكذاك إن قلنا القُرانُ كلامه ... منه بدا لم يبد من إنسان
كَلّا ولا ملك ولا لوح ولـ ... ـكن قاله الرّحمٰن قول بيان

(١) السطوة: أي التطاول.

قلتم لنا أن الكلام قيامه ... بالجسم أَيضًا وهو ذا حدثان
عرض يقوم بغير جسم ولم يكن ... هذا بمعقول لدى الأذهان
وكذاك حين نقول ينزل ربنا ... في ثلث ليل آخر أو ثان
قلتم لنا أن النزول لغير أجسـ ... ـام محال ليس ذا إمكان
وكذاك إن قلنا يُرىٰ سبحانه ... قلتم أَجِسْم كي يُرىٰ بعيان
أم كان ذا جهة تعالى ربنا ... عن ذا فليس يراه من إنسان
أما إذا قلنا له وجه كما ... في النص أو قلنا كذاك يدان
وكذاك إن قلنا كما في النص إنّ ... القلب بين أصابع الرّحمٰن
وكذاك إن قلنا الأصابع فوقها ... كُلّ العوالم وهي ذو رجفان
وكذاك إن قلنا يداه لأرضه ... وسمائه في الحشر قابضتان
وكذاك إن قلنا سيكشف ساقه ... فيخر ذاك الجمع للأذقان
وكذاك إن قلنا يجيء لفصله ... بين العباد بعدل ذي سلطان
قامت قيامتكم كذاك قيامة الـ ... ـآتي بهذا القول في الرّحمٰن
واللّه لو قلنا الذي قال الصحا ... بة والألى من بعدهم بلسان
لرجمتمونا بالحجّارة إن قَدَرْ ... تُمْ بعد رجم الشّتْم والعدوان
وجعلتم الجسم الذي قَرّرْتُمُ ... بطلانه طاغوت ذا البطلان
ووضعتم للجسم معنىً غير معـ ... ـروف به في وضع كُلّ لسان
وَبَنَيْتُمُ نفي الصفات عليه فاجـ ... ـتمعت لكم إذ ذاك محذوران
كَذِبٌ على لغة الرّسول ونفي إثـ ... ـبات العلوّ لفاطر الأكوان
وركبتم إذ ذاك تحريفَيْن تحـ ... ـريف الحديث ومُحْكَمِ القرآن
وكسبتم وزرَيْن وزر النفي والتـ ... ـحريف فاجتمعت لكم كفلان
وعداكم أجران أجر الصدق والـ ... إيمان حتى فاتكم حظّان
وكسبتم مَقْتَيْن مقت إلٰهكم ... والمؤمنين فنالكم مقتان
ولبستم ثوبين ثوب الجهل والظـ ... ـلم القبيح فبئست الثّوبان
وتَخِذْتُم طرزَيْن طِرْزَ الكبر والتـ ... ـيه العظيم فبئست الطرزان
ومددتُمْ نحو العلى باعَيْن لـ ... كن لم تَطُل منكم لها الباعان

وأتيتموها من سوى أبوابها ... لكن تسوّرْتُم من الحيطان
وغَلَقْتُمُ بابين لو فُتِحا لكم ... فُزْتُم بكُلّ بشارة وتهان
باب الحديث وباب هذا الوحي من ... يفتحهما فليهنه البابان
وفتحتم بابَيْن من يفتحهما ... تفتح عليه مواهب الشيطان
باب الكلام وقد نُهيتُم عنه ... والباب الحزيق فمنطق اليونان
فدخلتم دارين دار الجهل في الد ... نيا ودار الخزي في النيران
وطعمتم لونين لون الشك والتّـ ... ـشكيك بعدُ فبئست اللونان
وركبتم أمرين كم قد أهلكا ... من أمة في سالف الأزمان
تقديم آراء الرجال على الذي ... قال الرّسول ومُحْكَمِ القرآن
والثاني نِسْبَتُهُم إلى الألغاز والتّـ ... ـلبيس والتدليس والكتمان
ومكرتم مكرين لو تَمّا لكم ... لتفصّمت فينا عرى الإيمان
أطفأتم نور الكتاب وسنّة الـ ... ـهادي بذا التحريف والهذيان
لكنكم أَوْقَدْتُمُ للحربِّ نا ... رًا بين طائفتين مختلفان
واللَّه مطفيها بألسنة الألى ... قد خصّهم بالعلم والإيمان
واللَّه لو غرق المجسم في دم التّـ ... ـجسيم من قدم إلى الآذان
فالنص أعظم عنده وأجل قد ... رًا أن يعارضه بقول فلان

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت

أَهْوِنْ بذا الطاغوت لا عَزّ اسمه ... طاغوت ذي التعطيل والكفران
كم من أسير بل جريح بل قتيـ ... ـل تحت ذا الطاغوت في الأزمان
وترى الجبان يكاد يخلع قلبه ... من لفظه تَبًّا لكُلّ جبان
وترى المخنّث حين يقرع سمعه ... تبدو عليه شمائل النِّسوان
ويظل منكوحًا لكُلّ معطل ... ولكُلّ زنديق أخي كفران
وترى صبي العقل يفزعه اسمه ... كالغول حين يقال للصبيان
كفران هذا الإسم لا سبحانه ... أبدًا وسبحان العظيم الشان

كم ذا التّتَرّس بالمحال أما ترى ... قد مَزّقَتْه كثرة السّهمان
جسم وفَشْر ثم تجسيم وتَفْـ ... ـشير أما تَعْيَوْنَ من هذيان
أنتم وضعتم ذلك الطاغوت ثمَّ ... به نفيتم موجب القرآن
وجعلتموه شاهدًا بل حاكمًا ... هذا على من يا أولي العدوان
أعَلَى كتاب اللَّه ثمَّ رسوله ... باللَّه فاستحيوا من الرّحمٰن
فقضاؤه بالجور والعدوان مثـ ... ـل قيامه بالزور والعدوان
وقيامه بالزور مثل قضائه ... بالجور والعدوان والبهتان
كم ذي الجعاجع ليس شيء تحتها ... إلّا الصدى كالبوم في الخربان
ونظير هذا قول مُلْحِدِكُم وقد ... جحد الصفات لفاطر الأكوان
لو كان موصوفًا لكان مركّبًا ... فالوصف والتركيب متّحدان
ذا المنجنيق وذلك الطاغوت قد ... هدما ديداركم إلى الأركان
واللَّه ربّي قد أعان بكسر ذا ... وبقطع ذا سبحان ذي الإحسان
فلئن زعمتم أن هذا لازم ... لمقالكم حقًّا لزوم بيان
فلنا جوابات ثلاث كلها ... معلومة الإيضاح والتّبيان
منع اللزوم وما بأيديكم سوى ... دعوى مجردة عن البرهان
لا يرتضيها عالم أو عاقل ... بل تلك حيلة مفلس فتّان
فلئن زعمتم أن منع لزومه ... منكم مكابرة على البطلان
فجوابنا الثاني امتناع النفي فيـ ... ـما تدّعون لزومه ببيان
إذ كان ذلك لازمًا للنص والـ ... ـملزوم حقٌّ وهو ذو برهان
والحق لازمه فحق مثله ... أنى يكون الشيء ذا بطلان
ويكون ملزومًا به حقًّا فذا ... عين المُحال وليس في الإمكان
فتعين الإلزام حينئذ على ... قول الرّسول ومحكم القرآن
وجعلتم أتباعه ما نسترا ... خوفًا من التصريح بالكفران
واللَّه ما قلنا سوى ما قاله ... هذي مقالتنا بلا نكُران
فجعلتموها جنة والقصد مفـ ... ـهوم فنحن وقاية القرآن
هذا وثالث ما نجيب به هو اسـ ... ـتفساركم يا فرقة العرفان

ماذا الذي تعنون بالجسم الذي ... ألزمتمونا أوضحوا ببيان
تعنون ما هو قائم بالنفس أو ... عال على العرش العظيم الشان
أو ذا الذي قامت به الأوصاف أو ... صاف الكمال عديمة النقصان
أو ما تركب من جواهر فردة ... أو صورة حلت هَيولىٰ ثان
أو ما هو الجسم الذي في العرف أو ... في الوضع عند تخاطب بلسان
أو ما هو الجسم الذي في الذهن ذا ... ك يقال تعليميّ ذي الأذهان
ماذا الذي في ذاك يلزم من ثبو ... ت علوه من فوق كُلّ مكان
فأتوا بتعيين الذي هو لازم ... فإذا تعيّن ظاهر التبيان
فأتوا ببرهانين برهان اللزو ... م ونفي لازمه فذان اثنان
واللَّه لو نشرت لكم أشياخكم ... عجزوا ولو واطاهُمُ الثّقلان
إن كنتم أنتم فحولاً فابرزوا ... ودعوا الشكاوى حيلة النِّسوان
وإذا اشتكيتم فاجعلوا الشكوى إلى الـ ... ـبرهان لا القاضي ولا السّلطان
فنجيب بالتركيب حينئذ جوا ... بًا شافيًا فيه هدى الحيران
الحق إثبات الصفات ونفيها ... عين المحال وليس في الإمكان
فالجسم إما لازمٌ لثبوتها ... فهو الصواب وليس ذا بطلان
أو ليس يلزم من ثبوت صفاته ... فشناعة الإلزام بالبهتان
فالمنع في إحدى المقدّمتين معـ ... ـلوم البيان إذًا بلا نكران
المنع إما في اللزوم أو انتقا ... ء اللازم المنسوب للبطلان
هذا هو الطاغوت قد أَمْسى كما ... أبصرتموه بمنّة الرّحمٰن

فصل
في مبدأ العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المُعَطّلين

يا قوم تدرون العداوة بيننا ... من أجل ماذا في قديم زمان
إنّا تحيّزنا إلى القُرآن والنّـ ... ـقل الصحيح مفسّر القرآن
وكذا إلى العقل الصريح وفطرة الرّ ... حمٰن قبل تغيّر الإنسان

هي أربع متلازمات بعضها ... قد صدّقت بعضًا على ميزان
واللَّه ما اجتمعت لديكم هذه ... أبدًا كما أقررتم بلسان
إذ قلتم العقل الصحيح يعارض الـ ... ـمنقول من أثر ومن قرآن
فنقدم المعقول ثمَّ نُصَرّفُ الـ ... ـمنقول بالتأويل ذي الألوان
فإذا عجزنا عنه ألقيناه لم ... نعبأ به قصدًا إلى الإحسان
ولكم بذا سلف لهم تابعتم ... لمّا دُعُوا للأخذ بالقرآن
صدّوا فلمّا أن أصيبوا أقسموا ... لمرادنا توفيق ذي الإحسان
ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي ... تلك العقول بغاية النقصان
فأتوا بأقوال إذا حَصّلتها ... أسمعت ضحكة هازل مجّان
هذا جزاء المعرضين عن الهدى ... متعوّضين زخارف الهَذَيان
واضربِّ لهم مثلاً بشيخ القوم إذ ... يأبى السجود بكبر ذي طغيان
ثمَّ ارتضى إلى أن أن صار قوّادًا لأر ... باب الفسوق وكُلّ ذي عصيان
وكذاك أهل الشرك قالوا كيف ذا ... بَشَرٌ أتى بالوحي والقرآن
ثمَّ ارتضوا أن يجعلوا معبودهم ... من هذه الأحجار والأوثان
وكذاك عباد الصليب حَمَوْا بطا ... ركهم من النِّسوان والولدان
وأتوا إلى ربِّ السمٰوات العلى ... جعلوا له ولدًا من الذكران
وكذلك الجهمي نزه ربه ... عن عرشه من فوق ذي الأكوان
حذرًا من الحصر الذي في ظنّه ... أو أن يرى متحيّزًا بمكان
فأصاره عدمًا وليس وجوده ... متحقّقًا في خارج الأذهان
لكنّما قدماؤهم قالوا بأنّ ... الذات قد وجدت بكُلّ مكان
جعلوه في الآبار والأنجاس والـ ... ـخانات والخربات والقيعان
والقصد أنكم تحيّزتم إلى الـ ... آراء وهي كثيرة الهذيان
فتلوّنت بكم فجئتم أنتم ... متلوّنين عجائب الألوان
وَعَرَضْتُم قول الرّسول على الذي ... قد قاله الأشياخ عرض وزان
وجعلتم أقوالهم ميزان ما ... قد قاله والعَوْل في الميزان
ووردتم سفل المياه ولم نكن ... نرضى بذاك الورد للظمآن

وأخذتم أنتم بنيّات الطريـ ق ونحن سرنا في الطريق الأعظم السّلطاني
وجعلتم ترس الكلام مجنّة تَبًّا لذاك الترس عند طعان
ورميتم أهل الحديث بأسهم عن قوس موتور الفؤاد جبان
فتترّسوا بالوحي والسُّنن التي تتلوه نعم التّرس للشّجعان
هو ترسهم واللَّه من عدوانكم والتّرس يوم البعث من نيران
أفتاركوه لِبَهْتِكم ومحالكم لا كان ذاك بمنة الرّحمٰن
ودعوتمونا للذي قلتم به قلنا معاذ اللَّه من خذلان
فاشتد ذاك الحربُ بين فريقنا وفريقكم وتفاقم الأمران
وتأصلت تلك العداوة بيننا من يوم أمر اللَّه للشيطان
بسجوده فعصى وعارض أمره بقياسه وبعقله الخوّان
فأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا أخباره بالعقل والهذيان
ومعارض للأمر مثل معارض الـ أخبار هم في كفرهم صنوان
من عارض المنصوص بالمعقول قِد مًا أخبرونا يا أولي العرفان
أو ما عرفتم أنه القدري والـ جبري أَيضًا ذاك في القرآن
إذ قال قد أغويتني وَفَتَنْتَني لأزيّنن لهم مدى الأزمان
فاحتج بالمقدور ثمَّ أبان أنّ الفعل منه بغيّة وزيان
فانْظُرْ إلى ميراثهم ذا الشيخ بالتّـ عصيب والميراث بالسهمان
فسألتكم باللَّه من وراثه منّا ومنكم بعد ذا التبيان
هذا الذي ألقى العداوة بيننا إذ ذاك واتصلت به إلى ذا الآن
أصّلْتُمُ أصلاً وأصّل خصمكم أصلاً فحين تقابل الأصلان
ظهر التفاوت فانتشت ما بيننا الـ حربٌ العوان وصيح بالأقران
أصّلتم رأي الرجال وخرصها من غير برهان ولا سلطان
هذا وكم رأي لهم فبرأي من نَزِنُ النّصوص فأوضحوا ببيان
كُلّ له رأي ومعقول له يدعو ويمنع أخذ رأي فلان
والخصم أصّل مُحْكَمَ القُرآن مع قول الرّسول وفطرة الرّحمٰن
وبنى عليه فاعتلى بنيانه نحو السّما أعظم بذا البنيان

وعلى شفا جرف بنيتم أنتم ... فأتت سيول الوحي والإيمان
قَلَعَتْ أساس بنائكم فتهدمت ... تلك السقوف وخرّ للأركان
اللَّه أكبر لو رأيتم ذلك الـ ... ـبنيان حين علا كمثل دخان
تسمو إليه نواظر من تحته ... وهو الوضيع ولو رقى لعنان[1]
فاصبر له وَهْنًا وَرُدّ الطرف تل ... قاه قريبًا في الحضيض الداني

فصل
في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران والإثبات أساس العلم والإيمان

من قال إن اللَّه ليس بفاعل ... فِعْلاً يقوم به قيام معان
كَلّا وليس الأمر أَيضًا قائمًا ... بالربّ بل من جملة الأكوان
كَلّا وليس اللَّه فوق عباده ... بل عرشه خِلْوٌ من الرّحمٰن
فثلاثة واللَّه لا تبقى من الـ ... إيمان حبة خردل بوزان
وقد استراح معطل هذي الثلا ... ث من الإلٰه وجملة القرآن
ومن الرّسول ودينه وشريعة الـ ... إسلام بل من جملة الأديان
وتمام ذاك جحوده لصفاته ... والذات دون الوصف ذو بطلان
وتمام ذا الإيمان إقرار الفتى ... باللَّه فاطر هذه الأكوان
فإذا أقر به وعطل كُلّ مَفْـ ... ـروض ولم يتوقّ من عصيان
لم ينقص الإيمان حبة خردل ... أنّى وليس يقابل النقصان
وتمام هذا قولهم إنّ النبوّ ... ة ليس وصفًا قام بالإنسان
لكن تعلّق ذلك المعنى القديـ ... ـم بواحد من جملة الإنسان
هذا وما ذاك التعلق ثابتًا ... في خارج بل ذاك في الأذهان
فتعلّق الأقوال لا يعطي الذي ... وَقَفَتْ عليه الكون في الأعيان
هذا إذا ما حُصّل المعنى الذي ... قلتم هو النفسيّ في البرهان

---

(١) وهو السحاب.

لكنّ جمهور الطوائف لم يروا ... ذا ممكنًا بل ذاك ذو بطلان
ما قال هذا غيركم من سائر النّـ ... ـظّار في الآفاق والأزمان
تسعون وجهًا بَيّنَت بطلانه ... لولا القريض لسُقْتُها بوزان
يا قوم أين الربّ أين كلامه ... أين الرّسول فأوضحوا ببيان
ما فوق ربّ العرش من هو قائل ... طه ولا حرفًا من القرآن
ولقد شهدتم أن هذا قولكم ... واللَّه يشهد مع أولي الإيمان
وارحمتاه لكم غُبِنْتُم حظّكم ... من كُلّ معرفة ومن إيمان
ونسبتم للكفر أولى منكم ... باللَّه والإيمان والقرآن
هذي بضاعتكم فمن يستامها ... فقد ارتضى بالجهل والخسران
وتمام هذا قولكم في مبدأ ... ومعادنا أعني المعاد الثاني
وتمام هذا قولكم بفناء دا ... ر الخلد فالدّاران فانيتان
يا قومنا بلغ الوجود بأسره ... والدين والدنيا مع الإيمان
والخلق والأمر المنزّل والجزا ... ومنازل الجَنّاتِ والنيران
والناس قد ورثوه بعد فمنهم ... ذو السّهم والسّهمين والسّهمان
بئس المورِّثُ والمورَّثُ والتّرا ... ث ثلاثة أهل لكُلّ هوان
يا وراثين نبيّهم بُشْراكُمُ ... ما إرثكم مع إرثهم سيّان
شتان بين الوارثين وبين مو ... روثيهما وسهام ذي السهمان
يا قوم ما صاح الأئمة جهدهم ... بالجَهْم من أقطارها بأذان
إلّا لما عرفوه من أقوالكم ... ومآلها بحقِّيقة العرفان
قول الرّسول وقول جهم عندنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان
نصحوكم واللَّه جهد نصيحة ... ما فيهم واللَّه من خوّان
فخذوا بهديهم فربّي ضامن ... ورسوله أن تفعلوا بجنان
فإذا أبيت فالسَّلام على من ... اتبع الهدى وانقاد للقرآن
سيروا على نجب العزائم واجعلوا ... بظهورها المسرى إلى الرّحمٰن
سبق المفرّد وهو ذاكر ربه ... في كُلّ حال ليس ذا نسيان
لكن أخو الغفلات منقطع به ... بين المفاوز تحت ذي الغيلان

صيْد السباع وكُلّ وحش كاسر ... بئس المضيف لأعجز الضّيفان
وكذلك الشيطان يصطاد الذي ... لا يذكر الرّحمٰن كُلّ أوان
والذكر أنواع فأعلى نوعه ... ذكر الصفات لربّنا المنّان
وثبوتها أصل لهذا الذكر والنّـ ... ـافي لها داع إلى النسيان
فلذاك كان خليفة الشيطان ذا ... لا مرحبًا بخليفة الشيطان
والذاكرون على مراتبهم فأعـ ... ـلاهم أولو الإيمان والعرفان
بصفاته العليا إذا قاموا بحمـ ... ـد اللَّه في سرٍّ وفي إعلان
وأخص أهل الذكر بالرّحمٰن أعـ ... ـلَمُهُم بها هم صفوة الرّحمٰن
وكذاك كان محمد وأبوه إبـ ... ـراهيم والمولود من عمران
وكذاك نوح وابن مريم عندنا ... هم خير خلق اللَّه من إنسان
لمعارف حصلت لهم بصفاته ... لم يؤتها أحد من الإنسان
وهم أولو العزم الذين بسورة الـ ... أحزاب والشورى أتوا ببيان
ولذلك القُرآن مملوء من الـ ... أوصاف وهي القصد بالقرآن
ليصير معروفًا لنا بصفاته ... ويصير مذكورًا لنا بجنان
ولسانٍ أيضًا مع محبتنا له ... فلأجل ذا الإثبات في الإيمان
مثل الأساس من البناء فمن يُرِدْ ... هدم الأساس فكيف بالبنيان
واللَّه ما قام البناء لدين رسـ ... ـل اللَّه بالتعطيل للديّان
ما قام إلّا بالصفات مفصلاً ... إثباتها تفصيل ذي عرفان
فهي الأساس لديننا ولكُلّ ديـ ... ـن قبله من سائر الأديان
وكذاك زندقة العباد أساسها التـ ... ـعطيل يشهد ذا أولو العرفان
واللَّه ما في الأرض زندقة بدت ... إلّا من التعطيل والكفران
واللَّه ما في الأرض زندقة أتت ... من جانب الإثبات والقرآن
هذي زنادقة العباد جميعهم ... ومصنفاتهم بكُلّ مكان
ما فيهم أحد يقول اللَّه فو ... ق العرش مستولٍ على الأكوان
ويقول إنّ اللَّه جلّ جلاله ... متكلم بالوحي والقرآن
ويقول إنّ اللَّه كلّم عبده ... موسى فأسمعه بذي الآذان

ويقول إنّ النقل غير معارض ... للعقل بل أمران متفقان
والنقل جاء بما يحار العقل فيـ ... ـه لا المحال البيّن البطلان
فانْظُرْ إلى الجَهْمي كيف أتى إلى ... أس الهدى ومعاقل الإيمان
بمعاول التعطيل يقلعها فما ... يبقى على التعطيل من إيمان
يدري بهذا عارف بمآخذ الـ ... ـأقوال مُضْطَلِعٌ بهذا الشان
واللَّه لو حدّقْتُمُ لرأيتم ... هذا وأعظم منه رأي عيان
لكن على تلك العيون غشاوة ... ما حيلة الكحّال في العميان

فصل
في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقّص الرّسول

قالوا تَنَقَّصْتم من رسول اللَّه وا ... ـعجبًا لهذا البغي والبهتان
عزلوه أن يُحْتَجّ قَطّ بقوله ... في العلم باللَّه العظيم الشان
عزلوا كلام اللَّه ثمَّ رسوله ... عن ذاك عزلاً ليس ذا كتمان
جعلوا حقيقته وظاهره هو الـ ... ـكفر الصريح البيّن البطلان
قالوا وظاهره هو التشبيه والتّـ ... ـجسيم والتّمثيل حاشا ظاهر القرآن
من قال في الرّحمٰن ما دلت عليـ ... ـه حقيقة الأخبار والفرقان
فهو المشبه والممثل والمجسّـ ... ـم عابد الأوثان لا الرّحمٰن
تاللَّه قد مسخت عقولكم فليـ ... ـس وراء هذا قطّ من نقصان
ورميتم حزب الرّسول وجنده ... بمصابكم يا فرقة البهتان
وجعلتم التنقيص عين وفاقه ... إذ لم يوافق ذاك رأي فلان
أنتم تنقصتم إلٰه العرش والـ ... ـقُرآن والمبعوث بالقرآن
نَزّهتموه عن صفات كماله ... وعن الكلام وفوق كُلّ مكان
وجعلتم ذا كلّه التشبيه والتـ ... ـمثيل والتجسيم ذا البطلان
وكلامكم فيه الشفاء وغاية التّـ ... ـحقيق يا عجبًا لذا الخذلان
جعلوا عقولهم أحق بأخذ ما ... فيها من الأخبار والقرآن

وكلامُهُ لا يستفاد به اليقيـ ـن لأجل ذا لا يفصل الخصمان
تحكيمه عند اختلافهما بل الـ ـمعقول ثمَّ المنطق اليوناني
أي التنقص بعد ذا لولا الوقا حة والجراءة يا أولي العدوان
يا من له عقل ونور قد غدا يمشي به في الناس كُلّ زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ في كُلّ وقت بينكم بأذان
الربّ ربٌّ والرّسول فعبده حقًّا وليس لنا إلٰه ثان
فلذاك لم نعبده مثل عبادة الرّ حمٰن فعل المشرك النصراني
كَلّا ولم نغل الغلوّ كما نهى عنه الرّسول مخافة الكفران[1]
للَّه حقٌّ لا يكون لغيره ولعبده حقٌّ هما حقّان
لا تجعلوا الحقين حقًّا واحدًا من غير تمييز ولا فرقان
فالحجّ للرّحمٰن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرُنا ويمينُنا وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكُّلّ والإنابة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرّحمٰن
وكذا العبادة واستعانتنا به إياك نعبد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والتـ ـهليل حقُّ إلٰهنا الدّيان
لكنّما التعزير والتوقير حَقٌّ للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقّان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تُجْمِلوها يا أولي العدوان
حق الإلٰه عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئًا هما سببا النجاة فحبّذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله الـ ـمقبول إذ هو صاحب البرهان
والأمر منه الحتم لا تخيير فيـ ـه عند ذي عقل وذي إيمان
من قال قولاً غيره قمنا على أقواله بالسّبْر والميزان

(١) يشير إلى قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله».
أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إن وافقت قول الرّسول وحكمه ... فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خالفت هذا رددناها على ... من قالها من كان من إنسان
أو أشكلت عنّا توقفنا ولم ... نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنا ... وبه ندين اللَّه كُلّ أوان
فهو المطاع وأمره العالي على ... أمر الورى وأوامر السّلطان
وهو المقدم في محبتنا على الـ ... أهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على النّـ ... ـفس التي قد ضمها الجنبان
ونظير هذا قول أعداء المسـ ... ـيح من النصارى عابدي الصلبان
أنا تنقصنا المسيح بقولنا ... عبد وذلك غاية النقصان
لو قلتم ولد إلٰه خالق ... وفّيتموه حقّه بوزان
وكذاك أشباه النصارى قد غلوا ... في دينهم بالجهل والطغيان
صاروا معادين الرّسول ودينه ... في صورة الأحباب والإخوان
فانْظُرْ إلى تبديلهم توحيده ... بالشرك والإيمان بالكفران
وانظر إلى تجريده التوحيد من ... أسباب كُلّ الشرك بالرّحمٰن
واجمع مقالتهم وما قد قاله ... واستدع بالنّقّاد والوزّان
عقل وفطرتك السليمة ثمَّ زن ... هذا وذا لا تَطْغَ في الميزان
فهناك تعلم أي حِزْبَيْنا هو الـ ... ـمتنقّص المنقوص ذو العدوان
رامي البريء بدائه ومصابه ... فعل المباهت أوقح الحيوان
كمُعيّرٍ للناس بالزّغَلِ[1] الذي ... هو ضربه فاعجب لذا البهتان
يا فرقة التنقيص بل يا أمة الدّ ... ـوى بلا علم ولا عرفان
واللَّه ما قدمتم يومًا مقا ... لته على التقليد للإنسان
واللَّه ما قال الشيوخ وقال إلا ... كنتم مَعَهُم بلا كتمان
واللَّه أغلاط الشيوخ لديكم ... أولى من المعصوم بالبرهان
وكذا قضيتم بالذي حكمت به ... جهلاً على الأخبار والقرآن
واللَّه إنهم لَدَيْكُم مثل معـ ... ـصومٍ وهذا غاية الطغيان

(١) الزغل هو الغش.

تَبًّا لكم ماذا التّنَقّص بعد ذا ... لو تعرفون العدل من نقصان
واللَّه ما يُرضيه جعلُكُم له ... ترسًا لِشِرْكِكُمُ وللعدوان
وكذاك جعلكم المشايخ جنّة ... بخلافة والقصد ذو تبيان
واللَّه يشهد ذا بِجَذْرِ قلوبكم ... وكذاك يشهده أولو الإيمان
واللَّه ما عظمتموه طاعة ... ومحبّة يا أمَّة العصيان
إني وجهلُكُم به وبدينه ... وخلافكم للوحي معلومان
أوصاكم أشياخُكُم بخلافهم ... لوفاقه في سالف الأزمان
خالفتم قول الشيوخ وقَوْلَهُ ... فغدا لكم خُلْفان متّفقان
واللَّه أمركم عجب معجب ... ضدان فيكم ليس يتّفقان
تقديم آراء الرجال عليه مع ... هذا الغلوّ فكيف يجتمعان
كَفّرتم من جَرّد التوحيد جَهْـ ... ـلاً منكم بحقائق الإيمان
لكن تجرّدتم لنصر الشرك والـ ... ـبِدَعِ المضلّة في رضا الشيطان
واللَّه لم نقصد سوى التجريد للتّـ ... ـوحيد ذاك وصية الرّحمٰن
ورضا رسول اللَّه منّا لا غلوّ ... الشرك أصل عبادة الأوثان
واللَّه لو يرضى الرّسول دعاءنا ... إيّاه بادرنا إلى الإذعان
واللَّه لو يرضى الرّسول سجودنا ... كنّا نخرّ له على الأذقان
واللَّه ما يرضيه منّا غير إخـ ... ـلاصٍ وتحكيمٍ لذا القرآن
ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه ... فعل النصارى عابدي الصلبان[1]
ولقد نهانا أن نُصَيِّرَ قبره ... عيدًا حذار الشرك بالرّحمٰن[2]
ودعا بألّا يُجْعَلَ القبر الذي ... قد ضمّه وَثَنًا من الأوثان[3]

---

(١) تقدم ذكره قبل قليل.

(٢) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه برقم (٢٠٤٢) وأحمد في المسند (٢/ ٣٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».
والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود برقم (١٧٩٦).

(٣) يشير إلى ما أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٦) بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

فأجاب ربُّ العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان
ولقد غدا عند الوفاة مصرّحًا باللعن يصرخ فيهم بأذان
وعنى الأُلى جعلوا القبور مساجدًا وَهُمُ اليهود وعابدو الصّلبان
والله لولا ذاك أُبْرِزَ قَبْرُه لكنّهم حجبوه بالحيطان
قصدوا إلى تسنيم حجرته ليمـ تنع السجود له على الأذقان
قصدوا موافقة الرّسول وقصده التّـ جريد للتوحيد للرّحمٰن
يا فرقة جهلت نصوص نبيّهم وقُصُودَهُ وحقيقة الإيمان
فَسَطَوْا على أتباعه وجنوده بالبغي والعدوان والبهتان
لا تعجلوا وتبيّنوا وتثبّتوا فمُصابكم ما فيه من جبران
قلنا الذي قال الأئمة قبلنا وبه النّصوص أتت على التّبيان
القصد حج البيت وهو فريضة الرّ حمٰن واجبة على الأعيان
ورحالنا شدت إليه من بقا ع الأرض قاصيها كذاك الداني
من لم يزر بيت الإلٰه فما له من حَجِّه سهم ولا سهمان
وكذا نشد رحالنا للمسجد النّـ بوي خيرَ مساجد البلدان
من بعد مكة أو على الإطلاق فيـ ه الخُلْفُ منذ زمان
ونراه عند النذر فرضًا لكن النّـ عمان يأبى ذا وللنّعمان
أصل هو النافي الوجوب فإنّه ما جنسه فرضًا على إنسان
ولنا براهين تدلّ بأنه بالنذر مفترض على الإنسان
أمر الرّسول لكُلّ ناذر طاعة بوفائه بالنذر بالإحسان
وصلاتنا فيه بألف من سوا ه ما خلا ذا الحجر والأركان
وكذا صلاة في قُبَا فكعمرة في أجرها والفضل للمنّان
فإذا أتينا المسجد النبوي صلّ ينا التحيّة أَوّلاً ثنتان
بتمام أركان لها وخشوعها وحضور قلب فعل ذي الإحسان
ثمَّ انْثَنَيْنا للزيارة نقصد الـ قَبْر الشّريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذلّل في السر والإعلان

فكأنه في القبر حيّ ناطق ... فالواقفون نواكس الأذقان
ملكتهم تلك المهابة فاعترت ... تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجّرت تلك العيون بمائها ... ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المُسَلّم بالسَّلام بهَيْبَةٍ ... ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه ... كَلّا ولم يسجد على الأذقان
كَلّا ولم يُرَ طائفًا بالقبر أسـ ... ـبوعًا كأن القبر بَيْتٌ ثان
من انثنى بدعائه متوجّهًا ... للَّه نحو البيت ذي الأركان
هذي زيارة من غدا متمسّكًا ... لشريعة الإسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزّيا ... رة وهي يوم الحشر في الميزان
لا تلبسوا الحقّ الذي جاءت به ... سنن الرّسول بأعظم البطلان
هذي زيارتنا ولم ننكر سوى الـ ... ـبدع المضلة يا أولي العدوان
وحديث شد الرّحْلِ نصٌّ ثابت ... يجب المصير إليه بالبرهان[1]

فصل
في تعيّن أن اتباع السُّنَّن والقُرآن طريقًا للنجاة من النيران

يا من يريد نجاته يوم الحسا ... ب من الحميم وموقد النيران
اتْبَعْ رسول اللَّه في الأقوال والـ ... أعمال لا تخرج عن القرآن
وخذ الصحيحين اللذين هما لِعِقْـ ... ـدِ الدِّين والإيمان واسطتان
واقرأهما بعد التجرد من هوى ... وتعصّب وحمية الشيطان
واجعلهما حكمًا ولا تحكم على ... ما فيهما أصلًا بقول فلان
واجعل مقالته كبعض مقالة الـ ... أشياخ تنصرهما بكُلّ أوان
وانصر مقالته كنصرك للذي ... قلّدْتَه من غير ما برهان
قدّر رسول اللَّه عندك وحده ... والقول منه إليك ذو تبيان

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١١٨٩) ومسلم في صحيحه برقم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى».

ماذا ترى فرضًا عَلَيْك معيّنًا ... إن كنت ذا عقل وذا إيمان
عَرْضَ الذي قالوا على أقواله ... أو عكس ذاك فذانك الأمران
هي مفرق الطّرقات بين طريقنا ... وطريق أهل الزيغ والعدوان
قدّر مقالات العباد جميعهم ... عدمًا وراجع مطلع الإيمان
واجعل جلوسك بين صحب محمد ... وتلقّ معهم عنه بالإحسان
وتلقّ عنهم ما تلقّوْه هُمُ ... عنه من الإيمان والعرفان
أفليس في هذا بلاغ مسافر ... ببغي الإلٰه وجنّة الحيوان
لولا التناوش بين هذا الخلق ما ... كان التفرق قط في الحسبان
فالربّ ربٌّ واحد وكتابه ... حق وفهم الحقّ منه دان
ورسوله قد أوضح الحقّ المبيـ ... ـن بغاية الإيضاح والتّبْيان
ما ثمَّ أوضح من عبارته فلا ... يحتاج سامعهما إلى تبيان
والنصح منه فوق كُلّ نصيحة ... والعلم مأخوذ عن الرّحمٰن
فلأي شيء يعدل الباغي الهدى ... عن قوله لولا عمى الخذلان
فالنقل عنه مصدّق والقول من ... ذي عصمة ما عندنا قولان
والعكس عند سواه في الأمرين يا ... من يهتدي هل يستوي القولان
تاللَّه قد لاح الصباح لمن له ... عينان نحو الفجر ناظرتان
وأخو العماية في عمايته يقو ... ل الليل بعد أيستوي الرجلان
تاللَّه قد رفعت لك الأعلام إن ... كنت الممشمّر نلت دار أمان
وإذا جبنت وكنت كسلانًا فما ... حُرِمَ الوصول إليه غير جبان
فاقْدِمْ وَعِدْ بالوصل نفسك واهْجُر الـ ... ـمَقْطوع عَنْه قاطع الإنسان
عن نيل مقصده فذاك عدوّه ... ولو أنه منه القريب الداني

فصل
في تيسير السير إلى اللَّه
على المثبتين الموحدين
وامتناعه على المُعَطّلين والمشركين

يـا قـاعـدًا سـارت بـه أنـفـاسـه ... سَـيْـرَ الـبـريـد ولـيـس بـالـذّمـلان
حـتـى مـتـى هـذا الـرقـاد وقـد سـرى ... وفـد الـمـحـبـة مـع أُولـي الإحـسـان؟
وحـدت بـهـم عـزمـاتـهـم نـحـو الـعـلـى ... لا حـادي الـركـبـان والأظـعـان
ركـبـوا الـعـزائـم واعـتـلوا بـظـهـورهـا ... وَسَـرَوْا فـمـا حـلّوا إلـى نـعـمـان
سـاروا رويـدًا ثـمَّ جـاءوا أوَّلاً ... سَـيْـرَ الـدلـيـل يـؤم بـالـركـبـان
ساروا بإثبات الصفات إليه لا التـ ... ـعـطـيـل والـتـحـريـف والـنـكـران
عـرفـوه بـالأوصـاف فـامـتـلأت قُـلُو ... بُـهُـمُ لـه بـالـحـب والإيـمـان
فـتـطـايـرت تـلك الـقـلوب إلـيـه بـالـ ... ـأشـواق إذ مـلئـت مـن الـعـرفـان
وأشـدهـم حـبًّـا لـه أدراهـم ... بـصـفـاتـه وحـقـائـق الـقـرآن
فـالـحـب يـتـبـع لـلشـعـور بِـقَـدْرِه ... يـقـوى ويـضـعـف ذاك ذو تـبـيـان
ولـذاك كـان الـعـارفـون صـفـاتـه ... أحـبـابَـهُ هـم أهـل هـذا الـشـان
ولـذاك كـان الـعـالـمـون بـربـهـم ... أحـبـابـه وبـشـرعـة الإيـمـان
ولـذاك كـان الـمـنـكـرون لـهـا هـم الـ ... ـأعـداء حـقًّـا هـم أولـو الـشّـنـآن
ولـذاك كـان الـجـاهـلون بـذا وذا ... بُـغَـضَـاءَهُ حـقًّـا ذوي شـنـآن
وحـيـاة قـلـب الـعـبـد فـي شـيـئـيـن مـن ... يـرزقـهـمـا يَـحْـيَـا مـدى الأزمـان
فـي هـذه الـدنـيـا وفـي الأخـرى يـكـو ... ن الـحـيّ ذا الـرضـوان والإحـسـان
ذكـر الإلٰـه وحـبـه مـن غـيـر إشـ ... ـراك بـه وَهُـمـا فَـمُـمْـتَـنِـعـان
مـن صـاحـب الـتـعـطـيـل حـقًّـا كـامـتـنـا ... ع الـطـائـر الـمـقـصـوص مـن طـيـران
أَيُـحـبُّـه مـن كـان يـنـكـر وصـفـه ... وعـلـوّه وكـلامَـهُ بـقـران
لا والَّذي حـقًّـا عـلى الـعـرش اسـتـوى ... مـتـكـلّمًـا بـالـوحـي والـفـرقـان
الـلَّه أكـبـر ذاك فـضـل الـلَّه يـؤ ... تـيـه لـمـن يـرضـى بـلا حـسـبـان

وترى المُخَلّف في الديار تقول ذا ... إحدى الأثافي[1] خُصّ بالحرمان
اللَّه أكبر ذاك عدل الله يَقْـ ... ـضيه على من شاء من إنسان
وله على هذا وهذا الحمد في الـ ... أولى وفي الأخرى هما حَمْدان
حمدٌ لذات الربّ جلّ جلاله ... وكذاك حمد العدل والإحسان
يا من تَعِزّ عليهم أرواحُهُم ... ويرون غَبْنًا بيعها بهوان
ويرون خسرانًا مبينًا بيعها ... في إثر كُلّ قبيحة ومهان
ويرون ميدان التّسابق بارزًا ... أفيتركون تقحّم الميدان
ويرون أنفاس العباد عليهم ... قد أحصيت بالعدّ والحُسْبان
ويرون أن أمامهم يوم اللقا ... للَّه مسألتان شاملتان
ماذا عبدتم ثمَّ ماذا قد أجبـ ... ـتم من أتى بالحق والبرهان
هاتوا جوابًا للسؤال وهيئوا ... أَيضًا صوابًا للجواب يُداني
وتيقنوا أن ليس ينجيكم سوى ... تجريدكم لحقائق الإيمان
تجريدكم توحيده سبحانه ... عن شركة الشيطان والأوثان
وكذاك تجريد اتّباع رسوله ... عن هذه الآراء والأهذيان
واللَّه ما ينجي الفتى من ربه ... شيء سوى هذا بلا روغان
يا ربِّ جرّد عبدك المسكين را ... جي الفضل منك أُضَيْعِفَ العُبْدان
لم تنسه وَذَكَرْته فاجعله لا ... ينساك أنت بدأت بالإحسان
وبه ختمت فكنت أولى بالجميـ ... ـل وبالثناء من الجهول الجاني
فالعبد ليس يضيع بين فَواتحٍ ... وخَواتمٍ من فضل ذي الغفران
أنت العليم به وقد أنشأته ... من تربة هي أضعف الأركان
كُلٌّ عليها قد علا وهوت إلى ... تحت الجميع بذلة وهوان
وعلت عليها النَّار حتى ظن أن ... يَعْلُو عليها الخلق من نيران
وأتى إلى الأبوين ظَنًّا أنه ... سيصيّر الأبوين تحت دخان
فسعت إلى الأبوين رحمتك التي ... وسعتهما فَعَلَا بك الأبوان

---

(١) وهي الأحجار التي توضع عليها القدر.

هـذا ونـحـن بـنـوهـمـا وحُـلُومُـنـا ... فـي جـنـب حـلمـهـمـا لـدى الـمـيـزان
جـزء يـسـيـر والـعَـدُوّ فـواحـدٌ ... لـهـمـا وأعـدانـا بـلا حـسـبـان
والضعف مستول علينا في جميـ ... ـع جـهـاتـنـا سـيـمـا مـن الإيـمـان
يـا ربِّ مـعـذرةً إلـيـك فـلم يـكـن ... قـصـد الـعـبـاد ركـوب ذا الـعـصـيان
لـكـن نـفـوس سَـوّلَتْـه وغـرَّهـا ... هـذا الـعـدو لـهـا غُـرور أمـانـي
فـتـيـقّـنـت يـا ربِّ أنـك واسـع الـ ... ـغـفـران ذو فـضـل وذو إحـسـان
ومـقـالـنـا مـا قـالـه الأبـوان قـبـ ... ـل مـقـالـة الـعـبـد الـظـلوم الـجـانـي
نحن الأُلى ظلموا وإن لم تغفر الذ ... نـب الـعـظـيـم فـنـحـن ذو خـسـران
يا ربِّ فانصرنا على الشيطان ليـ ... ـس لـنـا بـه لـولا حـمـاك يـدان

فصل
في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه إلّا على من ليس بذي عينين

والـفـرق بـيـنـكـم وبـيـن خـصـومـكـم ... مـن كُـلّ وجـه ثـابـت بـبـيـان
مـا أنـتـم مـنـهـم ولا هـم مـنـكـم ... شـتّـان بـيـن الـسّـعـد والـدّبـران
فـإذا دعـونـا لـلـقـران دعـوتـم ... لـلـرأي أيـن الـرأي مـن قـرآن
وإذا دعـونـا لـلـحـديـث دعـوتـم ... أنـتـم إلـى تـقـلـيـد قـول فـلان
وكـذا تـلـقـيـنـا نـصـوص نـبـيّـنـا ... بـقـبـولـهـا بـالـحـق والإذعـان
مـن غـيـر تـحـريـف ولا جـحـد ولا ... تـفـويـض ذي جـهـل بـلا عـرفـان
لـكـن بـإعـراض وتـجـهـيـل وتـأ ... ويـل تـلـقّـيْـتـم مـع الـنـكـران
أنـكـرتـمـوهـا جـهـدكـم فـإذا أتـى ... مـا لا سـبـيـل لـه إلـى نـكـران
أعـرضـتـم عـنـه ولـم تَـسْـتَـنْـبِـطـوا ... مـنـه هُـدًى لـحـقـائـق الإيـمـان
فـإذا ابـتـلـيـتـم مـكـرهـيـن بـسـمـعـهـا ... فـوّضْـتُـمـوهـا لا عـلـى الـعـرفـان
لـكـن بـجـهـل لـلـذي سـيـقـت لـه ... تـفـويـض إعـراض وجَـهْـلِ مـعـان
فـإذا ابـتـلـيـتـم بـاحـتـجـاج خـصـومِـكُـم ... أولـيـتُـمُـوهـا دفـع ذي صـولان
فـالـجـحـد والإعـراض والـتـفـويـض والـتـ ... ـأويـل حـظّ الـنّـص عـنـد الـجـانـي

لكن لدينا حظّه التسليم مع حسن القبول وفهم ذي الإحسان

فصل
في التفاوت بين حظ المثبتين والمُعَطّلين من وحي ربِّ العالمين

ولنا الحقيقة من كلام إلٰهنا ونصيبكم منه المجاز الثاني
وقواطع الوحيين شاهدة لنا وعَلَيْكم هل يستوي الأمران
وأدلة المعقول شاهدة لنا أَيضًا فقاضونا إلى البرهان
وكذاك فطرة ربنا الرّحمٰن شا هدة لنا أَيضًا شهود بيان
وكذاك إجماع الصحابة والأُلٰى تبعوهم بالعلم والإحسان
وكذاك إجماع الأئمة بعدهم هذا كلامهم بكُلّ مكان
هذي الشهود فهل لديكم أنتم من شاهد بالنّفي والنّكران
وجنودنا من قد تقدم ذكرهم وجنودكم فعساكر الشيطان
وخيامنا مضروبة بمشاعر الـ ـوَحْيَيْن من خبر ومن قرآن
وخيامكم مضروبة بالتيه فالسُّـ ـكّان كُلّ مللدّد حيران
هذه شهادتهم على محصولهم عند الممات وقولهم بلسان
واللَّه يشهد أنهم أَيضًا كذا تكفي شهادة ربنا الرّحمٰن
ولنا المساند والصحاح وهذه السُّـ ـنن التي نابت عن القرآن
ولكم تصانيف الكلام وهذه الـ آراء وهي كثيرة الهذيان
شُبَهٌ يُكَسّرُ بعضها بعضًا كَبَيْـ ـتٍ من زجاج خرّ للأركان
هل ثمَّ شيء غير رأي أو كلا م باطل أو منطق اليونان
ونقول قال اللَّه قال رسوله في كُلّ تصنيف وكُلّ مكان
لكن تقولوا قال آرسطو وقا ل ابن الخطيب وقال ذو العرفان
شيخ لكم يدعى ابن سينا لم يكن متقيدًا بالدِّين والإيمان
وخيار ما تأتون قال الأشعري وتشهدون عليه بالبهتان
فالأشعري مقرّرٌ لعلو ربِّ العرش فوق جميع ذي الأكوان

في غاية التقرير بالمعقول والـ ـمنقول ثمَّ بفطرة الرّحمٰن
هذا ونحن فتاركو الآراء للنّـ ـقل الصحيح ومحكم الفرقان
لكنكم بالعكس قد صَرّحْتُمُ وَوَضَعْتُمُ القانون ذا البهتان
والنفي عندكم على التفصيل والـ إثبات إجمالاً بلا نكران
والمثبتون طريقهم نفي على الـ إجمال والتفصيل بالتّبْيان
فتدبروا القُرآن مع من منكما وشهادة المبعوث بالقرآن
وعرضتم قول الرّسول على الذي قال الشيوخ ومحكم الفرقان
فالمحكم النّصّ الموافق قولهم لا يقبل التأويل في الأذهان
لكنّما النص المخالف قولهم متشابه متأول بمعان
وإذا تأدبتم تقولوا مشكل أفواضح يا قوم رأي فلان
واللَّه لو كان الموافق لم يكن متشابهًا متأولاً بلسان
لكن عرضنا نحن أقوال الشيو خ على الذي جاءت به الوحيان
ما خالف النّصّين لم نعبأ به شيئًا وقلنا حسبنا النّصّان
والمشكِلُ القول المخالف عندنا في غاية الإشكال لا التبيان
والعزل والإبقاء مرجعه إلى الـ آراء عندكم بلا كتمان
لكن لدينا ذاك مرجعه إلى قول الرّسول ومحكم القرآن
والكفر والإسلام عين خلافه ووفاقه لا غير بالبرهان
والكفر عندكم خلاف شيوخكم ووفاقهم فحقيقة الإيمان
هذي سبيلكم وتلك سبيلنا والموعد الرّحمٰن بعد زمان
وهناك يعلم أي حزبينا على الـ حق الصريح وفطرة الديان
فاصبر قليلاً إنما هي ساعة وإذا أُصِبْتَ ففي رضا الرّحمٰن
فالقوم مِثْلُكَ يألمون ويصبرو ن وصبرهم في طاعة الشيطان

فصل
في بيان الاستغناء بالوحي المنزل
من السماء عن تقليد الرجال والآراء

يا طالب الحق المبين ومؤثرًا علم اليقين وصحة الإيمان

اسمع مقالة ناصح خبر الذي ... عند الورى مُذْ شَبّ حتى الآن
ما زال مُذْ عَقَدَتْ يداه إزاره ... قد شَدّ مئزره إلى الرّحمٰن
وتخلُّلُ الفترات للعزمات أَمْـ ... ـرٌ لازمٌ لطبيعة الإنسان
وتولد النقصان من فتراته ... أو ليس سائرنا بني النقصان
طاف المذاهب يبتغي نورًا لِيَهْـ ... ـدِيَهُ وينجيه من النيران
وكأنه قد طاف يَبْغي ظلمة اللّـ ... ـيْل البهيم ومذهب الحيران
والليل لا يزداد إلّا قوة ... والصبح مقهور بذي السّلطان
حتى بدت في سيره نارٌ على ... طور المدينة مطلع الإيمان
فأتى لِيَقْبِسَها فلم يمكنه مع ... تلك القيود منالُها بأمان
لولا تداركه الإلٰه بلطفه ... وَلّى على العقبين ذا نكصان
لكن توقّفَ خاضعًا متذللاً ... مستشعر الإفلاس من أثمان
فأتاه جند حل عنه قُيُودَه ... فامتدّ حينئذ له الباعان
واللَّه لولا أن تُحَلّ قُيُودُهُ ... وتزول عنه ربقة الشيطان
كان الرُّقِيُّ إلى الثريا مُصْعِدًا ... من دون تلك النار في الإمكان
فرأى بتلك النار آطام المدي ... نة كالخيام تشوفها العينان
ورأى على طرقاتها الأعلام قد ... نُصِبَت لأجل السالك الحيران
ورأى هنالك كُلّ هاد مهتد ... يدعو إلى الإيمان والإيقان
فهناك هنأ نفسه مُتَذَكّرًا ... ما قاله المشتاق منذ زمان
والمستهام على المحبة لم يزل ... حاشا لذكراكم من النسيان
لو قيل ما تهوى لقال مبادرًا ... أهوى زيارتكم على الأجفان
تاللَّه إن سمح الزمان بقربكم ... وحللت منكم بالمحلّ الداني
لأُعَفِّرَنّ الخد شكرًا في الثرى ... ولأكحلن بتُرْبِكُم أجفاني
إن رمت تبصر ما ذكرت فَغُضّ طر ... فًا عن سوى الآثار والقرآن
واترك رسوم الخلق لا تعبأ بها ... في السّعد ما يغنيك عن دبران
حدّق بقلبك في النّصوص كمثل ما ... قد حَدّقوا في الرأي طول زمان
واكْحَل جفون القلب بالوحيين واحـ ... ـذر كُحْلَهم يا كثرة العُمْيان

فالله بيّن فيهما طُرُقَ الهدى ... لعباده في أحسن التّبْيان
لم يُحْوِجِ اللّه الخلائق معهما ... لخيال فَلْتان ورأي فلان
فالوحي كاف للّذي يُعْنى به ... شاف لداء جهالة الإنسان
وتفاوت العلماء في أفهامهم ... للوحي فوق تفاوت الأبدان
والجهل داء قاتل وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقان
نص من القُرآن أو من سنّة ... وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحقّ ذو تبيان
علم بأوصاف الإلٰه وفعله ... وكذلك الأسماء للرّحمٰن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكُلّ في القُرآن والسُّنن التي ... جاءت عن المبعوث بالقرآن
والله ما قال امرؤ مُتَحَذْلِقٌ ... بسواهما إلّا من الهذيان
ان قلتم تقريره فمقرر ... بأتم تقرير من الرّحمٰن
أو قلتم إيضاحه فمبيّنٌ ... بأتمّ إيضاح وخير بيان
أو قلتم إيجازه فهو الذي ... في غاية الايجاز والتّبْيان
أو قلتم معناه هذا فاقصدوا ... معنى الخطاب بعينه وعيان
أو قلتم نحن التراجم[1] فاقصدوا المـ ... ـعنى بلا شَطَطٍ ولا نقصان
أو قلتم بخلافه فكلامكم ... في غاية الإنكار والبطلان
أو قلتم قسنا عليه نظيره ... فقياسكم نوعان مختلفان
نوع يخالف نصّه فهو المحا ... ل وذاك عند اللّه ذو بطلان
وكلامنا فيه وليس كلامنا ... في غيره أعني القياس الثاني
ما لا يخالف نصه فالناس قد ... عملوا به في سائر الأزمان
لكنّه عند الضرورة لا يُصا ... ر إليه إلّا بعد ذا الفقدان
هذا جواب الشافعي لأحمد ... للّه دَرُّكَ من إمام زمان
والله ما اضطر العباد إليه فيـ ... ـما بينهم من حادث بزمان

(١) التراجم جمع الترجمان أي المفسّر.

فإذا رأيت النص عنه ساكتا ... فسكوته عَفْوٌ من الرّحمٰن
وهو المباح إباحة العفو الذي ... ما فيه من حرج ولا نكران
فأضف إلى هذا عموم اللفظ والـ ... ـمعنى وحسن الفهم في القرآن
فهناك تصبح في غنى وكفاية ... عن كُلّ ذي رأي وذي حسبان
ومقدّرات الذهن لم يضمن لنا ... تبيانها بالنص والقرآن
وهي التي فيها اعتراك الرأي من ... تحت العجاج وجولة الأذهان
لكن هنا أمران لو تمّا لما احْـ ... ـتَجْنا إليه فحبّذا الأمران
جمع النّصوص وفهم معناها المرا ... د بلفظها والفهم مرتبتان
إحداهما مدلول ذاك اللفظ وَضْـ ... ـعًا أو لزومًا ثمَّ هذا الثاني
فيه تفاوتت الفهوم تفاوتًا ... لم ينضبط أبدًا له طرفان
فالشيء يلزمه لوازم جَمّة ... عند الخبير به وذي العرفان
فبقدر ذاك الخبر يحصي من لوا ... زمه وهذا واضح التبيان
ولذاك من عرف الكتاب حقيقة ... عرف الوجود جميعه ببيان
وكذاك يعرف جملة الشرع الذي ... يحتاجه الإنسان كُلّ زمان
علمًا بتفصيل وعلمًا مُجْمَلاً ... تفصيله أَيضًا بوحي ثان
وكلاهما وحيان قد ضمنا لنا ... أعلى العلوم بغاية التّبيان
وكذاك يعرف من صفات اللّه والـ ... أفعال والأسماء ذي الإحسان
ما ليس يعرف من كتاب غيره ... أبدًا ولا ما قالت الثّقلان
وكذاك يعرف من صفات البعث بالتـ ... ـفصيل والإجمال في القرآن
ما يجعل اليوم العظيم مشاهدًا ... بالقلب كالمشهود رأي عيان
وكذاك مَنْ يعرف حقيقة نفسه ... وصفاتها بحقيقة العرفان
يعرف لوازمها ويعرف كونها ... مخلوقةً مربوبةً ببيان
وكذاك يعرف ما الذي فيها من الـ ... ـحاجات والإعدام والنقصان
وكذاك يعرف ربه وصفاته ... أَيضًا بلا مثل ولا نقصان
وهنا ثلاثة أوجه فافطن لها ... إن كنت ذا علم وذا عرفان
بالضد والاولى كذا بالامتنا ... ع لعلمنا بالنفس والرّحمٰن

فالضد معرفة الإلٰه بضد ما في النفس من عيب ومن نقصان
وحقيقة الأولى ثبوت كماله إذ كان معطيه على الإحسان

فصل
في بيان شرط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

وكفاية النصين مشروط بِتَجْـ ـريد التّلَقّي عنهما لمعان
وكذاك مشروط بخلع قيودهم فقيودهم غلّ إلى الأَذْقان
وكذاك مشروط بهدم قواعدٍ ما أُنْزِلت ببيانها الوحيان
وكذاك مشروط بإقدامٍ على الـ ـآراء إن عريت عن البرهان
بالرد والإبطال لا تعبأ بها شيئًا إذا ما فاتها النّصّان
لولا القواعد والقيود وهذه الـ ـآراء لاتّسعت عرى الإيمان
لكنّها واللَّه ضيّقت العُرى فاحتاجت الأيدي لذاك ثواني
وتعطّلت من أجلها واللَّه أعـ ـداءٌ من النصّين ذات بيان
وتضمّنت تقييد مطلقها وإطـ ـلاق المقيّد وهو ذو ميزان
وتضمّنت تخصيص ما عمّته والتّـ ـعميم للمخصوص بالأعيان
وتضمّنت تفريق ما جمعت وجَمْـ ـعًا للذي وَسَمَتْه بالفرقان
وتضمّنت تضييق ما قد وسَّعَتْـ ـه وعكسه فليُنْظَر الأمران
وتضمّنت تحليل ما قد حَرّمَتْـ ـه وعكسه فلينظر النوعان
سكتت وكان سكوتها عفوًا فلم تعف القواعد باتّساع بطان
وتضمّنت إهدار ما اعتبرت كذا بالعكس والأمران محذوران
وتضمّنت أَيضًا شروطًا لم تكن مشروطة شرعًا بلا برهان
وتضمّنت أَيضًا موانع لم تكن ممنوعة شرعًا بلا تبيان
إلّا بأَقْيِسَةٍ وآراءٍ وتقـ ـليد بلا علم أو استحسان
عمن أتت هذي القواعد من جميـ ـع الصّحب والأتباع بالإحسان
ما أسّسوا إلّا اتّباع نبيّهم لا عقل فلتان ورأي فلان
بل أنكروا الآراء نُصْحًا منهم للَّه والداعي وللقرآن

أو ليس في خُلْفٍ بها وتناقض ... ما دلّ ذا لبٍّ وذا عرفان
واللَّه لو كانت من الرّحمٰن ما اخـ ... ـتلفت ولا انتقضت مدى الأزمان
شُبَهٌ تهافت كالزجاج تخالها ... حقًّا وقد سقطت على صفوان
واللَّه لا يرضى بها ذو همة ... عليا طالبة لهذا الشان
فمثالها واللَّه في قلب الفتى ... ونباتها في منبت الإيمان
كالزرع ينبت حوله دَغَلٌ فَيَمْـ ... ـنَعُهُ النّما فتراه ذا نقصان
وكذلك الإيمان في قلب الفتى ... غرس من الرّحمٰن في الإنسان
والنفس تنبت حوله الشهوات والشـ ... ـبهات وهي كثيرة الأفنان
فيعود ذاك الغرس يَبْسًا ذاويًا ... أو ناقص الثمرات كُلّ أوان
فتراه يحرث دائبًا وَمَغَلُّهُ ... نَزْرٌ وذا من أعظم الخسران
واللَّه لو نقّى النبات وكان ذا ... بصر لذاك الشّوك والسعدان
لأتى كأمثال الجبال مَغَلُّهُ ... ولكان أضعافًا بلا حسبان

فصل

هذا وليس الطعن بالإطلاق فيـ ... ـها كُلّها فعل الجهول الجاني
بل في التي قد خالفت قول الرسو ... ل ومحكم الإيمان والفرقان
أو في التي ما أنزل الرّحمٰن في ... تقريرها يا قوم من سلطان
فهي التي كم عطّلت من سنة ... بل عطّلت من محكم القرآن
هذا ونرجو أن واضعها فلا ... يعدوه أجر أو له أجران
إذ قال مبلغ علمه من غير إيـ ... ـجاب القبول له على إنسان
بل قد نهانا عن قبول كلامه ... نصًّا بتقليد بلا برهان
وكذاك أوصانا بتقديم النصو ... ص عليه من خَبَر ومن قرآن
نصح العباد بذا وخلّص نفسه ... عند السؤال لها من الديان
والخوف كُلّ الخوف فهو على الذي ... ترك النّصوص لأجل قول فلان
وإذا بغى الإحسان أوَّلَها بما ... لو قاله خَصْمٌ له ذو شان
لرماه بالداء العضال مناديًا ... بفساد ما قد قاله بأذان

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟

ولـوازم الـمـعـنـى تُـرادُ بـذكـره ... مـن عـارف بـلزومـهـا الـحـقّـانـي
وسـواه لـيـس بـلازم فـي حـقّـه ... قـصـد الـلّوازِم وهـي ذات بـيـان
إذ قد يكون لزومها المجهول أو ... قـد كـان يَـعْـلَـمُـهُ بـلا نـكـران
لـكـن عَـرَتْـهُ غـفـلةٌ بـلزومـهـا ... إذ كـان ذا سـهـوًا وذا نـسـيـان
ولـذاك لـم يـك لازمٌ لـمـذاهـب الـ ... ـعـلمـاء مـذهـبـهـم بـلا بـرهـان
فـالـمـقـدمـون عـلى حـكـايـة ذاك مـذ ... هـبـهـم أولـو جـهـل مـع الـعـدوان
لا فـرق بـيـن ظـهـوره وخـفـائـه ... قـد يـذهـلون عـن الـلزوم الـدانـي
سـيَـمَـا إذا مـا كـان لـيـس بـلازم ... لـكـن يـظـن لـزومـه بـجـنـان
لا تـشـهـدوا بـالـزور وَيْـلَكُـمُ عـلى ... مـا تـلزمـون شـهـادة الـبـهـتـان
بـخـلاف لازم مـا يـقـول إلٰـهـنـا ... ونـبـيّـنـا الـمـعـصـوم بـالـبـرهـان
فـلذا دلالات الـنّـصـوص جـليّـة ... وخـفـيّـة تـخـفـى عـلى الأذهـان
والـلَّه يـرزق مـن يـشـاء الـفـهـم فـي ... آيـاتـه رزقًـا بـلا حـسـبـان
واحـذر حـكـايـات لأربـاب الـكـلا ... م عـن الـخـصـوم كـثـيـرة الـهـذيـان
فَـحَـكَـوْا بـمـا ظـنّـوه يـلزمـهـم فـقـا ... لـوا ذاك مـذهـبـهـم بـلا بـرهـان
كـذبـوا عـليـهـم بـاهـتـيـن لـهـم بـمـا ... ظـنـوه يـلزمـهـم مـن الـبـهـتـان
فـحكى الـمُعَطّل عن ذوي الإثبات قو ... لـهـم بـأن الـلَّه ذو جـثـمـان
وحـكـى الـمُـعَـطّـل أنـهـم قـالـوا بـأنّ ... الـلَّه لـيـس يـرى لـنـا بـعـيـان
وحـكـى الـمُعَطّل أنـهـم قـالـوا يـجـو ... ز كـلامـه مـن غـيـر قـصـد مـعـان
وحـكـى الـمُعَطّل أنـهـم قـالـوا بـتـحـ ... ـيـيـز الإلٰـه وحـصـره بـمـكـان
وحـكـى الـمُعَطّل أنـهـم قـالـوا لـه الـ ... أعـضـاء جـلّ الـلَّه عـن بـهـتـان
وحـكـى الـمُعَطّل أن مذهبهم هو التـ ... ـشـبـيـه لـلـخـلّاق بـالإنـسـان
وحـكـى الـمُعَطّل عنهم ما لـم يـقـو ... لـوه ولا أشـيـاخـهـم بـلسـان
ظـن الـمُـعَـطّـل أن هـذا لازم ... فـلذا أتـى بـالـزور والـعـدوان
فـعـلـيـه فـي هـذا مـحـاذيـر ثـلا ... ث كـلـهـا مـتـحـقّـق الـبُـطْـلان

ظـنّ الـلزوم وقـذفُـهُـم بـلزومـه ... وتـمـام ذاك شـهـادة الـكـفـران
يـا شاهـدًا بـالـزور ويـلك لـم تـخف ... يـوم الـشـهـادة سـطـوة الـديـان
يـا قـائـل الـبـهـتـان غـطّ لـوازمًـا ... قـرّرت مـلزومـاتـهـا بـبـيـان
والـلَّه لازمـهـا انـتـفـاء الـذات والـ ... أوصـاف والأفـعـال لـلرّحـمٰـن
والـلَّه لازمـهـا انـتـفـاء الـدِّيـن والـ ... قـرآن والإسـلام والإيـمـان
ولـزوم ذلـك بـيّـنٌ جـدًّا لـمـن ... كـانـت لـه أذنـان واعـيـتـان
والـلَّه لـولا ضـيـق هـذا الـنـظـم بَـيّـ ... ـنْـتُ الـلزوم بـأوضـح الـتـبـيـان
ولـقـد تـقـدم مـنـه مـا يـكـفـي لـمـن ... كـانـت لـه عـيـنـان نـاظـرتـان
إن الـلبـيـب بـبـعـض ذلـك يـكـتـفـي ... وأخـو الـبـلادة سـاكـن الـجَـبّـان
يـا قـومـنـا اعـتـبـروا بـجـهـل شـيـوخـكـم ... بـحـقـائـق الإيـمـان والـقـرآن
أو مـا سـمـعـتـم قـول أفـضـل وقـتـه ... فـيـكـم مـقـالـة جـاهـل فـتّـان
إنّ الـسـمٰـوات الـعـلى والأرض قـبـ ... ـل الـعـرش بـالإجـمـاع مـخـلـوقـان
والـلَّه مـا هـذي مـقـالـة عـالـم ... فَـضْـلاً عـن الإجـمـاع كُـلّ زمـان
مـن قـال ذا قـد خـالـف الإجـمـاع والـ ... ـخـبـر الـصـحـيـح وظـاهـر الـقـرآن
فـانْـظُـرْ إلـى مـا جـره تـأويـل لـفـ ... ـظ الاسـتـواء بـظـاهـر الـبـطـلان
زعـم الـمُـعَـطّـل أن تـأويـل اسـتـوى ... بـالـخـلق والإقـبـال وضـع لـسـان
كـذب الـمُـعَـطّـل لـيـس ذا لـغـة الأُلـى ... قـد خـوطـبـوا بـالـوحـي والـقـرآن
فـأصـاره هـذا إلـى أن قـال خـلـ ... ـق الـعـرش بـعـد جـمـيـع ذي الأكـوان
يـهـنـيـه تـكـذيـب الـرّسـول لـه وإجـ ... ـمـاع الـهـداة ومـحـكـم الـقـرآن

فصل

في الرد عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم إلى أهل الجهل والتفريط والبدعة والكفران

ومـن الـعـجـائـب أنـكـم كـفّـرتـم ... أهـل الـحـديـث وشـيـعـة الـقـرآن
إذ خـالـفـوا رأيًـا لـه رأي يُـنـا ... قِـضُـه لأجـل الـنـص والـبـرهـان
وجـعـلتـم الـتّـكـفـيـر عـيـن خـلافـكـم ... ووفـاقـكـم فـحـقـيـقـة الإيـمـان

فوفاقكم وخلافكم ميزان ديـ ـن اللَّه لا من جاء بالقرآن
ميزانُكُم ميزان باغ جاهل والعَوْل كُلّ العَوْل في الميزان
أَهْوِن به ميزان جور عائل بيد المطفّف ويلَ ذا الوَزّان
لو كان ثَمَّ حَيَا وأدنى مسكة من دينٍ أو عِلْمٍ ومن إيمان
لم تجعلوا آراءكم ميزان كُفْـ ـرِ الناس بالبهتان والعدوان
هبكم تأوّلتم وساغ لكم أَيُكْـ ـفَرُ من يخالفكم بلا برهان
هذي الوقاحة والجراءة والجها لة ويحكم يا فرقة الطغيان
اللَّه أكبر ذا عقوبة تارك الـ ـوَحْيَيْن للآراء والأهذيان
لكنّنا نأتي بحكم عادل فيكم لأجل مخافة الرّحمٰن
فاسمع إذًا يا منصفًا حُكْمَيْهِما وانظر إذًا هل يستوي الحكمان
هم عندنا قسمان أَهْلُ جهالة وذوو العناد وذانك القسمان
جمع وفرق بين نوعيهم هما في بدعة لا شك يجتمعان
وذوو العناد فأهل كفر ظاهر والجاهلون فإنهم نوعان
متمكنون من الهدى والعلم بالـ أسباب ذات اليُسْر والإمكان
لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا واستسهلوا التّقليد كالعميان
لم يبذلوا المقدور في إدراكهم للحق تهوينًا بهذا الشان
فهم الألى لا شَكّ في تفسيقهم والكفر فيه عندنا قولان
والوقف عندي فيهم لست الذي بالكفر أنعتهم ولا الإيمان
واللَّه أعلم بالبطانة منهم ولنا ظهارة حُلّة الإعلان
لكنّهم مُسْتَوْجَبون عقابه قطعًا لأجل البغي والعدوان
هَبْكُم عُذِرْتُم بالجهالة إنكم لن تُعْذروا بالظلم والطغيان
والطعن في قول الرّسول ودينه وشهادة بالزور والبهتان
وكذلك استحلال قتل مخالفيـ ـكم قتل ذي الإشراك والعدوان
إن الخوارج ما أحلّوا قَتْلَهُم إلا لما ارتكبوا من العصيان
وسمعتم قول الرّسول وحكمه فيهم وذلك واضح التّبيان
لكنكم أنتم أَبَحْتُم قَتْلَهُم بِوِفاق سُنّته مع القرآن

والـلَّه مـا زادوا الـنـقـيـر عـلـيـهـمـا ... لـكـن بـتـقـريـرٍ مـع الإيـمـان
فبحقٍّ من قد خصكم بالعدل والتّـ ... ـحـقـيـق والإنـصـاف والـعـرفـان
أنـتـم أحـق أم الـخـوارج بـالـذي ... قـال الـرّسـول الـصـادق الـبـرهـان
هـم يقتلون العابدي الرّحمٰن بل ... يـدعـون أهـل عـبـادة الأوثـان
هـذا ولـيـسـوا أهـل تـعـطـيـل ولا ... عـزل الـنّـصـوص الـحـق عـن إيـقـان

فصل

والآخـرون فـأهـل عـجـز عـن بـلو ... غ الـحـقّ مـع قـصـد ومـع إيـمـان
بـالـلَّه ثـمَّ رسـولـه ولـقـائـه ... وَهُـمُ إذا مـيّـزتـهـم ضـربـان
قـوم دهـاهـم حـسـن ظـنّـهـم بـمـا ... قـالـتـه أشـيـاخ ذوو أسـنـان
وديـانـة فـي الـنـاس لـم يـجـدوا سـوى ... أقـوالـهـم فـرضـوا بـهـا بـأمـان
لـو يقدرون على الهدى لم يرتضوا ... بـدلاً بـه مـن قـائـل الـبـهـتـان
فـأولاء مـعـذورون إن لـم يـظـلـمـوا ... ويـكـفّـروا بـالـجـهـل والـعـدوان
والآخـرون فـطـالـبـو الـحـق لـ ... ـكـن صـدّهـم عـن عـلـمـه شـيـئـان
مع بحثهم ومصنّفات قصدهم ... مـنـهـا وصـولـهـم إلـى الـعـرفـان
إحداهما طلب الحقائق من سوى ... أبـوابـهـا مـتـسـوّري الـجـدران
وسـلـوك طـرق غـيـر مـوصـلة إلـى ... درك الـيـقـيـن ومـطـلع الإيـمـان
فـتـشـابـهـت تـلك الأمـور عـلـيـهـم ... مـثـل اشـتـبـاه الـطُّـرْق بـالـحـيـران
فـتـرى أمـاثِـلَهـم حـيـارى كـلـهـم ... فـي الـتّـيـه يـقـرع نـاجـذ الـنّـدْمـان
ويـقـول قـد كَـثُـرَت عـلى الـطُّـرْق لا ... أدري الـطـريـق الأعـظـم الـسّـلـطـانـي
بـل كـلّـهـا طـرق مَـخُـوفـات بـهـا الـ ... ـآفـات حـاصـلة بـلا حُـسْـبـان
فـالـوقـف غـايـتـه وآخـر أمـره ... مـن غـيـر شـك مـنـه فـي الـرّحـمٰـن
أو ديـنـه وكـتـابـه ورسـولـه ... ولـقـائـه وقـيـامـة الأبـدان
فـأولاء بـيـن الـذّنْـب والأجـريـن أو ... إحـداهـمـا أو واسـع الـغـفـران
فـانْـظُـرْ إلـى أحـكـامـنـا فـيـهـم وقـد ... جحدوا النّصوص ومقتضى القرآن
وانـظـر إلـى أحـكـامـهـم فـيـنـا لأَجْـ ... ـل خـلافـهـم إذ قـاده الـوَحْـيـان

هل يستوي الحكمان عند اللَّه أو ... عند الرّسول وعند ذي إيمان
الكفر حقُّ اللَّه ثمَّ رسوله ... بالشّرع يثبت لا بقول فلان
من كان ربِّ العالمين وعبده ... قد كفّراه فذاك ذو الكفران
فَهَلُمّ وَيْحَكُمُ نحاكمكم إلى الـ ... ـوَحْيَيْن من حَبَرٍ ومن قرآن
وهناك يعلم أي حِزْبَيْنا على الـ ... ـكفران حقًّا أو على الإيمان
فَلْيَهْنِكُم تكفير من حَكَمَتْ بإسـ ... ـلام وإيمان له النصان
لكنّ غايته كغاية من سوى الـ ... ـمعصوم غاية نوع ذا الإنسان
خطأ يصير الأجر كِفْلًا واحدًا ... إن فاته من أجله الكفلان
إن كان ذاك مكفّرًا يا أمة الـ ... ـعدوان من هذا على الإيمان
قد دار بين الأجر والأجرين والتـ ... ـكفير بالدعوى بلا برهان
ثنتان من قبل الرّسول وخصلة ... من عندكم أفأنتما عدلان
كَفّرْتم واللَّه من شهد الرسو ... ل بأنه حقًّا على الإيمان

فصل
في تلاعب المكفّرين لأهل السُّنَّة والإيمان بالدِّين كتلاعب الصبيان

كم ذا التلاعب منكم بالدِّين والـ ... إيمان مثل تلاعب الصّبْيان
خسفت قلوبكم كما كُسِفَت عقو ... لكم فلا تزكو على القرآن
كم ذا تقولوا مجمَلٌ ومؤوّلٌ ... وظواهر عُزِلَت عن الإيقان
حتى إذا رأيُ الرجال أتاكم ... فاسمع لما يوحٰى بلا برهان
مثل الخفافيش التي إن جاءها ... ضوء النهار ففي كوى[1] الحيطان
عميت عن الشمس المنيرة لا تطيـ ... ـق هدايةً فيها إلى الطّيران
حتى إذا ما الليل جاء ظلامه ... جالت بظُلْمَتِه بكُلّ مكان
فترى الموحّد حين يسمع قولهم ... ويراهم في محنة وهوان

(١) الكوّة: الثقب في حائط البيت ونحوه.

وارحمتاه لعينه ولأذنه ... يا محنة العينين والأذنان
إن قال حقًّا كفّروه وإن يقو ... لوا باطلاً نسبوه للإيمان
حتى إذا ما ردّه عادوه مث ... ل عداوة الشيطان للإنسان
قالوا له خالَفْتَ أقوال الشيو ... خ ولم يبالوا الخُلْفَ للفرقان
خالَفْتُ أقوال الشيوخ فأنتم ... خالَفْتُمُ من جاء بالقرآن
خالفتم قول الرّسول وإنما ... خالَفْتُ من جرّاه قول فلان
يا حبّذا ذاك الخلاف فإنّه ... عين الوفاق لطاعة الرّحمٰن
أو ما علمت بأن أعداء الرسو ... ل عليه عابوا الخُلْفُ بالبهتان
لشيوخهم ولما عليه قد مضى ... أسلافهم في سالف الأزمان
ما العيب إلّا في خلاف النّص لا ... رأي الرجال وفكرة الأذهان
أنتم تعيبونا بهذا وهو من ... توفيقنا والفضل للمنان
فليَهْنِكُم خُلْفُ النّصوص ويَهْنِنا ... خُلْفُ الشيوخ أيستوي الخُلْفان
واللَّه ما تسوى عقول جميع أهـ ... ل الأرض نصًّا صَحّ ذا تبيان
حتى نُقَدّمها عليه معرضيـ ... ـن مؤوّلين محرّفي القرآن
واللَّه إن النّصّ فيما بيننا ... لأَجَلّ قَدْرًا يا أولي الطغيان
واللَّه لم ينقم علينا منكم ... أبدًا خلاف النّصّ من إنسان
لكن خلاف الأشعري بِزَعْمِكُم ... وكَذَبْتُمُ أنتم على الإنسان
كَفّرْتم من قال ما قد قاله ... في كتبه تصريح ذي الإيقان
هذا وخالفناه في القُرآن مث ... ل خلافكم في الفوق للرحمٰن
فالأشعري مُصَرّحٌ بالاستوا ... ء وبالعلو بغاية التّبيان
ومُصَرّحٌ أَيضًا بإثبات اليديـ ... ـن ووجه ربِّ العرش ذي السّلطان
ومُصَرّحٌ أَيضًا بأن لربنا ... سبحانه عينان ناظرتان
ومُصَرّحٌ أَيضًا بإثبات النزو ... ل لربنا نحو الرّقيع الداني
ومُصَرّحٌ أَيضًا بأثبات الأصا ... بع مثل ما قد قال ذو البرهان
ومُصَرّحٌ أَيضًا بأن اللَّه يو ... م الحشر يُبْصِرُهُ أولو الإيمان
جهرًا يرون اللَّه فوق سمائه ... رؤيا العيان كما يرى القمران

ومُـصَـرّحٌ أَيـضًـا بـإثـبـات الـمـجـي ... ء وأنـــه يـــأتـــي بـــلا نـــكـــران
ومُـصَـرّحٌ بـفـسـاد قـول مـؤول ... لـلاسـتـواء بـقـهـر ذي سـلـطـان
ومُصَرّحٌ أن الألى قد قالوا بذا التـ ... ـأويـل أهـلُ ضـلالـة بـبـيـان
ومُـصَـرّحٌ أن الـذي قـد قـالـه ... أهـل الـحـديـث وعـسـكـر الـقـرآن
هـو قـولـه يـلقـى عـلـيـه ربـه ... وبـــه يـــديـــن الـــلَّه كُـــلّ أوان
لـكـنّـه قـد قـال إنّ كـلامـه ... مـعـنـى يـقـوم بـنـفـسـه بـبـيـان
فـي الـقـول خـالـفـنـاه نـحـن وأنـتـم ... فـي الـفـوق فـأتـوا الآن بـالـبـرهـان
لـم كـان نـفـس خـلافـنـا كـفـرًا وكـا ... ن خـلافـكـم هـو مـقـتـضـى الإيـمـان
هـذا وخـالـفـتـم لـنـصٍّ حـيـن خـا ... لـفـنـا لـرأي الـجَـهْـم ذي الـبـهـتـان
واللَّه مـا لـكـم جـواب غـيـر تـكـ ... ـفـيـر بـلا عـلـم ولا إيـقـان
أستـغـفـر الـلَّه الـعـظـيـم لـكـم جـوا ... ب غـيـر ذا الـشـكـوى إلـى الـسّـلـطـان
فـهـو الـجـواب لـديـكـم ولـنـحـن مُـنْـ ... ـتَـظِـرُوهُ مـنـكـم يـا أولـي الـبـرهـان
والـلَّه لا لـلأشـعـري تـبـعـتـم ... كَـلّا ولا لـلـنـص بـالإحـسـان
يـا قـوم فـانـتـبـهـوا لأنـفـسـكـم وخَـلّـ ... ـوا الـجـهـل والـدعـوى بـلا بـرهـان
ما في الرياسة بالجهالة غير ضحـ ... ـكـة عـاقـل مـنـكـم مـدى الأزمـان
لا تـرتـضـوا بـريـاسـة الـبـقـر الـتـي ... رؤسـاؤهـا مـن جـمـلة الـثّـيـران

فصل

في أن أهل الحديث هم أنصار رسول اللَّه ﷺ ولا يبغض الأنصار رجلٌ يؤمن باللَّه واليوم الآخر

يـا مـبـغـضًـا أهـل الـحـديـث وشـاتـمًـا ... أبـشـر بـعـقـد ولايـة الـشـيـطـان
أو مـا عـلـمـت بـأنـهـم أنـصـار ديـ ... ـن الـلَّه والإيـمـان والـقـرآن
أو مـا عـلـمـت بـأن أنـصـار الـرسـو ... ل هُـمُ بـلا شَـكٍّ ولا نـكـران
هـل يُـبْـغِـضُ الأنـصـار عـبـد مـؤمـن ... أو مـدرك لـروائـح الإيـمـان
شـهـد الـرّسـول بـذاك وهـي شـهـادة ... مـن أصـدق الـثّـقـلـيـن بـالـبـرهـان
أو مـا عـلـمـت بـأن خـزرج ديـنـه ... والأوس هـم أبـدًا بـكُـلّ زمـان

ما ذنبهم إذ خالفوك لقوله ... ما خالفوه لأجل قول فلان
لو وافقوك وخالفوه كنت تشـ ... ـهد أنهم حقًّا أولو الإيمان
لما تحيّزتم إلى الأشياخ وانـ ... ـحازوا إلى المبعوث بالفرقان
نسبوا إليه دون كُلّ مقالة ... أو قائل أو حالة ومكان
هذا انتساب أولي التّفَرّق نسبته ... من أربع معلومة التّبيان
فلذا غضبتم حيث ما انتسبوا إلى ... غير الرّسول بنسبة الإحسان
فوضعتم لهم من الألقاب ما ... تستقبحون وذا من العدوان
هم يشهدونكم على بطلانها ... أفتشهدونهم على البطلان
ما ضرهم واللَّه بُغْضُكُم لهم ... إذ وافقوا حقًّا رضا الرّحمٰن
يا من يعاديهم لأجل مآكل ... ومناصب ورياسة الإخوان
تهنيك هاتيك العداوة كم بها ... من حسرة ومذلة وهوان
ولسوف تجني غِبّها[1] واللَّه عن ... قُرْبٍ وتَذْكُرُ صدق ذي الإيمان
فإذا تقطعت الوسائل وانتهت ... تلك المآكل في سريع زمان
هناك تقرع سنّ ندمان على التّـ ... ـفْريط وقت اليُسْر والإمكان
وهناك تعلم ما بضاعتك التي ... حَصّلْتَها في سالف الأزمان
إلّا الوبال عَلَيْك والحسرات والـ ... ـخسران عند الوضع في الميزان
قيلٌ وقال ما له من حاصل ... إلا العناء وكدّ ذي الأذهان
واللَّه ما يُجدي عَلَيْك هنالك الا ... ذا الذي جاءت به الوحيان
واللَّه ما يُنْجيك من سجن الجحيـ ... ـم سوى الحديث ومُحْكَمِ القرآن
واللَّه ليس الناس إلّا أهله ... وسواهم من جملة الحيوان
ولسوف تذكر بِرّ ذي الإيمان عن ... قُرْب وتَقْرَعُ ناجذ النّدمان
رفعوا به رأسًا ولم يرفع به ... أهل الكلام ومنطق اليونان
فهم كما قال الرّسول مُمَثّلاً ... بالماء مهبطه على القيعان
لا الماء تمسكه ولا كلأ بها ... يرعاه ذو كَبِدٍ من الحيوان[2]

---

(١) غبّ الأمر عاقبته وما يؤول إليه.
(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٩) ومسلم في صحيحه برقم (٢٢٨٢)=

هـذا إذا لـم يُـحْـرَقِ الـزرع الـذي ... بـجـوارهـا بـالـنـار أو بـدخـان
والـجـاهـلون بـذا وهـذا هـم زوا ... ن الـــزرع إي والـــلَّه شَـــرّ زوان
وهُـمُ لـدى غـرس الإلٰـه كـمـثـل غـر ... س الـدُّلْب بـيـن مـغـارس الـرّمّـان
يـمـتَـصّ مـاء الـزرع مـع تـضـيـيـقـه ... أبـدًا عـلـيـه ولـيـس ذا قِـنْـوان
ذا حـالـهـم مـع حـال أهـل الـعـلـم أنـ ... ـصـار الـرّسـول فـوارس الإيـمـان
فـعـلـيـه مـن قـبـل الـغـراس تـحـيـة ... والـلَّه يـبـقـيـه مـدى الأزمـان
لـولاه مـا سُـقِـيَ الـغـراس فَـسَـوْقُ ذا ... ك الـمـاء لـلدّلـب الـعـظـيـم الـشـان
فـالـغـرس دُلْبٌ كـلّه وهـو الـذي ... يُـسْـقـىٰ ويُـحْـفَـظُ عـنـد أهـل زمـان
فـالـغـرس فـي تـلك الـخـفـارة شـارب ... فـضـل الـمـيـاه مـصـاوة الـبـسـتـان
لـكـنّـمـا الـبـلوى مـن الـحـطّـاب قـطّـ ... ـاع الـغـراس وعـاقـر الـحـيـطـان
بالفُؤْس يَضْرِب في أصول الغرس كي ... يَـجْـتَـثّـهـا فـيُـظَـنّ ذا إحـسـان
ويـظـل يـحـلـف كـاذبًـا لـم أعـتـمـد ... فـي ذا سـوى الـتـشـبـيـت لـلـعـيـدان
يـا خـيـبـة الـبـسـتـان مـن حَـطّـابـه ... مـا بـعـد ذا الـحـطّـاب مـن بـسـتـان
فـي قـلـبـه غـلٌّ عـلى الـبـسـتـان فـهـ ... ـو مُـوَكّـلُ بـالـقـطـع كُـلّ أوان
فـالـجـاهـلون شـرار أهـل الـحـق والـ ... ـعـلـمـاء سـادتـهـم أولـو الإحـسـان
والـجـاهـلون خـيـار أحـزاب الـضـلا ... ل وشـيـعـة الـكـفـران والـشـيـطـان
وشـرارهـم عـلـمـاؤهـم هـم شـر خـلـ ... ـق الـــلَّه آفـــة هـــذه الأكـــوان

= من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقُه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

فصل
في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته
كما كانت فرضًا من الأمصار إلى بلدته عليه الصلاة والسَّلام

يا قوم فرض الهجرتين بحاله ... واللَّه لم يُنْسَخْ إلى ذا الآن
فالهجرة الأولى إلى الرّحمٰن بالـ ... إخلاص في سِرٍّ وفي إعلان
حتى يكون القصد وجه اللَّه بالـ ... أقوال والأعمال والإيمان
ويكون كُلّ الدِّين للرّحمٰن ما ... لسواه شيءٌ فيه من إنسان
والحب والبغض اللّذان هما لِكُلّ ... ولاية وعداوة أصلان
للَّه أَيضًا هكذا الاعطاء والمنع ... اللّذان عليهما يقفان
واللَّه هذا شطر دين اللَّه والتّـ ... ـحكيم للمختار شطر ثان
وكلاهما الإحسان لمن يتقبل الرّ ... حْمٰن من سعي بلا إحسان
والهجرة الأخرى إلى المبعوث بالـ ... إسلام والإيمان والإحسان
أترون هذي هجرة الأبدان لا ... واللَّه بل هي هجرة الإيمان
قطع المسافة بالقلوب إليه في ... درك الأصول مع الفروع وذان
أبدًا إليه حكمها لا غيره ... فالحكم ما حكمت به النّصّان
يا هجرة طالت مسافتها على ... من خُصّ بالحرمان والخذلان
يا هجرة طالت مسافتها على ... كسلان منخوب الفؤاد جبان
يا هجرة والعبد فوق فراشه ... سبق السعادة لمنزل الرضوان
ساروا أحثّ السير وهو فسيره ... سير الدلال وليس بالرّملان
هذا وتنظره أمام الركب كالـ ... علم العظيم يشاف في القيعان
رفعت له أعلام هاتيك النصو ... ص رؤوسها شابت من النّيران
نار هي النور المبين ولم يكن ... لبيراه إلا من له عينان
مكحولتان بمرود الوحيين لا ... بمراود الآراء والهذيان
فلذاك شمّر نحوها لم يلتفت ... لا عن شمائله ولا أيمان
يا قوم لو هاجرتم لرأيتم ... أعلام طيبة رؤية بعيان

ورأيتم ذاك اللواء وتحته الرّ ... سُلُ الكرام وعسكر القرآن
أصحاب بدر والألى قد بايعوا ... أزكى البرية بيعة الرضوان
وكذا المهاجرة الألى سبقوا كذا الـ ... أنصار أهل الدار والإيمان
والتابعون لهم بإحسان وسا ... لك هديهم أبدًا بكُلّ زمان
لكن رضيتم بالأماني وابتلي ... تم بالحظوظ ونُصْرة الإخوان
بل غَرّكم ذاك الغرور وسَوّلت ... لكم النفوس وساوس الشيطان
ونبذتم عسل النّصوص وراءكم ... وقنعتم بقُطارَةِ الأذهان
وتركتم الوحيين زهدًا فيهما ... وَرَغِبْتُمُ في رأي كُلّ فلان
وعزلتم النّصّين عمّا وُلِّيا ... للحكم فيه عزل ذي عدوان
وزعمتم أن ليس يحكم بيننا ... إلّا العقول ومنطق اليونان
فهما بحكم الحق أولى منهما ... سبحانك اللهم ذا السبحان
حتى إذا انكشف الغطاء وحُصّلت ... أعمال هذا الخلق في الميزان
وإذا انجلى هذا الغبار وصار مَيْـ ... ـدان السباق تناله العينان
وبدت على تلك الوجوه سماتها ... وَسْمَ المليك القادر الديان
مُبْيَضّة مثل الرياط لجنّة ... والسود مثل الفحم للنيران
فهناك يعرف راكبٌ ما تحته ... وهناك يقرع ناجذ النّدمان
وهناك تعلم كُلّ نفس ما الذي ... معها من الأرباح والخسران
وهناك يعلم مؤثر الآراء والشـ ... ـطحات والهذيان والبطلان
أي البضاعة قد أضاع وما الذي ... منها تعوّض في الزمان الفاني
سبحان ربِّ الخلق قاسم فضله ... والعدل بين الناس بالميزان
لو شاء كان الناس شيئًا واحدًا ... ما فيهم من تائه حيران
لكنّه سبحانه يختص بالـ ... ـفَضْلِ العظيم خلاصة الإنسان
وسواهم لا يصلحون لصالح ... كالشوك فهو عمارة النّيران
وعمارة الجَنّاتُ هم أهل الهدى ... اللَّه أكبر ليس يستويان
فسل الهداية من أَزِمّة أمرنا ... بيديه مسألة الذليل العاني
وسل العياذ من اثنتين هما اللّتا ... ن بِهُلْكِ هذا الخلق كافِلَتان

شرّ النفوس وسيىء الأعمال ما ... واللَّه أعظم منهما شَرّان
ولقد أتى هذا التعوذ منهما ... في خطبة المبعوث بالقرآن
لو كان يدري العبدُ أن مصابه ... في هذه الدنيا هما الشّرّان
جعل التعوذ منهما ديدانه ... حتى تراه داخل الأكفان
وسل العياذ من التكبر والهوى ... فهما لكُلّ الشّرّ جامعتان
وهما يصدان الفتى عن كُلّ طُرْ ... قِ الخير إذ في قلبه يَلِجان
فتراه يمنعه هواه تارة ... والكبر أخرى ثمَّ يشتركان
واللَّه ما في النار إلا تابعٌ ... هذين فاسأل ساكني النيران
واللَّه لو جرّدت نفسك منهما ... لأَتَتْ إليك وفودُ كُلّ تهان

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المُعَطّلين

والفرق بين الدعوتين فظاهر ... جدًّا لمن كانت له أذنان
فرق مبين ظاهر لا يَخْتَفي ... إيضاحه إلّا على العميان
فالرسل جاءونا بإثبات العلوّ ... لربّنا من فوق كُلّ مكان
وكذا أتونا بالصفات لربّنا الرّ ... حمٰن تفصيلاً بكُلّ بيان
وكذاك قالوا إنه متكلّم ... وكلامُهُ المسموع بالآذان
وكذاك قالوا إنه سبحانه الـ ... ـمرئيّ يوم لقائه بعيان
وكذاك قالوا إنه الفعال حَقًّا ... كُلّ يوم ربنا في شان
وأتيتمونا أنتم بالنفي والتـ ... ـعطيل بل بشهادة الكفران
للمثبتين صفاته وعلوّه ... ونداءه في عرف كُلّ لسان
شهدوا بإيمان المقرّ بأنه ... فوق السماء مباين الأكوان
وشهدتم أنتم بتكفير الذي ... قد قال ذلك يا أولي العدوان
وأتى بأين اللَّه إقرارا ونُطْـ ... ـقًا قلتم هذا من البهتان
فسؤالنا بالأين مثل سؤالنا ... ما اللّون عندكم هما سيّان
وكذا أَتَوْنا بالبيان فَقُلْتُمُ ... بالّلغز أين اللّغز من تبيان

إذ كان مدلول الكلام ووضعه ... لم يقصدوه بنُطْقِهِم بلسان
والقصد منه غير مفهوم به ... ما اللغز عند الناس إلا ذان
يا قوم رسل اللَّه أعرف منكم ... وأتمّ نصحًا في كمال بيان
أتُراهم قد ألغزوا التوحيد إذ ... بينتموه يا أولي العرفان
أتُراهم قد أظهروا التشبيه وَهُـ ... ـوَ لَدَيْكُمُ كعبادة الأوثان
ولأيّ شيءٍ لم يقولوا مثل ما ... قد قلتم في ربّنا الرّحمٰن
ولأيّ شيء صرحوا بخلافه ... تصريح تفصيل بلا كتمان
ولأيّ شيء بالغوا في الوصف بالـ ... ـإثبات دون النفي كُلّ زمان
ولأيّ شيء أنتم بالغتم ... في النفي والتعطيل بالقفزان
فجعلتم نفي الصفات مُفَصّلاً ... تفصيل نفي العيب والنقصان
وجعلتم الإثبات أمرًا مجملاً ... عكس الذي قالوه بالبرهان
أتراهم عجزوا عن التبيان واسـ ... ـتولَيْتُمُ أنتم على التّبيان
أترون أفراخ اليهود وأمة التّـ ... ـعطيل والعبّاد للنيران
وَوِقاحَ[1] أرباب الكلام الباطل الـ ... ـمذموم عند أئمة الإيمان
من كُلّ جهمي ومعتزل ومن ... والاهما من حزب جنكسخان
باللَّه أعلم من جميع الرسل والتـ ... ـوراة والإنجيل والقرآن
فسلوهم بسؤال كتبهم التي ... جاءوا بها عن علم هذا الشان
وسلوهم هل ربكم في أرضه ... أو في السماء وفوق كُلّ مكان
أم ليس من ذا كلّه شيء فلا ... هو داخل أو خارج الأكوان
فالعلم والتبيان والنّصح الذي ... فيهم يبين الحقّ كُلّ بيان
لكنّما الإلغاز والتلبيس والـ ... ـكتمان فعل معلّم الشّيطان

(١) جمع وقيح أي قليل الحياء والأدب.

فصل
في شكوى أهل السُّنَّة والقُرآن
أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما إلى الرحمٰن

يا ربِّ هم يشكوننا أبدًا بِبَغْـ ... ـيِهم وظُلْمهم إلى السّلطان
ويلبّسون عليه حتى إنه ... لَيَظُنُّهُم هم ناصرو الإيمان
فيرونه البدع المضلّة في قوا ... لب سنّة نبوية وقران
ويرونه الإثبات للأوصاف في ... أمر شنيع ظاهر الكفران
فيلبّسون عليه تلبيسَيْن لو ... كُشِفا له ناداهُمُ بطعان
يا فرقة التلبيس لا حُيّيتم ... أبدًا وحيّيتم بكُلّ هوان
لكننا نشكوهم وصنيعهم ... أبدًا إليك فأنت ذو السّلطان
فاسمع شكايتنا وأشك مُحِقّنا ... والمبطل اردده عن البطلان
راجع به سبل الهدى والطف به ... حتى تريه الحقّ ذا تبيان
وارحمه وارحم سعيه المسكين قد ... ضلّ الطريق وتاه في القيعان
يا ربِّ قد عم المصاب بهذه الـ ... آراء والشطحات والبهتان
هجروا لها الوحيين والفطرات والـ ... آثار لم يعبوا بذا الهجران
قالوا وتلك ظواهر لفظيّة ... لم تغن شيئًا طالب البرهان
فالعقل أولى أن يصار إليه من ... هذي الظواهر عند ذي العرفان
ثمَّ ادعى كُلّ بأن العقل ما ... قد قلته دون الفريق الثاني
يا ربِّ قد حار العباد بعقل من ... يزنون وحيك فأت بالميزان
وبعقل من يُقْضٰى عَلَيْك فكلهم ... قد جاء بالمعقول والبرهان
يا ربِّ أرشدنا إلى معقول من ... يقع التّحاكم إننا خصمان
جاءوا بشبهات وقالوا إنّها ... معقولة ببدائه الأذهان
وكُلّ يناقض بعضه بعضًا وما ... في الحق معقولان مختلفان
وقضوا بها كذبًا عَلَيْك وجرأة ... منهم وما التفتوا إلى القرآن
يا ربِّ قد أوهى النفاة حبائل الـ ... قُرآن والآثار والإيمان

يا ربِّ قد قَلَبَ النفاة الدِّين والـ إيمان ظهرًا منه فوق بطان
يارِبِّ قد بغت النفاة وأجلَبُوا بالخيل والرّجل الحقير الشان
نصبوا الحبائل والغوائل[1] للأُلى أخذوا بِوَحْيِك دون قول فلان
ودَعَوْا عبادك أن يطيعوهم فمن يعصيهم ساموه شرّ هوان
وقَضَوْا على من لم يقل بضلالهم باللعن والتضليل والكفران
وقَضَوْا على أتباع وَحْيِك بالذي هم أهله لا عسكر الفرقان
وقَضَوْا بعزلهم وقتلهم وحَبْـ ـسِهِمُ ونَفْيِهِمُ عن الأوطان
وتلاعبوا بالدِّين مثل تلاعب الـ ـحُمُر التي نَفَرَت بلا أرسان
حتى كأنّهم تواصَوْا بينهم يوصي بذلك أول للثاني
هجروا كلامك هجر مبتدع لمن قد دان بالآثار والقرآن
فكأنه فيما لديهم مصحف في بيت زنديق أخي كفران
أو مسجد بجوار قوم همّهم في الفسق لا في طاعة الرّحمٰن
وخواصهم لم يقرأوه تدبرًا بل للتبرك لا لِفَهْمِ معان
وعوامهم في السُّبْع أو في ختمة أو تربة عوضًا لذي الأثمان
هذا وَهُم حرفيّة التجويد أو صوتيّة الأنغام والألحان
يا ربِّ قد قالوا بأن مصاحف الـ إسلام ما فيها من القرآن
إلّا المداد وهذه الأوراق والـ ـجلد الذي قد سُلّ من حيوان
والكُلّ مخلوق ولست بقائل أصلاً ولا حرفًا من القرآن
إن ذاك إلّا قول مخلوق وهل هو جبريل أو الرّسول فذان
قولان مشهوران قد قالتهما أشياخهم يا محنة القرآن
لو داسه رجل لقالوا لم يطأ إلّا المداد وكاغِدَ[2] الإنسان
يا ربِّ زالت حرمة القُرآن من تلك القلوب وحرمة الإيمان
وجرى على الأفواه منهم قولهم ما بيننا للّه من قرآن
ما بيننا إلّا الحكاية عنه والتّـ ـعبير ذاك عبارةٌ بلسان

(١) الغوائل هي الدواهي.
(٢) الكاغد: القرطاس.

هـذا ومـا الـتّـالـون عـمّـالًا بـه ... إذ هـم قـد استـغـنـوا بـقـول فـلان
إن كـان قـد جـاز الـحـنـاجـر مـنـهـم ... فـبـقـدر مـا عـقـلـوا مـن الـقـرآن
والـبـاحـثـون فـقـدّمـوا رأي الـرجـا ... ل عـلـيـه تـصـريـحًـا بـلا كـتـمـان
عـــزلـــوه إذ ولّوا ســـواه وكـــان ذا ... ك الـعـزل قـائـدهـم إلـى الـخـذلان
قـالـوا ولـم يـحـصـل لـنـا مـنـه يـقـيـ ... ـن فـهـو مـعـزول عـن الإيـقـان
إن الـيـقـيـن قـواطـع عـقـليّـة ... مـيـزانـهـا هـو مـنـطـق الـيـونـان
هـذا دلـيـل الـرفـع مـنـه وهـذه ... أعـــلامـــه فـــي آخـــر الأزمـــان
يـا ربِّ مـن أهـلوه حـقًّـا كـي يُـرى ... أقـدامُـهُـم مـنّـا عـلى الأذقـان
أهـلوه مـن لا يـرتـضـي مـنـه بـديـ ... ـلا فـهـو كـافـيـهـم بـلا نـقـصـان
وهـو الدليل لـهـم وهـاديـهـم إلى الـ ... إيـمـان والايـقـان والـعـرفـان
هـو مـوصـل لَهُـمُ إلـى درك الـيـقـيـ ... ـن حـقـيـقـة وقـواطـع الـبـرهـان
يـا ربِّ نـحـن الـعـاجـزون بـحـبّـهـم ... يـا قـلـة الأنـصـار والأعـوان

فصل
في أذان أهل السُّنَّة الأعلام بصريحها جهرًا على رؤوس منابر الإسلام

يـا قـوم قـد حـانـت صـلاة الـفـجـر فـانـ ... ـتـبـهـوا فـإنـي مـعـلـن بـأذان
لا بـالـمُـلَـحّـن والـمـبـدّل ذاك بـل ... تـأذيـن حـقٍّ واضـح الـتـبـيـان
وهـو الـذي حـقًّـا إجـابـتـه عـلـى ... كُـلّ امـرئ فـرض عـلـى الأعـيـان
الـلَّه أكـبـر أن يـكـون كـلامـه الـ ... ـعـربـي مـخـلـوقًـا مـن الأكـوان
والـلَّه أكـبـر أن يـكـون رسـولـه الـ ... ـمـلكـي أنـشـأه عـن الـرّحـمٰـن
والـلَّه أكـبـر أن يـكـون رسـولـه الـبـ ... ـشـري أنـشـاه لـنـا بـلسـان
هـذي مـقـالات لـكـم يـا أمـة الـتـ ... ـشـبـيـه مـا أنـتـم عـلـى إيـمـان
شـبـهـتـم الـرّحـمٰـن بـالأوثـان فـي ... عـدم الـكـلام وذاك لـلأوثـان
مـمّـا يـدل بـأنـهـا لـيـسـت بـآ ... لِهَـةٍ وذا الـبـرهـان فـي الـقـرآن
فـي سـورة الأعـراف مـع طـه وتـا ... لـيـهـا فـلا تـعـدل عـن الـفـرقـان

أَفَصَحّ أن الجاحدين لكونه ... متكلّمًا بحقيقة وبيان
هم أهل تعطيل وتشبيه معًا ... بالجامدات عظيمة النّقصان
لا تقذفوا بالداء منكم شيعة الرّ ... حمٰن أهل العلم والعرفان
إن الذي نزل الأمين به على ... قلب الرّسول الواضح البرهان
هو قول ربّي اللفظ والمعنى جميـ ... ـعًا إذ هما أخوان مصطحبان
لا تقطعوا رحمًا تولى وَصْلَها الرّ ... حمٰن تنسلخوا من الإيمان
ولقد شفانا قول شاعرنا الذي ... قال الصواب وجاء بالإحسان
إن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربّي آيه وحروفه ... ومدادنا والرق مخلوقان
واللَّه أكبر مَنْ على العرش استوى ... لكنّه استولى على الأكوان
واللَّه أكبر ذو المعارج مَنْ إليـ ... ـه تعرج الأملاك كُلّ أوان
واللَّه أكبر مَنْ يخاف جلاله ... أملاكه من فوقهم ببيان
واللَّه أكبر مَنْ غدا لسريره ... أطٌّ به كالرّحْل للركبان
واللَّه أكبر من أتانا قوله ... من عنده من فوق ست ثمان
نزل الأمين به بأمر اللَّه من ... ربِّ على العرش استوى رحْمٰن
واللَّه أكبر قاهر فوق العبا ... د فلا تضع فوقية الرّحْمٰن
من كُلّ وجه تلك ثابتة له ... لا تهضموها يا أولي البهتان
قهرًا وقدرًا واستواء الذات فو ... ق العرش بالبرهان
فبذاته خلق السمٰوات العلى ... ثمَّ استوى بالذات فافهم ذان
فضمير فعل الاستواء يعود لل ... ذّات التي ذكرت بلا فرقان
هو ربنا هو خالق هو مُسْتَو ... بالذات هذي كلها بوزان
واللَّه أكبر ذو العلوّ المطلق الـ ... ـمَعْلوم بالفطرات للإنسان
فعلوه من كُلّ وجه ثابت ... فاللَّه أكبر جلّ ذو السّلطان
واللَّه أكبر من رقى فوق الطّبا ... ق رسوله فدنا من الدّيّان
وإليه قد صعد الرّسول حقيقة ... لا تنكروا المعراج بالبهتان
ودنا من الجبّار جلّ جلاله ... ودنا إليه الربّ ذو الإحسان

والـلَّه قـد أحـصـى الـذي قـد قُـلْتُـم ... فـي ذلـك الـمـعـراج بـالـمـيـزان
قـلتـم خـيـالاً أو أكـاذيـبًـا أو الـ ... ـمعراج لـم يـحصل إلى الـرّحـمٰـن
إذ كـان مـا فـوق الـسـمٰـوات الـعـلى ... ربِّ إلـيـه مُـنْـتَـهـىٰ الإنـسـان
والـلَّه أكـبـر مـن أشـار رسـولـه ... حـقًّـا إلـيـه بـإصـبـع وبـنـان
في مجمع الحجّ العظيم بموقف ... دون الـمُـعَـرّف مـوقـف الـغـفـران
مـن قـال مـنـكـم مـن أشـار بـإصْـبَـعٍ ... قُـطِـعَـت فـعـنـد الـلَّه يـجـتـمـعـان
والـلَّه أكـبـر ظـاهـر مـا فـوقـه ... شـيء وشـأن الـلَّه أعـظـم شـان
والـلَّه أكـبـر عـرشـه وسـع الـسـمـا ... والأرض والـكـرسـي ذا الأركـان
وكـذلـك الـكـرسـي قـد وسـع الـطـبـا ... ق الـسـبـع والأرضـيـن بـالـبـرهـان
والـربُّ فـوق الـعـرش والـكـرسـيّ لا ... يـخـفـى عـلـيـه خـواطـر الإنـسـان
لا تـحـصـروه فـي مـكـان إذ تـقـو ... لـوا ربـنـا حـقًّـا بـكُـلّ مـكـان
نـزّهـتـمـوه بـجـهـلـكـم عـن عـرشـه ... وحَـصَـرْتـمـوه فـي مـكـان ثـان
لا تُـعْـدمـوه بـقـولـكـم لا داخـل ... فـيـنـا ولا هـو خـارج الأكـوان
الـلَّه أكـبـر هُـتّـكـت أسـتـاركـم ... وبـدت لـمـن كـانـت لـه عـيـنـان
والـلَّه أكـبـر جـلّ عـن شِـبْـهٍ وعـن ... مِـثْـلٍ وعـن تـعـطـيـل ذي كـفـران
والـلَّه أكـبـر مـن لـه الأسـمـاء والـ ... أوصـاف كـامـلـة بـلا نـقـصـان
والـلَّه أكـبـر جـلّ عـن شـبـه الـجـمـا ... د كـقـول ذي الـتـعـطـيـل والـكـفـران
هـم شـبّـهـوه بـالـجـمـاد ولـيـتـهـم ... قـد شـبّـهـوه بـكـامـل ذي شـان
والـلَّه أكـبـر جـلّ عـن ولـد وصـا ... حـبـة وعـن كـفء وعـن أخـدان[1]
والـلَّه أكـبـر جـلّ عـن شـبـه الـعـبـا ... د فـذان تـشـبـيـهـان مـمـتـنـعـان
والـلَّه أكـبـر واحـد صـمـد فـكـلّ ... الـشـأن فـي صـمـديّـة الـرّحـمٰـن
نـفـت الـولادة والأبـوة عـنـه والـ ... كـفء الـذي هـو لازم الإنـسـان
وكـذاك أثـبـتـت الـصـفـات جـمـيـعـهـا ... لـلَّه سـالـمـة مـن الـنـقـصـان
وإلـيـه يـصـمـد كُـلّ مـخـلـوق فـلا ... صـمـد سـواه عـز ذو الـسّـلـطـان

(١) جمع خدن وهو الصاحب.

لا شيء يشبهه تعالى كيف يشـ ـبه خلقه ما ذاك في الإمكان
لكن ثبوت صفاته وكلامُهُ وعلوّه حقًّا بلا نكران
لا تجعلوا الإثبات تشبيهًا له يا فرقة التّلبيس والطغيان
كم ترتقون بسلّم التنزيه للتـ ـعطيل ترويجًا على العميان
فاللَّه أكبر أن تكون صفاته كصفاتنا جلّ العظيم الشان
هذا هو التشبيه لا إثبات أَوْ صاف الكمال فما هما عِدْلان

فصل
في تلازم التعطيل والشرك

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لا شكّ مصطحبان
أبدًا فكُلّ معطل هو مشرك حتمًا وهذا واضح التبيان
فالعبد مضطر إلى من يكشف الـ ـبلوى ويغني فاقة الإنسان
وإليه يصمد في الحوائج كلّها وإليه يفزع طالبًا لأمان
فإذا انتفت أوصافه وفعاله وعلوّه من فوق كُلّ مكان
فزع العباد إلى سواه وكان ذا من جانب التعطيل والنكران
فمعطّل الأوصاف ذاك معطل التـ ـوحيد حقًّا ذان تعطيلان
قد عُطّلا بلسان كُلّ الرسل من نوح إلى المبعوث بالقرآن
والناس في هذا ثلاث طوائف ما رابع أبدًا بذي إمكان
إحدى الطوائف مشرك بإلٰهه فإذا دعاه دعا إلٰهًا ثان
هذا وثاني هذه الأقسام ذا لك جاحد يدعو سوى الرّحمٰن
هو جاحد للربِّ يدعو غيره شِرْكًا وتَعْطيلاً له قدمان
هذا وثالث هذه الأقسام خَيْـ ـر الخَلْق ذاك خلاصة الإنسان
يدعو الإلٰه الحقَّ لا يدعو سوا ه قطّ في الأكوان
يدعوه في الرغبات والرهبات والـ ـحالات من سرٍّ ومن إعلان
توحيده نوعان علميٌّ وقَصْـ ـدِيٌّ كما قد جُرّد النّوعان
في سورة الإخلاص مع تالٍ لنَصْـ ـر اللَّه قل يا أيُّها ببيان

ولذاك قد شُرِعا بسنّة فجرنا وكذا بسنّة مَغْرب طرفان
ليكون مفتتح النهار وختمه تجريدك التوحيد للدّيان
ولذاك قد شرعا بخاتمِ وِتْرِنا ختمًا لسعي الليل بالإحسان
ولذاك قد شرعا بركعتي الطّوا ف وذاك تحقيق لهذا الشان
فهما إذا أخوان مصطحبان لا يتفرّقان وليس ينفصلان
فمعطّل الأوصاف ذو شرك كذا ذو الشرك فهو معطّل الرّحمٰن
أو بعض أوصاف الكمال له فحقّ ق ذا ولا تسرع إلى النكران

فصل
في بيان أن المُعَطّل شرّ من المشرك

لكن أخو التعطيل شرّ من أخي الـ إشراك بالمعقول والبرهان
إن المُعَطّل جاحد للذات أو لكمالها هذان تعطيلان
متضمّنان القدح في نفس الألو هة كم بذاك القدح من نقصان
والشرك فهو توسل مقصوده الزّ لفى من الربّ العظيم الشان
بعبادة المخلوق من حَجَرٍ ومن بَشَرٍ ومن قبر ومن أوثان
فالشرك تعظيم بجهل من قيا س الربّ بالأمراء والسّلطان
ظنّوا بأن الباب لا يغشى بدو ن توسط الشفعاء والأعوان
ودهاهم ذاك القياس المستبيـ ـن فسادُهُ ببديهة الإنسان
الفرق بين اللَّه والسّلطان من كُلّ الوجوه لمن له أذنان
إن الملوك لعاجزون وما لهم علم بأحوال الرعايا دان
كَلّا ولا هم قادرون على الذي يحتاجه الإنسان كُلّ زمان
كَلّا وما تلك الإرادة فيهم لقضا حوائج كُلّ ما إنسان
كَلّا ولا وسعوا الخليقة رحمة من كُلّ وجه هم أولو النقصان
فلذلك احتاجوا إلى تلك الوسا ئط حاجة منهم مدى الأزمان
أما الذي هو عالم للغيب مقـ ـتدر على ما شاء ذو إحسان
وتخافه الشفعاء ليس يريد منـ ـهم حاجة جلّ العظيم الشان

بل كُلّ حاجات لهم فإليه لا ... لسواه من ملك ولا إنسان
وله الشفاعة كلها وهو الذي ... في ذاك يأذن للشفيع الداني
لمن ارتضى ممّن يوحده ولم ... يشرك به شيئًا لما قد جاء في القرآن
سبقت شفاعته إليه فهو مشـ ... ـفوع إليه وشافع ذو شان
فلذا أقام الشافعين كرامة ... لَهُمْ ورحمةَ صاحب العصيان
فالكُلّ منه بدا ومرجعه إليـ ... ـه وحده ما من إلٰه ثان
غلط الأُلى جعلوا الشفاعة من سوا ... ه إليه دون الإذن من رحمٰن
هذي شفاعة كُلّ ذي شرك فلا ... تعقد عليها يا أخا الإيمان
واللَّه في القُرآن أبطلها فلا ... تعدل عن الآثار والقرآن
وكذا الولاية كلها للَّه لا ... لسواه من ملك ولا إنسان
واللَّه لم يفهم أولو الاشراك ذا ... ورآه تنقيصًا أولو النقصان
إذ قد تضمن عزل من يدعى سوى الرّ ... حمٰن بل أحدية الرّحمٰن
بل كُلّ مدعوّ سواه من لدن ... عرش الإلٰه إلى الحضيض الداني
هو باطل في نفسه ودعاء عا ... بده له من أبطل البطلان
فله الوَلايَةُ والوِلايَةُ ما لنا ... من دونه والٍ من الأكوان
فإذا تولّاه امرؤ دون الورى ... طُرًّا تولّاه العظيم الشأن
وإذا تولى غيره من دونه ... ولّاه ما يرضى به لهوان
في هذه الدنيا وبعد مماته ... وكذاك عند قيامة الأبدان
حقًّا يناديهم ندا سبحانه ... يوم المعاد فيسمع الثقلان
يا من يريد ولاية الرّحمٰن دو ... ن ولاية الشيطان والأوثان
فارق جميع الناس في إشراكهم ... حتى تنال ولاية الرّحمٰن
يكفيك من وسع الخلائق رحمة ... وكفاية ذو الفضل والإحسان
يكفيك من لم تَخْلُ من إحسانه ... في طرفةٍ بتقلّب الأجفان
يكفيك ربٌّ لم تزل ألطافه ... تأتي إليك برحمة وحنان
يكفيك ربٌّ لم تزل في ستره ... ويراك حين تجيء بالعصيان
يكفيك ربٌّ لم تزل في حفظه ... ووقاية منه مدى الأزمان

يكفيك ربٌّ لم تزل في فضله ... متقلّبًا في السرّ والإعلان
يدعوه أهل الأرض مع أهل السما ... ء فكُلّ يوم ربنا في شان
وهو الكفيل بكُلّ ما يدعونه ... لا يعتري جَدْواه[1] من نقصان
فتوسط الشفعاء والشركاء والظّـ ... ـهراء أمر بيّن البطلان
ما فيه إلّا محض تشبيه لهم ... باللَّه وهو فأقبح البهتان
ما قصدهم تعظيمه سبحانه ... ما عطّلوا الأوصاف للرّحمٰن
لكن أخو التعطيل ليس لديه إلّا ... النفي أين النفي من إيمان
والقلب ليس يقرّ إلّا بالتعبـ ... ـد فهو يدعوه إلى الأكوان
فترى المُعَطّل دائما في حيرة ... مُتَنَقّلاً في هذه الأعيان
يدعو إلٰهًا ثمَّ يدعو غيره ... ذا شأنه أبدًا مدى الأزمان
وترى الموحد دائمًا مُتَنَقّلاً ... بمنازل الطاعات والإحسان
ما زال ينزل في الوفاء منازلا ... وهي الطريق له إلى الرّحمٰن
لكنّما معبوده هو واحد ... ما عنده ربان معبودان

فصل
في مثل المشرك والمُعَطّل

أين الذي قد قال في مَلِكٍ عظيـ ... ـم لست فينا قطّ ذا سلطان
ما في صفاتك من صفات الملك شَيْ ... ءٌ كلها مسلوبة الوجدان
فهل استويت على سرير الملك أو ... دبّرت أمر الملك والسّلطان
أو قلت مرسومًا تُنَفّذُهُ الرعا ... يا أو نطقت بلفظة ببيان
أو كنت ذا أمر وذا نهي وتكـ ... ـليم لمن وافى من البلدان
أو كنت ذا سمع وذا بصر وذا ... علم وذا سخط وذا رضوان
أو كنت قط مكلّمًا متكلّمًا ... متصرّفًا بالفعل كُلّ زمان
أو كنت حيًّا فاعلاً بمشيئة ... وبقدرة أفعال ذي السّلطان

(١) الجدوى: العطية.

أو كنت تفعل ما تشاء حقيقة الـ ... فعل الذي قد قام بالأذهان
فعل يقوم بغير فاعله محا ... ل غير معقول لدى الإنسان
بل حالة الفعّال قبل ومع وبعـ ... ـد هي التي كانت بلا فرقان
واللَّه لست بفاعل شيئًا إذا ... ما كان شأنك مثل هذا الشان
لا داخلاً فينا ولست بخارج ... عنّا خيالًا دُرْتَ في الأذهان
فبأي شيء كنت فينا مالكًا ... مَلِكًا مطاعًا قاهر السلطان
اسمًا ورَسْمًا لا حقيقة تحته ... شأن الملوك أجل من ذا الشأن
هذا وثانٍ قال أنت مليكنا ... وسواك لا نرضاه من سلطان
إذ حزت أوصاف الكمال جميعها ... ولأجل ذا دانت لك الثقلان
وقد استويت على سرير الملك واسـ ... ـتَوْليت مع هذا على البلدان
لكنّ بابك ليس يغشاه امرؤ ... إن لم يجيء بالشافع المعوان
ويذلّ للبوّاب والحُجّاب والشـ ... ـفعاء أهل القرب والإحسان
أفيستوي هذا وهذا عندكم ... واللَّه ما استويا لدى إنسان
والمشركون أخف في كُفْرانهم ... وكلاهما من شيعة الشيطان
إن المُعَطّل بالعداوة قائم ... في قالب التنزيه للرّحمٰن

فصل
فيما أعد اللَّه تعالى من الإحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان

هذا وللمتمسكين بسنة الـ ... ـمختار عند فساد ذي الأزمان
أجر عظيم ليس يقدُرُ قدره ... إلّا الذي أعطاه للإنسان
فروى أبو داود في سنن له ... ورواه أَيضًا أحمد الشيباني
أثرًا تضمن أجر خمسين امرأً ... من صحب أحمد خيرة الرّحمٰن[1]

(١) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٣٤١) والترمذي في سننه برقم (٣٠٥٨) وأحمد في المسند (٢/ ٣٩٠) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه سئل: كيف تقول في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: =

إسناده حسن ومصداق له ... في مسلم فافهمه فهم بيان
إن العبادة وقت هرج هجرة ... حقًّا إليّ وذاك ذو برهان
هذا وكم من هجرة لك أيُّها السُّـ ... ـنِّيُّ بالتحقيق لا بأماني
هذا وكم من هجرة لهم لما ... قال الرّسول وجاء في القرآن
ولقد أتى مصداقه في الترمذي ... لمن له أُذُنان واعيتان
في أجر محيي سنة ماتت فذا ... ك مع الرّسول رفيقه بجنان
هذا ومصداقٌ له أَيضًا أتى ... في الترمذي لمن له عينان
تشبيه أمّته بغيث أول ... منه وآخره فمشتبهان[1]
فلذاك لا يُدرى الذي هو منهما ... قد خُصّ بالتفضيل والرجحان
ولقد أتى أثر بأن الفضل في الط ... ـرفين أعني أوّلاً والثاني
والوسط ذو ثَبَج فاعوَجُ هكذا ... جاء الحديث وليس ذا نكران
ولقد أتى في الوحي مصداقٌ له ... في الثلّتين وذاك في القرآن
أهل اليمين فثلة مع مثلها ... والسابقون أقلّ في الحسبان[2]
ما ذاك إلّا أنّ تابعهم هم الـ ... ـغرباء ليست غربة الأوطان
لكنّها واللَّه غربة قائم ... بالدِّين بين عساكر الشيطان
فلذاك شبّههم به متبوعهم ... في الغربتين وذاك ذو تبيان

= ١٠٥] فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا المعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله».
والحديث ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف سنن أبي داود برقم (٩٣٤) إلا فقرة أيام الصبر فهي ثابتة.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ١٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله الخير أم آخره».
والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٣٠٢).

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٤].

لم يشبهوهم في جميع أمورهم ... من كُلّ وجه ليس يستويان
فانْظُرْ إلى تفسيره الغرباء بالـ ... مُحْيين سنّته بكُلّ زمان
طوبى لهم والشوق يحدوهم إلى ... أخذ الحديث ومحكم القرآن
طوبى لهم لم يعبأوا[1] بنُحاتَةِ الأ ... فكار أو بزُبالة الأذهان
طوبى لهم ركبوا على متن العزا ... ئم قاصدين لمطلع الإيمان
طوبى لهم لم يعبأوا شيئًا بذي الآ ... راء إذ أغناهم الوحيان
طوبى لهم وإمامهم دون الورى ... من جاء بالإيمان والقرآن
واللَّه ما ائتموا بشخص دونه ... إلا إذا ما دلّهم ببيان
في الباب آثار عظيم شأنها ... أعيت على العلماء في الأزمان
إذ أجمع العلماء أن صحابة الـ ... ـمختار خير طوائف الإنسان
ذا بالضرورة ليس فيه الخُلْفُ بَيْـ ... ـن اثنين ما حُكِيَتْ به قولان
فلذاك ذي الآثار أَعْضَلَ أمرُها ... وبغوا لها التأويل بالإحسان
واسمع إذًا تأويلها وافهمه لا ... تَعْجَل بردٍّ منك أو نكران
إن البدار بردّ شيء لم تُحِطْ ... علمًا به سبب إلى الحرمان
الفضل منه مطلق ومقيّد ... وهما لأهل الفضل مرتبتان
والفضل ذو التقييد ليس بموجب ... فضلاً على الإطلاق من إنسان
لا يوجب التقييد أن يُقْضىٰ له ... بالاستواء فكيف بالرجحان
إذ كان ذو الإطلاق حاز على الفضا ... ئل فوق ذي التقييد بالإحسان
فاذا فرضنا واحدًا قد حاز نو ... عًا لم يَحُزْهُ فاضل الإنسان
لم يوجب التخصيص من فضل عليـ ... ـه ولا مساواة ولا نقصان
ما خلق آدم باليدين بموجب ... فضلا على المبعوث بالقرآن
وكذا خصائص من أتى من بعده ... من كُلّ رسل اللَّه بالبرهان
فمحمدٌ أعلاهم فوقًا وما ... حكمت لهم بمزيّة الرجحان
فالحائز الخمسين أجرًا لم يحز ... ها في جميع شرائع الإيمان
هل حازها في بدرٍ أو أُحُدٍ أو الـ ... ـفتح المبين وبيعة الرضوان

(١) أي لم يبالوا.

بل حازها إذ كان قد عَدِمَ المُعيـ ـن وَهُم فقد كانوا أولي أعوان
والربّ ليس يضيع ما يتحمل الـ ـمُتَحَمّلون لأجله من شان
فتحمّل العبد الضعيف رضاه مع فيض العدوّ وقلّة الأعوان
ممّا يدل على يقين صادق ومحبّة وحقيقة العرفان
يكفيه ذلّاً واغترابًا قلة الـ أنْصار بين عساكر الشيطان
في كُلّ يوم فرقة تغزوه إن ترجع يوافيه الفريق الثاني
فسل الغريب المستضام عن الذي يلقاه بين عِدىً بلا حسبان
هذا وقد بَعُدَ المدى وتطاول الـ عهد الذي هو موجب الإحسان
ولذاك كان كقابض جَمْرًا فسل أحشاءه عن حَرّ ذي النيران
واللَّه أعلم بالذي في قلبه يكفيه علم الواحد المنّان
في القلب أمر ليس يقدر قدره إلّا الذي آتاه للإنسان
برٌّ وتوحيد وصبر مع رضا والشكر والتحكيم للقرآن
سبحان قاسم فضله بين العبا د فذاك مولى الفضل والإحسان
فالفضل عند اللَّه ليس بصورة الـ أعمال بل بحقائق الإيمان
وتفاضل الأعمال يتبع ما يقو م بقلب صاحبها من الإحسان
حتى يكون العاملان كلاهما في رتبة تبدو لنا بعيان
هذا وبينهما كما بين السما والأرض في فَضْلٍ وفي رجحان
ويكون بين ثواب ذا وثواب ذا رُتَبٌ مضاعفة بلا حسبان
هذا عطاء الربّ جلّ جلاله وبذاك تعرف حكمة الدّيّان

فصل
فيما أعد اللَّه تعالى في الجنة
لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

يا خاطب الحور الحسان وطالبًا لوصالهن بجنّة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبـ ـت بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تدري أين مسكنها جَعَلْـ ـتَ السّعي منك لها على الأجفان

ولقد وصفت طريق مسكنها فإن ... رمت الوصال فلا تكن متواني
أسرع وحُثّ السير جهدك إنما ... مسراك هذا ساعة لزمان
فاعشق وحدّث بالوصال النفس وابـ ... ـذل مهرها ما دمت ذا إمكان
واجعل صيامك دون لقياها ويو ... م الوصل يوم الفطر من رمضان
واجعل نعوت جمالها الحادي وَسِرْ ... تَلْقَ المخاوف وهي ذات أمان
لا يلهينّك منزلٌ لعبت به ... أيدي البلى مُذْ سالف الأزمان
فلقد ترحّل عنه كُلّ مسرة ... وتبدلت بالهمّ والأحزان
سجن يضيق بصاحب الإيمان لـ ... ـكن جنّة الماوى لذي الكفران[1]
سكّانها أهل الجهالة والبطا ... لة والسفاهة أنجس السّكّان
وألذّهم عَيْشًا فأجهلهم بحقٍّ ... اللَّه ثمَّ حقائق القرآن
عمرت بهم هذي الديار وأقفرت ... منهم ربوع العلم والإيمان
قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـ ... ـفاني على الجَنّاتُ والرضوان
صحبوا الأماني وابتلوا بحظوظهم ... ورضوا بكُلّ مذلة وهوان
كَدْحًا وكَدًّا لا يُفَتّر عنهم ... ما فيه من غَمٍّ ومن أحزان
واللَّه لو شاهدت هاتيك الصدو ... ر رأيتها كمراجل النيران
ووقودها الشهوات والحسرات والـ ... ـآلام لا تخبو مدى الأزمان
أبدانهم أجداث هاتيك النفو ... س اللائي قد قبرت مع الأبدان
أرواحهم في وحشة وجسومهم ... في كَدْحِها لا في رضا الرّحمٰن
هربوا من الرق الذي خُلِقوا له ... فبُلُوا برقّ النّفس والشيطان
لا ترض ما اختاروه هم لنفوسهم ... فقد ارتضوا بالذّلّ والحرمان
لو ساوت الدنيا جناح بعوضة ... لم يسق منها الربّ ذا الكفران[2]

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سنة (٤/ ٤٨٦) وابن ماجه في سننه برقم (٤١١٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء».
والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٣١٨).

لـكـنّـهـا والـلَّه أحـقـر عـنـده ... مـن ذا الـجـنـاح الـقـاصـر الـطـيـران
ولـقـد تـولّت بَـعْـدُ عـن أصـحـابـهـا ... فـالـسّـعـد مـنـهـا حَـلّ فـي الـدّبـران
لا يُـرْتَـجـى مـنـهـا الـوفـاء لـصـبّـهـا ... أيـــن الـــوفـــا مـــن غـــادر خـــوّان
طُـبِـعَـت عـلى كَـدَرٍ فـكـيـف يـنـالـهـا ... صـفـوًا أهـذا قـطّ فـي الإمـكـان
يـاعـاشـق الـدنـيـا تـأهـب لـلـذي ... قـد نـالـه الـعـشـاق كُـلّ زمـان
أو مـا سـمـعـت بـل رأيـت مـصـارع الـ ... ـعـشـاق مـن شـيـب ومـن شـبّـان

فصل
في صفة الجنة التي أعدها اللَّه ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فـاسـمـع إذًا أوصـافـهـا وصـفـات هـا ... تـيـك الـمـنـازل ربّـة الإحـسـان
هـي جـنـة طـابـت وطـاب نـعـيـمـهـا ... فـنـعـيـمـهـا بـاق ولـيـس بـفـان
دار الـسَّـلام وجـنـة الـمـأوى ومـنـ ... ـزل عَـسْـكـر الإيـمـان والـقـرآن
فـالـدّار دار سـلامـة وخـطـابـهـم ... فـيـهـا سـلام واسْـمُ ذي الـغـفـران

فصل
في عدد درجات الجنة وما بين كُلّ درجتين

درجـاتـهـا مـائـة ومـا بـيـن اثـنـتـيـ ... ـن فـذاك فـي الـتـحـقـيـق لـلحـسـبـان
مـثـل الـذي بـيـن الـسـمـاء وبـيـن هـ ... ـذي الأرض قـول الـصـادق الـبـرهـان
لـكـن عـالـيـهـا هـو الـفـردوس مـسـ ... ـقـوف بـعـرش الـخـالـق الـرّحـمٰـن
وسـط الـجـنـان وعـلـوهـا فـلذاك كـا ... نـت قـبـة مـن أحـسـن الـبـنـيـان
مـنـه تـفـجـر سـائـر الأنـهـار فـالـ ... ـمَـنْـبـوع مـنـه نـازلاً بـجـنـان[1]

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٧٩٠، ٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مئة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة ـ وفوقه عرش الرَّحمٰن ـ ومنه تفجّر أنهار الجنة».

فصل
في أبواب الجنة

أبـوابـهـا حـقٌّ ثـمـانـيـة أتـت ... في النص وهي لصاحب الإحسان
بـاب الـجـهـاد وذاك أعـلاهـا وبـا ... ب الـصـوم يـدعـي الـبـاب بـالـريّـان
ولـكُـلّ سـعـي صـالـح بـاب وربّ ... الـسـعـي مـنـه داخـل بـأمـان
ولـسـوف يـدعـى الـمـرء مـن أبـوابـهـا ... جـمـعًـا إذا وَفّـى حُـلىٰ الإيـمـان
مـنـهـم أبـو بـكـر الـصـديـق ذا ... ك خـلـيـفـة الـمـبـعـوث بـالـقـرآن[1]

فصل
في مقدار ما بين الباب والباب منها

سبعون عـامًـا بـيـن كُـلّ اثـنـيـن مـنـ ... ـهـا قُـدّرت بـالـعَـدّ والـحـسـبـان
هـذا حـديـث لـقـيـط الـمـعـروف بـالـ ... ـخـبـر الـطـويـل وذا عـظـيـم الـشـان
وعـلـيـه كُـلّ جـلالـة ومـهـابـة ... ولـكـم حـواه بـعـد مـن عـرفـان

فصل
في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد

لـكـنّ بـيـنـهـمـا مـسـيـرة أربـعـيـ ... ـن رواه حـبـر الأمـة الـشـيـبـانـي
فـي مـسـنـد بـالـرفـع وهـو لـمـسـلـم ... وقـف كـمـرفـوع بـوجـه ثـان
ولـقـد روي تـقـديـره بـثـلاثـة الـ ... ـأيـام لـكـن عـنـد ذي الـعـرفـان
أعـنـي الـبـخـاري الـرضـا هـو مُـنْـكَـرٌ ... وحـديـث راويـه فـذو نـكـران

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٨٩٧، ٣٦٦٦) ومسلم في صحيحه برقم (١٠٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الريان» قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم وأرجو أن تكون منهم».

فصل
في مفتاح باب الجنة

هذا وفتح الباب ليس بممكن ... إلّا بمفتاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الإخلاص والتو ... حيد تلك شهادة الإيمان
أسنانه الأعمال وهي شرائع الـ ... إسلام والمفتاح بالأسنان
لا تلغين هذا المثال فكم به ... من حَلّ إشكال لذي العرفان

فصل
في منشور الجنة الذي يوقّع به لصاحبها

هذا ومن يدخل فليس بداخل ... إلّا بتوقيع من الرّحمٰن
وكذاك يكتب للفتى لدخوله ... من قبل توقيعان مشهودان
إحداهما بعد الممات وعرض أر ... واح العباد به على الديّان
فيقول ربِّ العرش جلّ جلاله ... للكاتبين وهم أولو الديوان
ذا الاسم في الديوان يُكْتَبُ ذاك دي ... وان الجنان مجاور المنان
ديوان علّيّين أصحاب القرا ... ن وسنة المبعوث بالقرآن
فإذا انتهى للجسر يوم الحشر يُعْ ... طى للدخول إذًا كتابًا ثان
عنوانه هذا كتاب من عزيـ ... ز راحِمٍ لفلان ابن فلان
فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار ... تفعت ولكنّ القطوف دوان
هذا وقد كتب اسمه مذ كان في الـ ... أرحام قبل ولادة الإنسان
بل قبل ذلك هو وقت القَبْضَتَيْـ ... ـن كلاهما للعدل والإحسان
سبحان ذي الجبروت والملكوت والـ ... إجلال والإكرام والسبحان
واللّه أكبر عالم الأسرار والـ ... إعلان واللحظات بالأجفان
والحمد للّه السميع لسائر الـ ... أصوات من سر ومن إعلان
وهو الموحّد والمسبّح والممجّـ ... ـد والحميد ومنزل القرآن
والأمر مِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ له ... سبحانك اللهم ذا السّلطان

فصل
في صفوف أهل الجنة

هذا وإن صفوفهم عشرون مع ... مائة وهذي الأمة الثلثان[١]
يرويه عنه بريدة إسناده ... شرط الصحيح بمسند الشيباني
وله شواهد من حديث أبي هري ... رة وابن مسعود وحبر زمان
أعني ابن عباس وفي إسناده ... رجل ضعيف غير ذي اتقان
ولقد أتانا في الصحيح بأنهم ... شَطْرٌ وما اللفظان مختلفان
إذ قال أرجو أن تكونوا شطرهم ... هذا رجاء منه للرّحمٰن
أعطاه ربُّ العرش ما يرجو وزا ... د من العطاء فعال ذي الإحسان[٢]

فصل
في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرة فوجوههم ... كالبدر ليل الست بعد ثمان
السابقون هُمُ وقد كانوا هنا ... أَيضًا أولي سبق إلى الإحسان

فصل
في صفة الزمرة الثانية

والزمرة الأخرى كأضوأ كوكب ... في الأفق تنظره به العينان
أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسـ ... ـك خالص يا ذلة الحرمان[٣]

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٦٨٣) وابن ماجه في سننه برقم (٤٢٨٩) وأحمد في المسند برقم (٢٣٣٢٨) من حديث بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومئة صف، منهم ثمانون من هذه الأمة».
والحديث صححه العلامة الألباني ﷺ في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٤٦٢).

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٢٨، ٦٦٤٢) ومسلم في صحيحه برقم (٢٢١) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» قال: فكبّرنا، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة...» الحديث.

(٣) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه بالأرقام (٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤، ٣٣٢٧) =

فصل
في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى

ويرى الذين بذيلها من فوقهم ... مثل الكواكب رؤية بعيان
ما ذاك مختصًّا برسل اللَّه بل ... لهم وللصّدّيق ذي الإيمان

فصل
في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلاهم فناظر ربه ... في كُلّ يوم وَقْتُهُ الطّرفان
لكن أدناهم وما فيهم دني ... إذ ليس في الجَنّاتُ من نقصان
فهو الذي تُلْفى مسافة ملكه ... بسنيننا ألفان كاملتان
فيرى بها أقصاه حقًّا مثل رؤ ... يته لأدناه القريب الدّاني
أو ما سمعت بأن آخر أهلها ... يعطيه ربُّ العرش ذو الغفران
أضعاف دنيانا جميعًا عشر أمـ ... ثال لها سبحان ذي الإحسان

فصل
في ذكر سن أهل الجنة

هذا وسنّهم ثلاث مع ثلا ... ثين التي هي قوة الشبان
وصغيرهم وكبيرهم في ذا على ... حدٍّ سواء ما سوى الولدان
ولقد روى الخدري أَيضًا أنهم ... أبناء عشر بعدها عشران
وكلاهما في الترمذي وليس ذا ... بتناقض بل ها هنا أمران

= من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرىء منهم زوجتان، كل واحدة منهما يُرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشيّا، لا يسقمون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، وقود مجامرهم الألوّة، ورشحهم المسك».

حذف الثلاث ونيّف بعد العقو د وذكر ذلك عندهم سِيّان
عند اتساع في الكلام فعندما يأتوا بتحرير فبالميزان

فصل
في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

والطول طول أبيهم ستون لـ كن عرضهم سبع بلا نقصان
الطول صح بغير شكٍّ في الصحيـ ـحين اللذين هما لنا شمسان
والعرض لم نعرفه في إحداهما لكن رواه أحمد الشيباني
هذا ولا يخفى التناسب بين هـ ـذا العرض والطول البديع الشان
كُلّ على مقدار صاحبه وذا تقدير مُتْقِنِ صنعة الإنسان

فصل
في حلاهم وألوانهم

ألوانهم بيض وليس لهم لِحى جعد الشعور مكحّلو الأجفان
هذا كمال الحسن في أبشارهم وشعورهم وكذلك العينان

فصل
في لسان أهل الجنة

ولقد أتى أثر بأن لسانهم بالمنطق العربي خير لسان
لكنّ في إسناده نظرًا ففيـ ـه راويان وما هما ثبتان
أعني العلاء هو ابن عمرو ثمَّ يحـ ـيى الأشعري وذان مغموزان

فصل
في ريح أهل الجنة من مسيرة كم توجد

والريح توجد من مسيرة أربعيـ ـن وإن تشأ مائة فمرويّان[1]

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣١٦٦، ٦٩١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا».

وكذا روى سبعين أَيضًا صح هـ ... ـذا كـلّه وأتـى بـه أثـران
ما في رجالهما لنا من مطعن ... والجمع بين الكُلّ ذو إمكان
وقد أتى تقديره مائة بخمـ ... ـس ضربها من غير ما نُقْصان
إن صح هذا فهو أَيضًا والذي ... من قبله في غاية الإمكان
إما بحسب المدركين لريحها ... قُرْبًا وبُعْدًا ما هما سيّان
أو باختلاف قرارها وعلوّها ... أَيضًا وذلك واضح التبيان
أو باختلاف السير أَيضًا فهو أنـ ... ـواع بقدر إطاقة الإنسان
ما بين ألفاظ الرّسول تناقض ... بل ذلك في الأفهام والأذهان

فصل
في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

ونظير هذا سبق أهل الفقر لل ... ـجَنّاتُ في تقديره أثران[1]
مائة بخمس ضربها أو أربعيـ ... ـن كلاهما في ذاك محفوظان
فأبو هريرة قد روى أولاهما ... وروى لنا الثاني صحابيّان
هذا بحسب تفاوت الفقراء في اسْـ ... ـتحقاق سبقهم إلى الإحسان
أو ذا بحسب تفاوت في الأغنيا ... ء كلاهما لا شك موجودان
هذا وأوّلهم دخولاً خير خل ... ق اللَّه من قد خُصّ بالقرآن
والأنبياء على مراتبهم من التـ ... ـفضيل تلك مواهب المنان
هذا وأمة أحمد سُبّاق بَا ... قِي الخلق عند دخولهم بجنان
وأحقّهم بالسّبْق أسبقهم إلى الـ ... إسلام والتصديق بالقرآن
ولذا أبو بكر هو الصديق أسـ ... ـبقهم دخولاً قول ذي البرهان
وروى ابن ماجه أن أوّلهم يُصا ... فِحُهُ إلٰه العرش ذو الإحسان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٣٥٣) وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»
والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم (١٩١٨).

ويكون أوّلهم دخولاً جنة الـ ـفردوس ذلك قامع الكفران
فاروق دين اللّه ناصر قوله ـ ورسوله وشرائع الإيمان
لكنّه أثر ضعيف فيه مجـ ـروح يسمّى خالدًا ببيان
لو صَحّ كان عمومه المخصوص بالصـ ـديق قطعًا غير ذي نكران
هذا وأوّلهم دخولاً فهو حمـ ـاد على الحالات للرّحمٰن
إن كان في السراء أصبح حامدًا أو كان في الضرا فَحَمْدٌ ثان
هذا الذي هو عارف بإلٰهه وصفاته وكماله الرباني
وكذا الشهيد فسبقه متيقّن وهو الجدير بذلك الإحسان
وكذلك المملوك حين يقوم بالـ ـحقّين سبّاقًا بغير توان
وكذا فقير ذو عيال ليس بالـ ـملحاح بل ذو عفّة وصيان

فصل
في عدد الجَنّات وأجناسها

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة جدًّا ولكن أصلها نوعان
ذهبيّتان بكُلّ ما حوتاه من حَلْيٍ وآنية ومن بُنْيان
وكذاك أَيضًا فِضّةٌ ثنتان من حَلْيٍ وبنيان وكُلّ أوان
لكن دار الخلد والمأوى وعد ن والسَّلام إضافة لمعان
أوصافها استدعت إضافتها إليـ ـها مدحة مع غاية التّبْيان
لكنّما الفردوس أعلاها وأو سطها مساكن صفوة الرّحمٰن
أعلاه منزلة لأعلى الخلق منـ ـزلة هو المبعوث بالقرآن
وهي الوسيلة وهي أعلى رتبة خلصت له فضلاً من الرّحمٰن
ولقد أتى في سورة الرّحمٰن تفـ ـصيل الجنان مفصلاً ببيان
هي أربع ثنتان فاضلتان ثم يليهما ثنتان مفضولان
فالأوليان الفُضْلَيان لأوجه عشر ويعسر نظمها بوزان
وإذا تأملت السّياق وجدتَها فيه تلوح لمن له عينان
سبحان من غرست يداه جنة الـ ـفردوس عند تكامل البُنْيان

ويداه أَيضًا أتقنت لبنائها ... فتبارك الرّحمٰن أعظم بان
هي في الجنان كآدم وكلاهما ... تفضيله من أجل هذا الشّان
لكنّما الجَهْميّ ليس لديه من ... ذا الفضل شيء فهو ذو نكران
ولدٌ عقوق عقّ والده ولم ... يثبت بذا فضلاً على شيطان
فكلاهما تأثير قدرته وتأ ... ثير المشيئة ليس ثمَّ يدان
إلّا هما أو نعمتاه وخلقه ... كُلّ بنعمة ربه المنان
لما قضى ربِّ العباد الغرس قا ... ل تكلمي فتكلمت ببيان
قد أفلح العبد الذي هو مؤمن ... ماذا ادّخرت له من الإحسان
ولقد روى حقًّا أبو الدرداء ذا ... ك عويمر أثرًا عظيم الشان
يهتز قلب العبد عند سماعه ... طربًا بقدر حلاوة الإيمان
ما مثله أبدًا يقال برأيه ... أو كان يا أهلا بذا العرفان
فيه النزول ثلاث ساعات فإحـ ... ـداهن ينظر في الكتاب الثاني
يمحو ويثبت ما يشاء بحكمة ... وبعزة وبرحمة وحنان
فترى الفتى يمسي على حال ويصـ ... ـبح في سواها ما هما مثلان
هو نائم وأموره قد دبّرت ... ليلاً ولا يدري بذاك الشان
والساعة الأخرى إلى عدن مسا ... كن أهله هم صفوة الرّحمٰن
الرسل ثمَّ الأنبياء ومعهم الصـ ... ـديق حسب فلا تكن بجبان
فيها الذي والله لا عين رأت ... كَلّا ولا سمعت به الأذنان
كَلّا ولا قلب به خطر المثا ... ل له تعالى اللَّه ذو السّلطان
والساعة الأخرى إلى هذي السما ... ء يقول هل من تائب ندمان
أو داع أو مستغفر أو سائل ... أعطيه إني واسع الإحسان
حتى تصلي الفجر يشهدها مع الـ ... أملاك تلك شهادة القرآن
هذا الحديث بطوله وسياقه ... وتمامه في سنّة الطبراني

فصل
في بناء الجنة

وبناؤها اللبنات من ذهب وأخـ ـرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد أو فضة أو خالص العقيان[1]
وكذاك من دُرٍّ وياقوت به نظم البناء بغاية الاتقان
والطين مسك خالص أو زعفرا ن جا بذا أثران مقبولان
ليسا بمختلفين لا تنكرهما فهما الملاط لذلك البُنْيان

فصل
في أرضها وحصبائها وتربتها

والأرض مرمرة كخالص فضّة مثل المِراة تنالها العينان
في مسلم تشبيهها بالدّرْمك الصـ ـافي وبالمسك العظيم الشأن
هذا لحسن اللون لكن ذا لطيـ ـب الريح صار هناك تشبيهان
حصباؤها در وياقوت كذا لك لآلىء نُثِرَت كنثر جُمان
وترابها من زعفران أو من الـ ـمسك الذي ما استلّ من غزلان

فصل
في صفة غرفاتها

غرفاتها في الجو ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان
سكّانها أهل القيام مع الصيا م وطَيّب الكلمات والإحسان
ثنتان خالص حَقّه سبحانه وعبيده أَيضًا لهم ثنتان

فصل
في خيام أهل الجنة

للعبد فيها خيمة من لؤلؤ قد جوفت هي صنعة الرّحمٰن

(١) وهو الذهب الخالص.

ستون ميلا طولها في الجو في كُلّ الزوايا أجمل النِّسوان
يغشى الجميع فلا يشاهد بعضهم بعضًا وهذا لاتساع مكان
فيها مقاصير بها الأبواب من ذهب ودُرٍّ زين بالمرجان
وخيامها منصوبة برياضها وشواطئ الأنهار ذي الجريان
ما في الخيام سوى التي لو قابلت للنَّيِّرين لقلت منكسفان
للَّه هاتيك الخيام فكم بها للقلب من علق ومن أشجان
فيهنّ حور قاصرات الطرف خيـ ـرات حسان هُنّ خير حسان
خيرات أخلاق حسان أوجُهَا فالحسن والإحسان متفقان

فصل
في أرائكها وسررها

فيها الأرائك وهي من سرر عليـ ـهن الحجّال كثيرةُ الألوان
لا تستحق اسم الأرائك دون ها تيك الحجّال وذاك وضع لسان
بَشْخانَةٌ يدعونها بلسان فا رس وهو ظهر البيت ذي الأركان

فصل
في أشجارها وظلالها وثمارها

أشجارها نوعان منها ما له في هذه الدنيا مثال دان
كالسّدر أصل النبق مخضود مكا ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
هذا وظل السدر من خير الظّلا ل ونفعُهُ الترويح للأبدان
وثماره أَيضًا ذوات منافع من بعضها تفريح ذي الأحزان
والطلح وهو الموز منضود كما نُضِدَتَ يدٌ بأصابع وبنان
أو أنه شجر البوادي موقَرًا حَمْلاً مكان الشوك في الأغصان
وكذلك الرمان والأعناب والنـ ـخل التي منها القطوف دوان
هذا ونوع ما لَهُ في هذه الد نيا نظير كي يرى بعيان
يكفي من التعداد قول إلٰهنا من كُلّ فاكهة بها زوجان

وأتوا به متشابهًا في اللون مخـ ـتلف الطُّعوم فذاك ذو ألوان[١]
أو أنه متشابه في الاسم مخـ ـتلف الطعوم فذاك قول ثان
أو أنه وسط خيارٌ كلّه فالفحل منه ليس ذا ثنيان
أو أنه لثمارنا ذو شَبَهٍ في اسم ولون ليس يختلفان
لكن لهجتها ولذة طعمها أمر سوى هذا الذي تجدان
فيلذّها في الأكل عند منالها وتلذها من قبله العينان
قال ابن عباس وما بالجنة الـ ـعليا سوى أسماء ما تريان
يعني الحقائق لا تماثل هذه وكلاهما في الاسم متفقان
يا طيب هاتيك الثمار وغرسها في المسك ذاك التُّرْب للبستان
وكذلك الماء الذي يسقى به يا طيب ذاك الورد للظمآن
وإذا تناولت الثمار أتت نظيـ ـرتها فحلّت دونها بمكان
لم تنقطع أبدًا ولم ترقب مسيـ ـر الشمس من حَمَلٍ إلى ميزان
وكذاك لم تمنع ولم تحتج إلى أن تُرْتَقىٰ للقِنْو في العيدان
بل ذُلّلَت تلك القطوف فكيف ما شئت انتزعت بأسهل الإمكان
ولقد أتى أثر بأن الساق من ذهب رواه الترمذي ببيان
قال ابن عباس وهاتيك الجذو ع زمرد من أحسن الألوان
ومقطّعاتهم من الكرم الذي فيها ومن سعف من العقيان
وثمارها ما فيه من عجم كأمـ ـثال القلال فجلّ ذو الإحسان
وظلالها ممدودة ليست تقي حرا ولا شَمْسًا وأنى ذان
أو ما سمعت بظلّ أصل واحد فيه يسير الراكب العجلان
مائة سنين قُدّرت لا تنقضي هذا لِعُظْمِ الأصل والأَفْنان[٢]

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٨٨١) ومسلم في صحيحه برقم (٢٨٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

ولقد روى الخدري أَيضًا أن طو بى قدرها مائة بلا نقصان
تتفتّح الأكمام فيها عن لبا سهم بما شاءوا من الألوان

فصل
في سماع أهل الجنة

قال ابن عباس ويرسل ربنا ريحًا تَهُزّ ذوائب الأغصان
فتثير أصواتًا تلذّ لمسمع الـ إنسان كالنغمات بالأوزان
يا لذة الأسماع لا تتعوّضي بلذاذة الأوتار والعيدان
أو ما سمعت سماعهم فيها غنا ء الحور بالأصوات والألحان
واهًا لذيّاك السماع فإنه ملئت به الأذنان بالإحسان
واهًا لذيّاك السماع وطيبه من مثل أقمار على أغصان
واهًا لذيّاك السماع فكم به للقلب من طَرَبٍ ومن أشجان
واهًا لذيّاك السماع ولم أقل ذيّاك تصغيرًا له بلسان
ما ظن سامعه بصوت أطيب الـ أصوات من حور الجنان حسان
نحن النواعم والخوالد خَيّرا ت كاملات الحسن والإحسان
لسنا نموت ولا نخاف وما لنا سُخْطٌ ولا ضِغْنٌ من الأضغان
طوبى لمن كنا له وكذاك طو بى للذي هو حظّنا الحقاني
في ذاك آثار رويـ ـن وذكرها في الترمذي ومعجم الطبراني
ورواه يحيى شيخ الأوزاعي تفـ ـسيرًا للفظة يُحْبَرونَ أغان
نزه سماعك إن أردت سماع ذيّـ ـاك الغِنا عن هذه الألحان
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتُحْـ ـرم ذا وذا يا ذلة الحرمان
إن اختيارك للسماع النازل الـ أدنى على الأعلى من النقصان
واللَّه إنّ سماعهم في القلب والـ إيمان مثل السمّ في الأبدان
واللَّه ما انفكّ الذي هو دأبه أبدًا من الإشراك بالرّحمٰن
فالقلب بيت الربّ جلّ جلاله حبًّا وإخلاصًا مع الإحسان
فإذا تعلق بالسماع أصاره عبدًا لكُلّ فلانة وفلان

حبّ الكتاب وحبّ ألحان الغنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان
ثَقُلَ الكتاب عليهم لمّا رأوا ... تقييده بشرائع الإيمان
واللّهوُ خَفّ عليهم لمّا رأوا ... ما فيه من طَرَبٍ ومن ألحان
قوت النفوس وإنّما القُرآن قو ... ت القلب أنّى يستوي القوتان
ولذا تراه حظ ذي النقصان كالـ ... ـجهال والصّبيان والنِّسوان
وألذهم فيه أقلّهم من الـ ... ـعقل الصحيح فسل أخا العرفان
يا لذة الفسّاق لست كلذة الـ ... أبرار في عَقْلٍ ولا قرآن

فصل
في أنهار الجنة

أنهارها في غير أخدود جرت ... سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاءوا مفجّـ ... ـرة وما للنّهر من نقصان
عسل مصفى ثمَّ ماء ثمَّ خمـ ... ـر ثمَّ أنهار من الألبان
واللَّه ما تلك المواد كهذه ... لكن هما في اللفظ مجتمعان
هذا وَبَيْنَهُما يسير تشابه ... وهو اشتراك قام بالأذهان
أتظنّها محلوبة من باقر ... أو ناقة أو ماعز أو ضان

فصل
في طعام أهل الجنة

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم ... ولحوم طير ناعم وسمان
وفواكه شتى بحسب مُناهم ... يا شبعة كَمُلت لذي الإيمان
لحم وخمر والنسا وفواكه ... والطيب مع رَوْحٍ ومع ريحان
وصحافُهُم ذَهَبٌ تطوفُ عليهم ... بأكفّ خُدّام من الولدان
وانظر إلى جعل اللّذاذة للعيو ... ن وشهوةٍ للنّفس في القرآن
للعين منها لذة تدعو إلى ... شهواتها بالنّفس والأمران
سبب التناول وهو يوجب لذةً ... أخرى سِوىٰ ما نالت العينان

فصل
في شرابهم

يُسْقَوْنَ فيها من رحيق ختمه ... بالمسك أَوّلُهُ كمثل الثاني[1]
مع خمرة لذت لشاربها بلا ... غَوْلٍ ولا داء ولا نقصان[2]
والخمر في الدنيا فهذا وصفها ... تغتال عقل الشارب السكران
وبها من الأدواء ما هي أهله ... ويُخاف من عدم لذي الوجدان
فنفى لنا الرّحمٰن أجمعها عن الـ ... ـخمر التي في جنّة الحيوان
وشرابهم من سلسبيل مزجه الـ ... ـكافور ذاك شراب ذي الإحسان
هذا شراب أولي اليمين ولكن الـ ... ـأبرار مشربهم شراب ثان
يُدعىٰ بتسنيم سنام شرابهم ... شِرْبُ المقرّب خيرة الرّحمٰن
صفّى المقرّب سَعْيَهُ فصفا له ... ذاك الشراب فتلك تصفيتان
لكن أصحاب اليمين فأهل مز ... ج بالمباح وليس بالعصيان
مزج الشراب لهم كما مزجوا هم الـ ... ـأعمال ذاك المزج بالميزان
هذا وذو التخليط مُرْجًى أمره ... والحكم فيه لربه الديّان

فصل
في مصرف طعامهم وشرابهم وهضْمه

هذا وتصريف المآكُلّ منهم ... عرق يفيض لهم من الأبدان
كروائح المسك الذي ما فيه خل ... طٌ غيرُهُ من سائر الألوان
فتعودُ هاتيك البطون ضوامِرًا ... تبغي الطعام على مدى الأزمان
لا غائط فيها ولا بول ولا ... مَخْطٌ ولا بَصْقٌ من الإنسان
ولهم جشاء ريحه مسك يكو ... ن به تمام الهضم للإنسان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦].

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧].

هـذا وهـذا صـح عـنـه فـواحـد فـي مـسـلم ولأَحْـمَـدَ الأثـران

فصل
في لباس أهل الجنة

وهـم الـملوك عـلى الأسرة فـوق هـا تـيـك الـرؤوس مـرصّـع الـتـيـجـان
ولـباسـهـم مـن سـنـدس خـضـر ومـن اسـتـبـرق نـوعـان مـعـروفـان[1]
مـا ذلـك مـن دود بـنـى مـن فـوقـه تـلك الـبـيـوت وعـاد ذا طـيـران
كَلّا ولا نسجت على المنوال نسـ ـج ثـيـابـنـا بـالـقـطـن والـكـتـان
حـلل تُشَـقّ ثـمـارهـا عـنـهـا فـتـبـ ـدو كـالـرّيـاط بـأحـسـن الألـوان
بـيـض وخـضـر ثـمَّ صـفـر ثـمَّ حـمـ ـر شُـبّـهـت بـشـقـائـق الـنـعـمـان
لا تَـقْـبَـلُ الـدّنـس الـمـقـرّب لـلـبـلى مـا لـلـبـلى فـيـهـن مـن سـلـطـان
ونـصـيـف إحـداهـن وهـو خـمـارهـا لـيـسـت لـه الـدنـيـا مـن الأثـمـان
سـبـعـون مـن حـلل عـلـيـهـا لا تـعـو ق الـطـرف عـن مـخّ ورا الـسّـيـقـان
لـكـن تـراه مـن ورا ذا كـلّه مـثـل الـشـراب لـذي زجـاج أوان

فصل
في فرشهم وما يتبعها

والـفـرش مـن إسْـتَـبْـرق قـد بُـطّـنـت مـا ظـنـكـم بـظـهـارةٍ لِبـطـان
مـرفـوعـة فـوق الأسـرة يـتّـكـي هـو والـحـبـيـب بِـخَـلْوَةٍ وأمـان
يـتـحـدّثـان عـلى الأرائـك مـا تـرى حِـبّـيْـن فـي الـخـلوات يَـنْـتَـجِـيـان
هـذا وكـم زِرْبِـيّـةٍ ونـمـارقٍ ووسـائـدٍ صُـفّـت بـلا حُـسْـبـان

فصل
في حُلِيّ أهل الجنة

والـحَـلْيُ أصـفـى لـؤلـؤ وزبـرجـد وكـذاك أسـورةٌ مـن الـعِـقْـيـان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].

ما ذاك يختص الإناث وإنما ... هو للإناث كذاك للذكران
التاركين لباسه في هذه الد ... نيا لأجل لباسه بجنان
أو ما سمعت بأن حِلْيَتَهُم إلى ... حيث انتهاء وضوئِهم بوزان
وكذا وضوء أبي هريرة كان قد ... فازت به العضدان والساقان
وسواه أنكر ذا عليه قائلاً ... ما الساق موضع حلية الإنسان
ما ذاك إلّا موضع الكعبين والزّ ... نْدَيْن لا الساقان والعضدان
وكذاك أهل الفقه مختلفون في ... هذا وفيه عندكم قولان
والراجح الأقوى انتهاء وضوئِنا ... للمرفقين كذلك الكعبان
هذا الذي قد حده الرّحمٰن في الـ ... ـقرآن لا تعدل عن القرآن
واحفظ حدود الربّ لا تتعدّها ... وكذاك لا تَجْنَحْ إلى النّقصان
وانظر إلى فعل الرّسول تجده قد ... أبدى المراد وجاء بالتّبيان
ومن استطاع يطيل غُرّتَه فَمَو ... قوف على الراوي هو الفوقاني
فأبو هريرة قال ذا من كيسه ... فغدا يُمَيّزُه أولو العرفان
ونعيمٌ الراوي له قد شك في ... رفع الحديث كذا روى الشيباني
وإطالة الغرّات ليس بممكن ... أبدًا وذا في غاية التّبيان

فصل
في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهنّ ولذة وصالهنّ ومهورهنّ

يا من يطوف بكعبة الحسن التي ... حُفّت بذاك الحجّر والأركان
ويظل يسعى دائمًا حول الصفا ... ومُحَسّر مسعاه لا العلمان
ويروم قربان الوصال على مِنى ... والخَيف يحجُبُه عن القربان
فلذا تراه مُحْرِمًا أبدًا ومَوْ ... ضِعُ حِلِّه منه فليس بدان
يبغي التمتّع مفردًا من حبّه ... متجرّدًا يبغي شفيع قِران
فيظل بالجمرات يرمي قلبه ... هذي مناسكه بكُلّ زمان
والناس قد قَضَوْا مناسكهم وقد ... حَثّوا ركائبهم إلى الأوطان

وحدت بهم هِمَمٌ لهم وعزائم ... نحو المنازل أوّل الأزمان
رُفِعَت لهم في السير أعلام الوصا ... ل فشمّروا يا خيبة الكسلان
ورأوا على بُعْدٍ خيامًا مُشْرِفا ... ت مُشْرِقات النور والبرهان
فتيمّموا تلك الخيام فآنسوا ... فيهن أقمارًا بلا نقصان
من قاصرات الطرف لا تبغى سوى ... محبوبها من سائر الشّبّان
قَصَرَتْ عليه طرفَها من حسنه ... فالطّرْف في ذا الوجه للنسوان
أو أنها قصرت عليها طرفه ... من حسنها فالطرف للذكران
والأول المعهود من وضع الخطا ... ب فلا تَجِدْ عن ظاهر القرآن
ولربما دلت إشارتُه على الثـ ... ـاني فتلك إشارة لمعان
هذا وليس القاصرات كمن غدت ... مقصورة فهما إذًا صنفان
يا مطلق الطرف المعذب في الأُلى ... جُرِّدْن عن حسن وعن إحسان
لا تَسْبِيَنّك صورة من تحتها الدّ ... اءُ الدّويّ تبوء بالخسران
قَبُحَت خلائقها وقُبّحَ فعلها ... شيطانة في صورة الإنسان
تنقاد للأنذال والأرذال هم ... أكفاؤها من دون ذي الإحسان
ما ثَمَّ من دين ولا عقل ولا ... خُلُقٍ ولا خَوْف من الرّحمٰن
وجمالها زور ومصنوع فإن ... تركته لم تطمح لها العينان
طُبِعَت على ترك الحفاظ فما لها ... بوفاء حقِّ البَعْلِ قط يدان
ان قصّر الساعي عليها ساعة ... قالت وهل أوليت من إحسان
أو رام تقويمًا لها استعصت ولم ... تقبل سوى التعويج والنقصان
أفكارها في المكر والكيد الذي ... قد حار فيه فكرة الإنسان
فجمالها قِشْرٌ رقيق تحته ... ما شئت من عيب ومن نقصان
نقد رديء فوقه من فضة ... شيء يظن به من الأثمان
فالناقدون يرون ماذا تحته ... والناس أكثرهم من العميان
أما جميلات الوجوه فخائنا ... ت بعولهن وهُنّ للأخدان
والحافظات الغيب منهن التي ... قد أصبحت فَرْدًا من النِّسوان
فانْظُرْ مصارع من يليك ومن خلا ... من قبل من شيب ومن شُبّان

وارغب بعقلك أن تبيع العالِيَ الـ ـباقي بذا الأدنى الذي هو فان
إن كان قد أعياك خَوْدٌ[1] مثل ما تبغي ولم تظفر إلى ذا الآن
فاخطب من الرّحمٰن خوْدًا ثمَّ قَدّ م مهرها ما دمت ذا إمكان
ذاك النكاح عَلَيْك أيسر إن يكن لك نسبة للعلم والإيمان
واللَّه لم تخرج إلى الدنيا للذّ ة عيشها أو للحطام الفاني
لكن خرجت لكي تُعِدّ الزاد لد أخرى فجئت بأقبح الخسران
أهملت جمع الزاد حتى فات بل فات الذي ألهاك عن ذا الشان
واللَّه لو أنّ القلوب سليمة لتقطعت أسفًا من الحرمان
لكنّها سكرى بحبّ حياتها الد نيا وسوف تُفيقُ بعد زمان

فصل

فاسمع صفات عرائس الجَنّاتُ ثمَّ اخ تر لنفسك يا أخا العرفان
حور حسان قد كَمُلْنَ خلائقًا ومحاسنًا من أجمل النِّسوان
حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد أُلْبِست فالطّرْف كالحيران
ويقول لَمّا أن يشاهد حسنها سبحان معطي الحسن والإحسان
والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النّشوان
كَمُلَت خلائقها وأكمل حُسْنُها كالبدر ليل السّتّ بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان
فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ليل وشمس كيف يجتمعان
فيقول سبحان الذي ذا صنعه سبحان متقن صنعة الإنسان
لا الليل يدرك شمسها فتغيب عند مجيئه حتى الصباح الثاني
والشمس لا تأتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان
وكلاهما مرآة صاحبه إذا ما شاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان
حمر الخدود ثغورهن لآلئ سود العيون فواتر الأجفان

(١) الخَوْد: الفتاة الجميلة الشابة.

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران
ولقد روينا أن برقًا ساطعًا ... يبدو فيسأل عنه من بجنان
فيقال هذا ضوء ثَغْرٍ ضاحك ... في الجنة العليا كما تريان
للَّه لاثِمُ ذلك الثغر الذي ... في لثمه إدراك كُلّ أماني
ريانة الأعطاف من ماء الشبا ... ب فغصنها بالماء ذو جريان
لما جرى ماء النّعيم بغصنها ... حمل الثّمار كثيرة الألوان
فالورد والتفاح والرمان في ... غصن تعالى غارس البستان
والقَدّ[1] منها كالقضيب[2] اللَّدن[3] في ... حسن القوام كأوسط القُضْبان
في مغرس كالعاج تحسب أنه ... عالي النّقا أو واحد الكثبان
لا الظهر يلحقها وليس ثُدِيّها ... بلواحق للبطن أو بدوان
لكنّهن كواعبٌ ونواهد ... فنهودهن كألطف الرمان
والجيد ذو طول وحسن في بيا ... ض واعتدال ليس ذا نكران
يشكو الحليّ بعاده فله مدى الـ ... أيام وَسْواسٌ من الهجران
والمعصمان فإن تشأ شبّهْهُما ... بسبيكَتَيْن عليهما كفّان
كالزبد لينًا في نعومة ملمس ... أصداف دُرٍّ دُوّرَت بوزان
والصدر متسع على بطن لها ... حَقّت به خصران ذات ثمان
وعليه أحسن سُرّة هي مجمع الـ ... خصرين قد غارت من الأعكان
حق من العاج استدار وحوله ... حبات مسك جلّ ذو الإتقان
وإذا انحدرت رأيت أمرًا هائلاً ... ما للصفات عليه من سلطان
لا الحيض يغشاه ولا بول ولا ... شيء من الآفات في النِّسوان
فخذان قد حفّا به حرسًا له ... فجنابه في عزة وصيان
قاما بخدمته هو السّلطان بيـ ... نهما وحق طاعة السّلطان
وهو المطاع أميره لا ينتهي ... عنه ولا هو عنده بجبان

(١) أي القامة.
(٢) أي الغصن.
(٣) أي: اللين من كل شيء.

وجماعها فهو الشفاء لصبّها ... فالصبّ منه ليس بالضَّجْران
وإذا يجامعها تعود كما انتشت ... بكرًا بغَيْر دم ولا نقصان
فهو الشهي وعضوه لا ينثني ... جاء الحديث بذا بلا نكران
ولقد روينا أن شغلهم الذي ... قد جاء في «يس» دون بيان
شغل العروس بعرسه من بعد ما ... عبثت به الأشواق طول زمان
باللَّه لا تسأله عن أشغاله ... تلك الليالي شأنه ذو شان
واضربْ لهم مثلًا بصبٍّ غابَ عن ... محبوبه في شاسع البلدان
والشوق يزعجه إليه وما له ... بلقائه سبب من الإمكان
وافى إليه بعد طول مغيبه ... عنه وصار الوصل ذا إمكان
أتلومه أن صار ذا شغل به ... لا والَّذي أعطى بلا حسبان
يا ربِّ غَفْرًا قد طغت أقلامنا ... يا ربِّ معذرة من الطغيان

فصل

أقدامها من فضّة قد ركبت ... من فوقها ساقان ملتفّان
والساق مثل العاج ملموم يُرىٰ ... مخّ العظام وراءه بعيان
والريح مسك الجسوم نواعم ... واللون كالياقوت والمرجان
وكلامها يسبي العقول بنَغْمَة ... زادت على الأوتار والعيدان
وهي العروب بشكلها وبِدَلِّها ... وتحبّب للزوج كُلّ أوان
وهي التي عند الجماع تزيد في ... حركاتها للعين والآذان
لُطْفًا وحسن تبعّل وتغنّج ... وتحبّب تفسير ذي العرفان
تلك الحلاوة والملاحة أوجبا ... إطلاق هذا اللفظ وضع لسان
فملاحة التصوير قبل غناجها ... هي أوّل وهي المحلّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لصبٍّ وامق[1] ... بلغت به اللذات كُلّ مكان

(١) الوامق: المحب.

فصل

أتـراب سـن واحـد مـتـمـاثـل سـنّ الـشـبـاب لأجـمـل الـشـبـان
بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى الـ ـمحبوب من إنس ولا من جان
حصنٌ عليه حارس من أعظم الـ ـحرّاس بأسًا شأنه ذو شان
فإذا أحسّ بداخلٍ للحصن ولّى هاربًا فتراه ذا إمعان
ويعود وهنًا حين ربُّ الحصن يخـ ـرج منه فهو كذا مدى الأزمان
وكذا رواه أبو هريرة أنها تنصاعُ بكرًا للجماع الثاني
لكن درّاجًا أبا السمح الذي فيه يضعّفه أولو الإتقان
هذا وبعضهم يصحح عنه في التّـ ـقسيم كالمولود من حبّان
فحديثه دون الصحيح وإنه فوق الضعيف وليس ذا إتقان
يعطى المجامع قوة المائة التي اجْـ ـتَمَعَت لأقوى واحد الإنسان
لا أن قوته تضاعف هكذا إذ قد يكون أُضَيْعَفَ الأركان
ويكون أقوى منه ذا نقص من الـ إيمان والأعمال والإحسان
ولقد روينا أنه يغشى بيو م واحد مائة من النِّسوان
ورجاله شرط الصحيح رَوَوْا لهم فيه وذا في معجم الطبراني
هذا دليل أن قدر نسائهم متفاوت بتفاوت الإيمان
وبه يزول توهم الإشكال عن تلك النّصوص بمنة الرّحمٰن
وبقوة المائة التي حصلت له أفضى إلى مائة بلا خَوَران
وأعفُّهُم في هذه الدنيا هو الـ أقوى هناك لزهده في الفاني
فاجمع قواك لما هناك وغمّض الـ ـعينين واصبر ساعة لزمان
ما ههنا واللَّه ما يسوى قلا مة ظفر واحدة تُرى بجنان
ما ههنا إلّا النفار وسيّيء الـ أخلاق مع عَيْبٍ ومع نقصان
هَمٌّ وغَمٌّ دائم لا ينتهي حتى الطلاق أو الفراق الثاني
واللَّه قد جعل النّساء عوانِيًا شرعًا فأَضْحى البَعْلُ وهو العاني
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن تفعل رجعت بذلّة وهوان

فصل

وإذا بدت في حُلّة من لِبْسها ... وتمايلت كتمايل النّشوان
تهتز كالغصن الرّطيب وحَمْلُه ... وَرْدٌ وتُفّاح على رمّان
وتبخترت في مشيها ويحق ذا ... ك لمثلها في جنّة الحيوان
ووصائف من خَلْفِها وأمامها ... وعلى شمائلها وعن أيمان
كالبدر لَيْلَةَ تِمِّهِ قد حُفّ في ... غسق الدجى بكواكب الميزان
فلسانه وفؤاده والطرف في ... دهشٍ وإعجاب وفي سبحان
والقلب قبل زفافها في عرسه ... والعُرْسُ من إثر العُرْسِ متّصلان
حتى إذا ما واجهته تقابلا ... أرايت إذ يتقابل القمران
فسل المُتَيّم هل يحل الصبر عن ... ضَمٍّ وتقبيل وعن فلتان
وسل المُتَيّم أين خلّف صبره ... في أي واد أم بأي مكان
وسل المُتَيّم كيف حالته وقد ... ملئت له الأذنان والعينان
من منطق رقّت حواشيه وَوَجْـ ... ـهٍ كم به للشمس من جريان
وسل المُتَيّم كيف عيشته إذًا ... وَهُما على فَرْشَيْهما خِلْوان
يتساقطان لآلئًا منثورة ... من بين منظوم كنظم جمان
وسل المُتَيّم كيف مجلسه مع الـ ... ـمحبوب في روح وفي ريحان
وتدور كاسات الرحيق عليهما ... بأكف أقمار من الولدان
يتنازعان الكأس هذا مرة ... والخودُ أخرى ثمَّ يتكئان
فيضمها وتضمه أرأيت مَعْـ ... ـشوقين بعد البُعْدِ يلتقيان
غاب الرقيب وغاب كُلّ منكّد ... وهما بثوب الوصل مشتملان
أتراهما ضَجِرَيْن من ذا العيش لا ... وحياة ربك ما هما ضجران
ويزيد كُلّ منهما حبًّا لِصا ... حبه جديدًا سائر الأزمان
ووصاله يكسوه حُبًّا بعده ... مُتَسَلْسِلاً لا ينتهي بزمان
فالوصل محفوف بحبٍّ سابق ... وبلاحِقٍ وكلاهما صنوان
فرق لطيف بين ذاك وبين ذا ... يدريه ذو شغل بهذا الشان
ومزيدهم في كُلّ وقت حاصل ... سبحان ذي الملكوت والسّلطان

يا غافلاً عمّا خُلِقْت له انتبه جَدّ الرحيل ولست بالـيقظان
سار الرّفاق وخلّفوك مع الأُلى قنعوا بذا الحظ الخسيس الفاني
ورأيت أكثر من ترى مُتَخَلّفًا فتبعتهم ورضيت بالحرمان
لكن أتيت بخطّتَيْ عَجْزٍ وجَهْـ ـل بعد ذا وصحبت كُلّ أماني
منّتك نفسك باللحاق مع القعو د عن المسير وراحة الأبدان
ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

فصل
في ذكر الخلاف بين الناس
هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا؟

والناس بينهم خلاف هل بها حَبَلٌ وفي هذا لهم قولان
فنفاه طاوس وابراهيم ثم مجاهد وهم أولو العرفان
وروى العقيلي الصدوق أبو رزيـ ـنٍ من صاحب المبعوث بالقرآن
أن لا توالد في الجنان رواه تعـ ـليقًا مُحَمّدٌ عظيم الشان
وحكاه عنه الترمذي وقال إسـ ـحاق بن إبراهيم ذو الإتقان
لا يشتهى ولد بها ولو اشتها ه لكان ذك محقق الإمكان
وروى هشام لابنه عن عامر عن ناجي عن سعد بن سنان
أنّ المنعّم بالجنان إذا اشتهى الـ ـولد الذي هو نُسْخَةُ الإنسان
فالحمل ثمَّ الوضع ثمَّ السن في فَرْدٍ من الساعات في الأزمان
إسناده عندي صحيح قد روا ه الترمذي وأحمد الشّيباني
ورجال ذا الإسناد محتج بهم في مسلم وَهُمُ أولو إتقان
لكن غريب ما له من شاهد فَرْدٌ بذا الاسناد ليس بثاني
لولا حديث أبي رزين كان ذا كالنّصّ يقرُبُ منه في التبيان
ولذاك أوّله ابن ابراهيم بالشّـ ـرط الذي هو مُنْتَفي الوجدان
وبذاك رام الجمع بين حديثه وأبي رزين وهو ذو إمكان
هذا وفي تأويله نظر فإنّ إذا لتحقيقٍ وذي إيقان
ولربما جاءت لغير تحقّق والعكس في إن ذاك وضع لسان

واحتج من نصر الولادة أنّ في الـ ـجنّات سائر شهوة الإنسان
واللَّه قد جعل البنين مع النسا من أعظم الشهوات في القرآن
فأجيب عنه بأنه لا يشتهي ولدًا ولا حَبَلاً من النِّسوان
واحتج من منع الولادة أنها ملزومة أمران ممتنعان
حَيْضٌ وإنزال المنِيّ وذانك الـ أمران في الجَنّاتُ مفقودان
لكنما الموجود نوع غير معـ ـهودٍ فماذا النفي والإثبات متحدان
وروى صُدَيٌّ عن رسول الله أن منيّهم إذ ذاك ذو فقدان
بل لا منيّ ولا منيّة هكذا يروي سليمان هو الطبراني
وأجيب عنه بأنه نوع سوى الـ ـمعهود في الدنيا من النِّسوان
فالنفي للمعهود في الدنيا من الـ إيلاد والإثبات نوع ثان
واللَّه خالق نوعنا من أربع متقابلات كلّها بوزان
ذكر وأنثى والَّذي هو ضده وكذاك من أنثى بلا ذكران
والعكس أَيضًا مثل حَوّا أمنا هي أربع معلومة التّبْيان
وكذاك مولود الجنان يجوز أن يأتي بلا حيض ولا فيضان
والأمر في ذا ممكن في نفسِهِ والقطع ممتنع بلا برهان
فلذاك عندي الوقف حتى يَسْتَبيـ ـن لي الصواب بفضل ذي الإحسان

فصل
في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم

ويرونه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يُرى القمران
هذا تواتر عن رسول اللَّه لم يُنْكره إلّا فاسد الإيمان
وأتى به القُرآن تصريحًا وتعـ ـريضًا هما بسياقه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسير من قد جاء بالقرآن[1]

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨١) من حديث صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النّار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا =

ورواه عنه مسلم بصحيحه ... يروي صهيب ذا بلا كتمان
وهو المزيد كذاك فسّره أبو ... بكر هو الصديق ذو الإيقان
وعليه أصحاب الرّسول وتابعو ... هم بعدهم تبعيّة الإحسان
ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الرّ ... حمٰن في سور من الفرقان
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الـ ... إجماع فيه جماعة ببيان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم ... لغة وعرفًا ليس يختلفان
هذا ويكفي أنه سبحانه ... وصف الوجوه بنضرة بجنان
وأعاد أَيضًا وصفها نظرًا وذا ... لا شك يُفْهِمُ رؤيةً بعيان
وأتت أداة «إلى» لرفع الوهم من ... فكر كذاك ترقب الإنسان
وأضافه لمحل رؤيتهم بذكر الو ... جْهِ إذ قامت به العينان
تاللَّه ما هذا بفكر وانتظا ... ر مُغَيّب أو رؤية بجنان
ما في الجنان من انتظار مؤلم ... واللفظ يأباه لذي العرفان
لا تفسدوا لفظ الكتاب فليس فيـ ... ـه حيلة يا فرقة الرّوغان
ما فوق ذا التصريح شيء ما الذي ... يأتي به من بعد ذا التّبيان
لو قال أبين ما يقال لقلتم ... هو مُجْمَلٌ ما فيه من تبيان
ولقد أتى في سورة التّطفيف أن ... القوم قد حجبوا عن الرّحمٰن
فيدل بالمفهوم أن المؤمنيـ ... ـن يرونه في جنة الحيوان
وبذا استدل الشافعي وأحمد ... وسواهما من عالمي الأزمان
وأتى بذا المفهوم تصريحًا بآ ... خرها فلا تُخْدَع عن القرآن
وأتى بذاك مكذبًا للكافريـ ... ـن الساخرين بشيعة الرّحمٰن
ضحكوا من الكفّار يومئذ كما ... ضحكوا هُمُ منهم على الإيمان
وأثابهم نظرًا إليه ضدّ ما ... قد قاله فيهم أولو الكفران
فلذاك فسرها الأئمة أنه ... نظر إلى الرّبّ العظيم الشان

= شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

لـلَّه ذاك الـفَـهْـمُ يـؤتـيـه الـذي ... هـو أهـله مـن جـاد بـالإحـسـان
وروى ابن ماجة مسندًا عن جابر ... خـبـرًا وشـاهـده فـفـي الـقـرآن
بـيـنـا هُـمُ فـي عَـيْـشـهـم وسـرورهـم ... ونـعـيـمـهـم فـي لـذّة وتـهـانـي
وإذا بـنـور سـاطـع قـد أشـرقـت ... مـنـه الـجـنـان قـصـيّـهـا والـدّانـي
رفـعـوا إلـيـه رؤوسـهـم فـرأوه نـو ... ر الـربّ لا يـخـفـى عـلى إنـسـان
وإذا بـربـهـم تـعـالـى فـوقـهـم ... قـد جـاء لـلتّـسْـلـيـم بـالإحـسـان
قـال الـسَّـلام عَـلَـيْـكـم فـيـرونـه ... جَـهْـرًا تـعـالـى الـربّ ذو الـسّـلطـان
مـصـداق ذا «يـس» قـد ضَـمِـنْـتَـه عـن ... ـد الـقـول مـن ربٍّ بـهـم رحـمٰـن
مـن ردّ ذا فـعـلى رسـول الـلَّه رَدّ ... وسـوف عـنـد الـلَّه يـلتـقـيـان
فـي ذا الـحـديـث عـلوه وكـلامُـهُ ... ومـجـيـئُهُ حـتـى يـرى بـعـيـان
هـذي أصـول الـدِّيـن فـي مـضـمـونـه ... لا قـول جـهـم صـاحـب الـبـهـتـان
وكـذا حـديـث أبـي هـريـرة ذلـك الـ ... ـخبـر الـطـويـل أتـى بـه الـشـيـخـان
فـيـه تـجـلى الـربّ جـلّ جـلالـه ... ومـجـيـئـه وكـلامُـهُ بـبـيـان
وكـذاك رؤيـتـه وتـكـلـيـم لِمَـنْ ... يـخـتـاره مـن أمّـة الإنـسـان
فـيـه أصـول الـدِّيـن أجـمـعـهـا فـلا ... تَـخْـدَعْـك عـنـه شـيـعـة الـشـيـطـان
وحـكـى رسـول الـلَّه فـيـه تـجـدد الـ ... ـغَـضَـب الـذي لـلربِّ ذي الـسّـلطـان
إجـمـاع أهـل الـعـزم مـن رسـل الإلٰـ ... ـه وذاك إجـمـاع عـلى الـبـرهـان
لا تـخـدعـنّ عـن الـحـديـث بـهـذه الـ ... آراء فـهـي كـثـيـرة الـهـذيـان
أصـحـابـهـا أهـل الـتّـخَـرّص[1] والـتـنـا ... قـض والـتّـهـاتـر قـائـلو الـبـهـتـان
يـكـفـيـك أنـك لـو حـرصـت فـلن تـرى ... فـئـتـيـن مـنـهـم قـط يـتـفـقـان
إلّا إذا مـا قـلّـدوا لـسـواهـمـا ... فـتـراهـم جـيـلًا مـن الـعـمـيـان
ويـقـودهـم أعـمـى يـظـنّ كـمـبـصـر ... يـا مـحـنـة الـعـمـيـان خـلف فـلان
هـل يـسـتـوي هـذا ومُـبْـصِـرُ رشـده ... الـلَّه أكـبـر كـيـف يـسـتـويـان
أو مـا سـمـعـت مـنـادي الإيـمـان يـخـ ... ـبـر عـن مـنـادي جـنـة الـحـيـوان

(١) أي الكذب.

يا أهلها لكم لدى الرّحمٰن وعـ ـد وهو منجزه لكم بضمان
قالوا أما بيّضت أَوْجُهَنا كذا أعمالنا ثَقّلْت في الميزان
وكذاك قد أدخلتنا الجَنّاتُ حيـ ـن أجرتنا من مدخل النيران
فيقول عندي موعد قد آن أن أعطيكموه برحمتي وحناني
فيرونه من بعد كشف حجابه جهرًا روى ذا مسلم ببيان
ولقد أتانا في الصحيحين اللذيـ ـن هما أصح الكتب بعد قُران
برواية الثقة الصدوق جرير الـ ـبَجَليّ عمّن جاء بالقرآن
أنّ العباد يرونه سبحانه رؤيا العيان كما يرى القمران
فإن استطعتم كُلّ وقت فاحفظوا الـ ـبردين ما عشتم مدى الأزمان
ولقد روى بضع وعشرون أمرأً من صحب أحمد خيرة الرّحمٰن
أخبار هذا الباب عمن قد أتى بالوحي تفصيلاً بلا كتمان
وألذ شيء للقلوب فهذه الـ ـأخبار مع أمثالها هي بهجة الإيمان
واللَّه لولا رؤية الرّحمٰن في الـ ـجَنّاتُ ما طابت لذي العرفان
أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه وخطابه في جنّة الحيوان
وأشد شيء في العذاب حجابه سبحانه عن ساكني النيران
وإذ رآه المؤمنون نسوا الذي هم فيه ممّا نالت العينان
فإذا توارى عنهم عادوا إلى لذاتهم من سائر الألوان
فلهم نعيم عند رؤيته سوى هذا النعيم فحبّذا الأمران
أو ما سمعت سؤال أعرف خلقه بجلاله المبعوث بالقرآن
شوقًا إليه ولذة النظر الذي لجلال وجه الربّ ذي السّلطان
فالشوق لذة روحه في هذه الد نيا ويوم قيامة الأبدان
تلتذ بالنّظر الذي فازت به دون الجوارح هذه العينان
واللَّه ما في هذه الدنيا ألذ من اشتياق العبد للرّحمٰن
وكذاك رؤية وجهه سبحانه هي أكمل اللذات للإنسان
لكنّما الجَهْمي ينكر ذا وذا والوجه أَيضًا خشية الحدثان
تَبًّا له المخدوع أنكر وجهه ولقاءه ومحبّة الديّان

وكـــلامُـــهُ وصـــفـــاتـــه وعـــلوه والـعـرش عـطّـله مـن الـرّحـمٰـن
فـتـراه فـي واد ورُسْـلُ الـلَّه فـي وادٍ وذا مـن أعـظـم الـكـفـران

فصل
في كلام الربّ جلّ جلاله مع أهل الجنة

أومـا عـلمـت بـأنـه سـبـحـانـه حـقًّـا يـكـلّم حـزبـه بـجـنـان
فـيـقـول جـلّ جـلالـه هـل أنـتـم راضـون قـالـوا نـحـن ذو رضـوان
أم كـيـف لا نـرضـى وقـد أعـطـيـتـنـا مـا لـم يـنـله قـط مـن إنـسـان
هـل ثـمَّ شـيء غـيـر ذا فـيـكـون أفـ ـضـل مـنـه نـسـألـه مـن الـمـنـان
فـيـقـول أفـضـل مـنـه رضـواني فـلا يـغـشـاكـم سـخـط مـن الـرّحـمٰـن[1]
وبـذكـر الـرّحـمٰـن واحـدهـم بـمـا قـد كـان مـنـه سـالـف الازمـان
مـنـه إلـيـه لـيـس ثـمَّ وَسَـاطَـةٌ مـا ذاك تـوبـيـخًـا مـن الـرّحـمٰـن
لـكـن يـعـرّفـه الـذي قـد نـالـه مـن فـضـله والـعـفـو والإحـسـان
ويـسـلّم الـرّحـمٰـن جـلّ جـلالـه حـقًّـا عـلـيـهـم وهـو فـي الـقـرآن
وكـذاك يـسـمـعـهـم لـذيـذ خـطـابـه سـبـحـانـه بـتـلاوة الـفـرقـان
فـكـأنـهـم لـم يـسـمـعـوه قـبـل ذا هـذا رواه الـحـافـظ الـطـبـرانـي
هـذا سـمـاع مـطـلق وسـمـاعُـنـا الـ ـقـرآن فـي الـدنـيـا فـنـوع ثـان
والـلَّه يـسـمـع قـولـه بـوسـاطـة وبـدونـهـا نـوعـان مـعـروفـان
فـسـمـاع مـوسـى لـم يـكـن بـوسـاطـة وسـمـاعـنـا بـتـوسـط الإنـسـان
مـن صَـيّـر الـنـوعـيـن نـوعًـا واحـدًا فـمـخـالـف لـلـعـقـل والـقـرآن

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٤٩، ٧٥١٨) ومسلم في صحيحه برقم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا».

فصل
في يوم المزيد وما أعد اللَّه لهم فيه من الكرامة

أو ما سمعت بشأنهم يوم المزيـ ... ـد وأنه شأن عظيم الشان
هو يوم جُمْعَتنا ويوم زيارة الرّ ... حمٰن وقت صلاتنا وأذان
والسابقون إلى الصلاة هم الأُلى ... فازوا بذاك السبق بالإحسان
سبق بسبق والمؤخر هٰهنا ... متأخر في ذلك الميدان
والأقربون إلى الإمام فهم أولو الزّ ... لْفىٰ هناك فهٰهنا قُرْبان
قُرْبٌ بقُرْبٍ والمباعد مثله ... بُعْدٌ بِبُعْدٍ حكمة الدّيّان
ولهم منابر لؤلؤ وزبرجد ... ومنابر الياقوت والعقيان
هذا وأدناهم وما فيهم دنيّ ... فوق ذاك المسك كالكُثْبان
ما عندهم أهل المنابر فوقهم ... ممّا يرون بهم من الإحسان
فيرون ربهم تعالى جهرة ... نظر العيان كما يُرىٰ القمران
ويحاضر الرّحمٰن واحدهم محا ... ضرة الحبيب يقول يا ابن فلان
هل تذكر اليوم الذي كنت فيـ ... ـه مبارزًا بالذنب والعصيان
فيقول ربِّ أما مَنَنْتَ بِغَفْرِهِ ... قِدْمًا فإنّك واسع الغفران
فيجيبه الرّحمٰن مغفرتي التي ... قد أوصلتك إلى المحلّ الداني

فصل
في المطر الذي يصيبهم هناك

ويُظِلّهم إذ ذاك منه سحائبٌ ... تأتي بمثل الوابل الهتّان
بينا هُمُ في النّور إذ غشيتهم ... سبحان مُنْشِئِها من الرّضوان
فتظل تمطرهم بطيب ما رأوا ... شَبَهًا له في سالف الأزمان
فيزيدهم هذا جمالاً فوق ما ... بِهِمُ وتلك مواهب المنّان

فصل
في سوق الجنة الذي ينصرفون إليه من ذلك المجلس

فيقول جلّ جلاله قوموا إلى ... ما قد ذخرت لكم من الإحسان
يأتون سوقًا لا يباع ويشترى ... فيه فخذ منه بلا أثمان
قد أسلف التجار أثمان المبيـ ... ـع بعقدهم في بيعة الرضوان
للَّه سوق قد أقامتها الملا ... ئكة الكرام بكُلّ ما إحسان
فيها الذي واللَّه لا عين رأت ... كَلّا ولا سمعت به أذنان
كَلّا ولم يخطر على قلب امرئ ... فيكون عنه معبّرًا بلسان
فيرى امرأ من فوقه في هيئة ... فيروعه ما تنظر العينان
فإذا عليه مثلها إذ ليس يلـ ... ـحق أهلها شيء من الأحزان
واهًا لذا السوق الذي مَنْ حَلّهُ ... نال التّهاني كلّها بأمان
يدعى بسوق تعارف ما فيه من ... صخب ولا غشّ ولا إيمان
وتجارة من ليس تلهيه تجا ... رات ولا بيع عن الرّحمٰن
أهل المروءة والفتوة والتقى ... والذكر للرّحمٰن كُلّ أوان
يا من تعوّض عنه بالسوق الذي ... رُكِزَت لديه راية الشيطان
لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم ... تركن إلى سوق الكساد الفاني

فصل
في حالهم عند رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم

فإذا هم رجعوا إلى أهليهم ... بمواهبٍ حَصَلَتْ من الرّحمٰن
قالوا لهم أهلاً ورحبًا ما الذي ... أعطيتم من ذا الجمال الثاني
واللَّه لازددتم جمالاً فوق ما ... كنتم عليه قبل هذا الآن
قالوا وأنتم والَّذي أنشأكم ... قد زدتم حُسْنًا على الإحسان
لكن يَحِقّ لنا وقد كُنّا إذًا ... جلساء ربِّ العرش ذي الرضوان
فهم إلى يوم المزيد أشد شَوْ ... قًا من مُحِبٍّ للحبيب الدّاني

فصل
في خلود أهل الجنة فيها ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة الموت والنوم عليهم

هذا وخاتمة النعيم خلودهم ... أبدًا بدار الخلد والرضوان
أو ما سمعت منادي الإيمان يُخْـ ... ـبِرُ عن مناديهم بحسن بيان
لكم حياة ما بها موت وعا ... فيةٌ بلا سَقَمٍ ولا أحزان
ولكم نعيم ما به بؤس وما ... لشبابكم هرم مدى الأزمان[1]
كَلّا ولا نوم هناك يكون ذا ... نومٌ ومَوْتٌ بيننا أخوان
هذا علمناه اضطرارًا من كتا ... ب اللَّه فافهم مقتضى القرآن
والجَهْم أفناها وأفنى أهلها ... تَبًّا لذاك الجاهل الفتّان
طردًا لنفي دوام فعل الربّ في الـ ... ـماضي وفي مستقبل الأزمان
وأبو الهذيل يقول يفنى كلُّ ما ... فيها من الحركات للسكان
وتصير دار الخلد مع سكانها ... وثمارها كحجارة البنيان
قالوا ولولا ذاك لم يَثْبُت لنا ... ربٌّ لأجل تسلسل الأعيان
فالقوم إما جاحدون لربهم ... أو منكرون حقائق الإيمان

فصل
في ذبح الموت بين الجنة والنار والردّ على من قال إن الذبح لملك الموت أو إن ذلك مجاز لا حقيقة

أو ما سمعت بذبحه للموت بيـ ... ـن المنزلين كذبح كبش الضان[2]

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إنَّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا».

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٧٣٠) ومسلم في صحيحه برقم =

حاشا لذا الملك الكريم وإنما ... هو موتنا المحتوم للإنسان
والله ينشىء منه كَبْشًا أَمْلَحًا ... يوم المعاد يُرىٰ لنا بعيان
يُنْشي من الأعراض أجسامًا كذا ... بالعكس كُلٌّ قابل الإمكان
أفما تُصَدِّقُ أن أعمال العبا ... د تُحَطّ يوم العرض في الميزان
وكذاك تَثْقُلُ تارة وتخف أخـ ... ـرى ذاك في القُرآن ذو تِبْيان
وله لسان كفّتاه تُقيمه ... والكفّتان إليه ناظرتان
ما ذاك أمرًا معنويًّا بل هو الـ ... ـمَحْسوس حقًّا عند ذي الإيمان
أو ما سمعت بأن تسبيح العبا ... د وذكرهم وقراءة القرآن
ينشيه ربِّ العرش في صورٍ تجا ... دل عنه يوم قيامة الأبدان
أو ما سمعت بأن ذاك حول عر ... ش الرّبّ ذو صوت وذو دوران
يشفعن عند الربّ جلّ جلاله ... ويُذَكّرون بصاحب الإحسان
أو ما سمعت بأن ذلك مؤنس ... في القبر للملفوف في الأكفان
في صورة الرجل الجميل الوجه في ... سنّ الشباب كأجمل الشبان
يأتي يجادل عنك يوم الحشر للرَّ ... حمٰن كي ينجيك من نيران
في صورة الرجل الذي هو شاحِبٌ ... يا حبّذا ذاك الشفيع الداني
أو ما سمعت حديث صدق قد أتى ... في سورتين من أوَّل الفرقان
فرقان من طير صواف بينهما ... شرق ومنه الضّوء ذو تبيان
شَبِّهُما بِغَمَامَتَيْن وان تشأ ... بِغَيايَتَيْن هما لذا مَثَلان
هذا مثال الأجر وهو فعالنا ... لتلاوة القُرآن بالإحسان
أو ما سمعت بِقَلْبِهِ سبحانه الـ ... ـأعيان من لون إلى ألوان

= (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به فيُذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا.

فالموت يُنشيه لنا في صورة ... خَلّاقُهُ حتى يُرى بعيان
والموت مَخْلوق بنصّ الوحي والـ ... ـمَخْلوق يقبَلُ سائر الألوان
في نفسه وبنشأة أخرى بقد ... رة قالب الأعراض والأعيان
وكذلك الأعراض يَقْلِبُ ربّها ... أعيانها والكُلّ ذو إمكان
لم يفهم الجُهّال هذا كلّه ... فأتوا بتأويلات ذي البطلان
فمكذّب ومؤوّل ومُحَيَّر ... ما ذاق طعم حلاوة الإيمان
لمّا فسا الجُهّال في آذانه ... أعموه دون تدبّر القرآن
فثنى لنا العطفين منه تكبّرًا ... وتَبَخْتُرًا في حُلّة الهذيان
إن قلت قال اللَّه قال رسوله ... فيقول جَهْلاً أين قول فلان

فصل
في أن الجنّة قيعان وأن غراسها الكلم الطيب والعمل الصالح

أوَمَا سمعت بأنها القيعان فاغـ ... ـرس ما تشاء بذا الزّمان الفاني
وغراسها التسبيح والتكبير والتـ ... ـحميد والتوحيد للرّحمٰن
تبًّا لتارك غرسه ماذا الذي ... قد فاته في مُدّة الإمكان
يا من يقرّ بذا ولا يسعى له ... باللَّه قل لي كيف يجتمعان
أرأيت لو عطّلت أرضك من غرا ... س ما الذي تَجْنِي من البستان
وكذاك لو عَطّلتها من بذرها ... ترجو المُغَلّ يكون كالكيمان
ما قال ربِّ العالمين وعبده ... هذا فراجع مقتضى القرآن
وتأمل الباء التي قد عَيَّنَت ... سبب الفلاح لحكمة الفرقان
وأظنّ باء النفي قد غَرّتْك في ... ذاك الحديث أتى به الشيخان
لن يدخل الجَنّاتُ أصلاً كادحٌ ... بالسعي منه ولو على الأجْفان
واللَّه ما بين النّصوص تعارض ... والكُلّ مصدرها عن الرّحمٰن
لكنّ بالإثبات للتسبيب والـ ... ـباء التي للنفي با الأثمان
والفرق بينهما ففرق ظاهر ... يدريه ذو حظ من العرفان

فصل
في إقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين

بـاللَّه مـا عُـذْرُ امـرىء هـو مـؤمـن ... حـقًّـا بـهـذا لـيـس بـالـيـقـظـان
بـل قـلبـه فـي رقـدة فـإذا اسـتـفـا ... ق فـلِبْـسُـه هـو حـلّة الـكـسـلان
تـاللَّه لـو شـاقَـتْـك جَـنّـاتُ الـنـعـيـ ... ـم طَـلَـبْـتَـهـا بـنـفـائـس الأثـمـان
وسـعـيـت جـهـدك فـي وصـال نـواعـم ... وكـواعـب بـيـض الـوجـوه حـسـان
جُـلِـيَـتْ عَـلَـيْـك عـرائـس والـلَّه لـو ... تُـجْـلىٰ عـلى صـخـر مـن الـصـوان
رقّـت حـواشـيـه وعـاد لـوقـتـه ... يـنـهـال مـثـل نَـقًـا مـن الـكـثـبـان
لـكـن قـلبك فـي الـقـساوة جاز حدّ ... الـصـخـر فـالـخـنـسـاء فـي أشـجـان
لـو هـزك الـشـوق الـمـقـيـم وكـنـت ذا ... حِـسٍّ لـمـا اسـتـبـدلـت بـالأدوان[1]
أو صـادفـت مـنـك الـصّـفـات حـيـاة قَـلْـ ... ـبٍ كـنـت ذا طـلـب لـهـذا الـشـان
خَـوْدٌ لِعِـنّـيـن تـزف إلـيـه مـا ... ذا حـيـلـة الـعـنّـيـن فـي الـغـشـيـان
شـمـس تـزف إلـى ضـريـر مـقـعـد ... يـا مـحـنـة الـحـسـنـاء بـالـعـمـيـان
يـا سـلـعـة الـرّحـمٰـن لـسـت رخـيـصـة ... بـل أنـت غـالـيـة عـلى الـكـسـلان
يـا سـلـعـة الـرّحـمٰـن لـيـس يـنـالـهـا ... فـي الألـف إلّا واحـد لا اثـنـان
يـا سـلـعـة الـرّحـمٰـن مـاذا كـفـؤهـا ... إلّا أولـو الـتـقـوى مـع الإيـمـان
يـا سـلـعـة الـرّحـمٰـن سـوقـك كـاسـد ... بـيـن الأراذل سِـفْـلَـةِ الـحـيـوان
يـا سـلـعـة الـرّحـمٰـن أيـن الـمـشـتـري ... فـلـقـد عـرضـت بـأيـسـر الأثـمـان
يـا سـلـعـة الـرّحـمٰـن هـل مـن خـاطـب ... فـالـمَـهْـرُ قـبـل الـمـوت ذو إمـكـان
يـا سـلـعـة الـرّحـمٰـن كـيـف تَـصَـبَّـرَ الـ ... ـخُـطّـاب عـنـك وهـم ذوو إيـمـان

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرىء أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذب الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد للّه، ولا إله إلا الله، والله أكبر».
والحديث حسنه العلامة الألباني ﷺ في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٧٥٥).

(٢) جمع دون، وهو الحقير الخسيس.

يا سلعة الرّحمٰن لولا أنها ... حُجِبَتْ بكُلّ مكاره الإنسان
ما كان عنها قط من متخلّف ... وتعطّلت دار الجزاء الثاني
لكنّها حجبت بكُلّ كريهة ... لِيُصَدّ عنها المبطل المتواني
وتنالها الهمم التي تسمو إلى ... ربِّ العلى بمشيئة الرّحمٰن
فاتعب ليوم معادك الأدنى تجد ... راحاته يوم المعاد الثاني
وإذا أبت تنقاد نفسك فاتهمـ ... ـها ثمَّ راجع مطلع الإيمان
فإذا رأيت الليل بَعْدُ وَصُبْحُهُ ... ما انشق عنه عموده لأذان
والناس قد صلّوا صلاة الصبح واذ ... تَظَروا طلوع الشمس قرب زمان
فاعلم بأن العين قد عَمِيت فنا ... شِدْ ربك المعروف بالإحسان
واسأله إيمانًا يباشر قلبك الـ ... ـمحجوب عنه لتنظر العينان
واسأله نورًا هاديًا يهديك في ... طُرُقِ المسير إليه كُلّ أوان
واللَّه ما خوفي الذنوب فإنّها ... لعلى طريق العفو والغفران
لكنّما أخشى انسلاخ القلب من ... تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضًا بآراء الرجال وخَرْصها ... لا كان ذاك بمنّة الرّحمٰن
فبأي وجه ألْتقي ربي إذا ... أعرضت عن ذا الوحي طول زمان
وعزلته عمّا أريد لأجله ... عَزْلاً حقيقيًّا بلا كتمان
صرّحتُ أن يقيننا لا يُستفا ... د به وليس لديه من إيقان
أوليته هجرًا وتأويلاً وتحـ ... ـريفًا وتفويضًا بلا برهان
وسعيت جهدي في عقوبة مُمْسِكٍ ... بعُراهُ لا تقليد رأي فلان
يا معرضًا عمّا يراد به وقد ... جدّ المسير فمنتهاه دان
جَذْلان[1] يضحك آمنا مُتَبَخْتِرًا ... فكأنّه قد نال عقد أمان
خلع السرور عليه أوفى حُلّةٍ ... طَرَدَتْ جميع الهَمّ والأحزان
يختال في حلل المسرّة ناسيًا ... ما بعدها من حُلّة الأكفان
ما سعيه إلّا لطيب العيش في الدّ ... نيا ولو أفضى إلى النّيران

(١) أي فرحان.

قد باع طيب العيش في دار النّعيـ ـم بذا الحُطام المُضْمَحِلّ الفاني
إنـي أظـنـك لا تُـصَـدّق كـونـه بـالـقُـرْب بـل ظَـنٌّ بـلا إيـقـان
بل قد سمعت الناس قالوا جنة أيـضًـا ونـار بـل لـهـم قـولان
والوقف مذهبك الذي تختاره وإذا انـتـهـى الإيـمـان لـلرجـحـان
لم تؤثر الأدنى عليه وقالت النّـ ـفس التي اشْتَغَلَتْ على الشيطان
أتبيع نقدًا حاصلاً بنسيئة بعد المـمـات وطـيّ ذي الأكـوان
لو أنه بنسيئة الدنيا لها ن الأمـر لـكـن فـي مـعـاد ثـان
دع ما سمعت الناس قالوه وخذ مـا قـد رأيـت مـشـاهـدًا بـعـيـان
واللّه لو جالست نفسك خاليًا وبـحـثـتـهـا بـحـثًـا بـلا روغـان
لرأيت هذا كامنًا فيها ولو أَمِـنَـتْ لأَلْقـتـه إلـى الآذان
هذا هو السرّ الذي من أجله اخـ ـتارت عليه العاجل المتداني
نَقْدٌ قد اشتدت إليه حاجة منـهـا ولـم يـحـصـل لـهـا بـهـوان
أتبيعه بنسيئة في غير هٰـ ـذي الدّار بعد قيامة الأبدان
هذا وإن جزمت بها قطعًا ولـ ـكن حظّها في حيّز الإمكان
ما ذاك قطعيًّا لها والحاصل الـ ـموجود مشهود برأي عيان
فتألّفت من بين شهوتها وشُبْـ ـهَتِها قياسات من البطلان
واسْتَنْتَجْتَ منها رضًا بالعاجل الـ أدنى على الموعود بعد زمان
وأتى من التأويل كُلّ ملائم لـمُـرادهـا يـا رقـة الإيـمـان
وَصَغَتْ إلى شبهات أهل الشرك والتّـ ـعطيل مع نقص من العرفان
واسْتَنْقَصَت أهل الهدى ورأتهُمُ في الناس كالغرباء في البلدان
ورأت عقول الناس دائرة على جمع الحطام وخدمة السّلطان
وعلى المليحة والمليح وعشرة الـ أحباب والأصحاب والإخوان
فاستوعرت ترك الجميع ولم تجد عوضًا تلذ به من الإحسان
فالقلب ليس يَقَرّ إلا في إنا ء فهو دون الجسم ذو جولان
يبغي له سَكَنًا يَلَذّ بقربه فتراه شبه الوالِهِ الحيران
فيحب هذا ثُمَّ يهوى غيره فيظل مُنْتَقِلاً مدى الأزمان

لـو نـال كُـلّ مـليـحـة وريـاسـة لـم يـطـمـئـن وكـان ذا دوران
بل لو ينال بأسرها الدنيا لما قَـرّت بـمـا قـد نـالـه الـعـيـنـان
نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى واختـر لـنـفـسـك أحـسـن الإنـسـان
فـالـقـلب مـضـطَـرّ إلـى مـحـبـوبـه الـ أعـلـى فـلا يَـثْـنـيـه حُـبٌّ ثـان
وصـلاحـه وفـلاحـه ونـعـيـمـه تـجـريـد هـذا الـحـبّ لـلرّحـمٰـن
فـإذا تـخـلى مـنـه أصـبـح حـائـرًا ويـعـود فـي ذا الـكـون ذا هَـيَـمـان

فصل
في زهد أهل العلم والإيمان
وإيثارهم الذهب الباقي على خزفٍ فانٍ

لـكـن ذا الإيـمـان يـعـلـم أن هـ ـذا كـالـظـلال وكُـلّ هـذا فـان
كـخـيـال طَـيْـف مـا اسـتـتـم زيـارة إلّا وفَـجْـرُ رحـيـلـه بـأذان
وسـحـابـة طـلـعـت بـيـوم صـائـف فـالـظـل مـنـسـوخ بِـقُـرْب زمـان
وكـزهـرة وافـى الـربـيـع بـحـسـنـهـا زالا مـعًـا فـكـلاهـمـا أخـوان
أو كـالـسّـراب يـلوح لـلظـمـآن فـي وسط الـهـجـيـر بـمـسـتـوى الـقـيـعـان
أو كـالأمـانـي طـاب مـنـهـا ذكـرهـا بـالـقـول واسْـتِـحْـضـارُهـا بـجـنـان
وهـي الـغـرور رؤوس أمـوال الـمـفـا لـيـس الألـى تـجـروا بـلا أثـمـان
أو كـالـطـعـام يـلذ عـنـد مـسـاغـه لـكـنّ عـقـبـاه كـمـا تـجـدان
هـذا هـو الـمـثـل الـذي ضـرب الـرسـو ل لـهـا وذا فـي غـايـة الـتـبـيـان
وإذا أردت تـرى حـقـيـقـتـهـا فـخـذ مـنـه مـثـالاً واحـدًا ذا شـان
أدخـل بـجـهـدك إصْـبَـعًـا فـي اليَـمّ وانـ ـظـر مـا تـعـلّـقـه إذًا بـعـيـان
هـذا هـو الـدنـيـا كـذا قـال الـرسـو ل مـمـثّـلاً والـحـقّ ذو تـبـيـان
وكـذاك مـثّـلـهـا بـظـلّ الـدّوْح[1] فـي وقـت الـحـرور لـقـائـل الـركـبـان
هـذا ولـو عـدلـت جـنـاح بـعـوضـة عـنـد الإلٰـه الـحـقّ فـي الـمـيـزان
لـم يـسـق مـنـهـا كـافـرًا مـن شَـرْبَـةٍ مـاءً وكـان أحـقّ بـالـحـرمـان

(١) جمع دوحة: وهي الشجرة العظيمة.

تـالـلَّه مـا عـقـل امـرؤ قـد بـاع مـا ... يـبـقـى بـمـا هـو مـضـمـحـل فـان
هـذا وتُـفْـتـىٰ ثـمَّ تـقـضـي حـاكـمًـا ... بـالـحـجـر مـن سـفـه لـدى الإنـسـان
إذ بـاع شـيـئًا قـدره فـوق الـذي ... يـعـتـاضـه مـن هـذه الأثـمـان
فـمـن الـسـفـيـه حـقـيـقـة إن كـنـت ذا ... عـقـل وأيـن الـعـقـل لـلـسـكـران
والـلَّه لـو أن الـقـلـوب شـهـدن مـنّـا ... كـان شـأنٌ غـيـر هـذا الـشـان
نـفـس مـن الأنـفـاس هـذا الـعـيـش إن ... قـسـنـاه بـالـعـيـش الـطـويـل الـثـانـي
يـا خـسّـة الـشـركـاء مـع عـدم الـوفـا ... ء وطـول جَـفْـوتـهـا مـع الـحـرمـان
هـل فـيـك مـعـتـبـر فـيـسـلـو عـاشـق ... بـمـصـارع الـعـشّـاق كُـلّ زمـان
لـكـن عـلـى تـلـك الـعـيـون غـشـاوة ... وعـلـى الـقـلـوب أكـنـة الـنـسـيـان
وأخـو الـبـصـائـر حـاضِـرٌ مـتـيـقّـظ ... مـتـفـرّد عـن زمـرة الـعـمـيـان
يـسـمـو إلـى ذاك الـرفـيـق الأرفـع الـ ... أعـلـى وخـلّـى الـلّـعـب لـلـصـبـيـان
والـنـاس كـلـهـم فَـصِـبْـيـانٌ وإن ... بَـلَـغـوا سـوى الأفـراد والـوحـدان
إذا رأى مـا يـشـتـهـيـه قـال مـو ... عـدك الـجـنـان وجـد فـي الأثـمـان
وإذا رأى مـا تـشـتـهـيـه نـفـسـه ... قـال انـظـري عُـقـبـاه بـعـد زمـان
وإذا أبـت إلّا الـجـمـاح أعـاضـهـا ... بـالـعـلـم بـعـد حـقـائـق الإيـمـان
ويـرى مـن الـخـسـران بـيـع الـدائـم الـ ... بـاقـي بـه يـا ذلـة الـخُـسْـران
ويـرى مـصـارع أهـلـه مـن حـولـه ... وقـلـوبـهـم كـمـراجـل الـنّـيـران
حـسـراتُـهـا هـنّ الـوقـود فـإن خـبـت ... زادت سـعـيـرًا بـالـوقـود الـثـانـي
جـاءوا فـرادى مـثـل مـا خـلـقـوا بـلا ... مـال ولا أهـل ولا إخـوان
مـا مـعـهـم شـيء سـوى الأعـمـال فَـهْـ ... يَ مـتـاجـر لـلـنـار أو لـجـنـان
تـسـعـى بـهـم أعـمـالـهـم سـوقًـا إلـى الـدّ ... ارين سـوق الـخـيـل بـالـرّكـبـان
صـبـروا قـلـيـلاً فـاسـتـراحـوا دائـمًـا ... يـا عـزة الـتـوفـيـق لـلإنـسـان
حـمـدوا الـتـقـى عـنـد الـممـات كـذا الـسُّـرى ... عـنـد الـصـبـاح فـحـبـذا الـحـمـدان
وحـدت بـهـم عـزمـاتُـهُـم نـحـو الـعـلـى ... وسَـرَوْا فـمـا نـزلـوا إلـى نـعـمـان
بـاعـوا الـذي يـفـنـى مـن الـخـزف الـخَـسـيـ ... س بـدائـم مـن خـالـص الـعـقـيـان
رفـعـت لـهـم فـي الـسـيـر أعـلام الـسـعـا ... دة والـهُـدًى يـا ذلـة الـحـيـران
فـتـسـابـق الأقـوام وابـتـدروا لـهـا ... كـتـسـابـق الـفـرسـان يـوم رهـان

وأخو الهوينا في الدّيار مُخَلّف مع شَكْلِهِ يا خيبة الكَسْلان

فصل
في رغبة قائلها إلى من يقفُ عليها من أهل العلم والإيمان أن يتجرد للَّه ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فإن رأى حقًّا قَبِلَه وحمد اللَّه عليه وإن رأى باطلاً عَرّفَه به وأرشد إليه

يا أيُّها القاري لها اجلس مجلس الـ حكم الأمين انتابه خَصْمان
واحكم هداك اللَّه حكمًا يشهد الـ عقل الصريح به مع القرآن
واصبر ولا تعجل بتكفير الذي قد قالها جَهْلاً بلا برهان
واحبس لسانك بُرْهَةً عن كفره حتى تعارضها بلا عدوان
فإذا فعلت فعنده أمثالها فنزال آخر دعوة الفرسان
فالكفر ليس سوى العناد وردّ ما جاء الرّسول به لقول فلان
فانْظُرْ لعلك هكذا دون الذي قد قالها فتفوز بالخسران
فالحق شمس والعيون نواظرٌ لا تختفي إلّا على العميان
والقلب يعمى عن هداه كمثل ما تعمى وأعظم هذه العينان
هذا وإنّي بعد ممتحن بأر بعة وكلهُمُ ذوو أضغان
فظٌّ غليظٌ جاهلٌ مُتَمَعْلِمٌ ضخم العمامة واسع الأردان
مُتَفَيْهِقٌ مُتَشَدّقٌ مُتَضَلِّعٌ بالجهل ذو صَلْعٍ من العرفان
مُزْجىٰ البضاعة في العلوم وإنه زاجٍ من الإيهام والهذيان
يشكو إلى اللَّه الحقوق تَظَلُّمًا من جهله كشكاية الأبدان
من جاهل متطبّب يفتي الورى ويحيل ذاك على قضا الرّحمٰن
عجّت فروج الخلق ثمَّ دماؤهم وحقوقهم منه إلى الدّيان
ما عنده علم سوى التكفير والتـ ـبديع والتّضليل والبهتان
فإذا تيقن أنه المغلوب عنـ ـد تقابل الفرسان في الميدان
قال اشتكوه إلى القضاة فإنْ هُمُ حكموا وإلّا اشْكُوه للسلطان
قولوا له هذا يَحُلُّ المُلْكَ بل هذا يريد المُلْكَ مثل فلان

فاعقره من قَبْلِ اشتداد الأمر منـ ـه بـقـوة الأَتْـبـاع والأعـوان
وإذا دعـاكـم لـلرسـول وحـكـمـه فـادعـوه لـلمـعـقـول بـالأذهـان
وإذا اجتمعتم في المجالس فالغطوا والْغَـوْا إذا مـا احـتـجّ بـالـقـرآن
واستـنـصـروا بـمـحـاضـر وشـهـادة قـد أُصْـلـحـت بـالـرّفـق والإتـقـان
لا تسألوا الشهداء كيف تحمّلوا وبـأي وقـت بـل بـأي مـكـان
وارفوا شهادتكم ومَشّوا حالها بـل أصـلـحـوهـا غـايـة الإمـكـان
وإذا هُـمُ شـهـدوا فـزكّـوهـم ولا تُـصْـغُـوا لـقـول الـجـارح الـطّـعّـان
قـولـوا عـدالـة مـثـلهـم قَـطْـعِـيّـة لـسـنـا نـعـارضـهـا بـقـول فـلان
ثبتت على الحكام بل حكموا بها فـالـقَـدْح فـيـهـا غـيـر ذي إمـكـان
مـن جـاء يـقـدح فـيـهـم فـلـيـتّـخـذ ظَـهْـرًا كـمـثـل حـجـارة الـصّـوّان
وإذا هـو اسـتـعـداهـم فـجـوابـكـم أتـــرُدّهـــا بـــعـــداوة الأديـــان

فصل
في حال العدو الثاني

أو حـاسـد قـد بـات يـغـلي صـدره بـعـداوتـي كـالـمـرجـل الـمـلآن
لـو قـلت هـذا الـبـحـر قـال مـكـذبًـا هـذا الـسـراب يـكـون بـالـقـيـعـان
أو قلت هذي الشمس قال مباهتًا الـشـمـس لـم تـطـلع إلـى ذا الآن
أو قـلت قـال الـلَّه قـال رسـولـه غـضـب الـخـبـيـث وجـاء بـالـكـتـمـان
أو حـرّف الـقُـرآن عـن مـوضـوعـه تـحـريـف كـذّاب عـلـى الـقـرآن
صال النّصوص عليه فَهْوَ بِدَفْعِها مـتـوكِّـلٌ بـالـدّأْب والـدّيـدان
فـكـلامـه فـي الـنـص عـنـد خـلافـه مـن بـاب دفـع الـصـائـل الـطّـعـان
فـالـقـصـد دفـع الـنـص عـن مـدلـولـه كـيـلا يـصـول إذا الـتـقـى الـزحـفـان

فصل
في حال العدو الثالث

والثالثُ الأعمى المقلد ذَيْنِكَ الر جُـلـيـن قـائـد زمـرة الـعـمـيـان
فـالـلعـن والـتـكـفـيـر والـتـبـديـع والـتـ ـضـلـيـل والـتـفـسـيـق بـالـعـدوان

فـإذا هُـمُ سـألـوه مـسـتـنـدًا لـه قـال اسـمـعـوا مـا قـالـه الـرجـلان

فصل
في حال العدو الرابع

هـذا ورابـعـهـم ولـيـس بـكـلبـهـم حـاشـا الـكـلاب الآكـلي الأنـتـان
خـنـزيـر طَـبْـعٍ فـي خـلـيـقـة نـاطـق مُـتَـسَـوّقٌ بـالـكـذب والـبـهـتـان
كالكلب يتبعهم يُمَشْمِشُ أعظمًا يـرمـونـهـا والـقـوم لـلّحـمـان
يـتـفـكّـهـون بـهـا رخـيـصًـا سـعـرهـا مَـيْـتًـا بـلا عـوض ولا أثـمـان
هـو فـضـلـة فـي الـنـاس لا عـلـم ولا ديـن ولا تـمـكـيـن ذي سـلـطـان
فـإذا رأى شـرًّا تـحـرّك يـبـتـغـي ذِكْـرًا كـمـثـل تـحـرّك الـثـعـبـان
ليـزول عنه أذى الكساد فينفق الـ ـكلب العقور على قطيع الضان
فـبـقـاؤه فـي الـنـاس أعـظـم مـحـنـة مـن عـسـكـر يُـعْـزىٰ إلـى غـازان
هذي بضاعة ضارِبٍ في الأرض يَبْـ ـغـي تـاجـرًا يـبـتـاع بـالأثـمـان
وجد التّجارَ جميعهم قد سافروا عـن هـذه الـبـلدان والأوطـان
إلّا الـصّـعـافِـقَـة[1] الـذيـن تـكـلّفـوا أن يَـتْـجَـروا فـيـنـا بـلا أثـمـان
فـهـم الـزبـون لـهـا فـبـالـلّه ارحـمـوا مِـنْ بَـيْـعَـةٍ مـن مـفـلس مـديـان
يـا ربِّ فـارزقـهـا بـحـقِّـك تـاجـرًا قـد طـاف فـي الآفـاق والـبـلدان
مـا كُـلّ مـنـقـوشٍ لـديـه أصـفـر ذهـبًـا يـراه خـالـص الـعـقـيـان
وكـذا الـزجـاج ودرة الـغـوّاص فـي تـمـيـيـزه مـا إن هـمـا مِـثْـلان

فصل
في توجّه أهل السُّنَّة إلى ربِّ العالمين
أن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين

هـذا ونـصـر الـدِّيـن فـرض لازم لا لـلـكـفـايـة بـل عـلـى الأَعْـيـان

---

(١) وهم القوم الذين يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال، فإذا اشترى التجار شيئًا دخلوا معهم.

بِيَدٍ وإمّا باللسان فإن عجز ... ت فبالتوجّه والدعا بجنان
ما بعد ذا واللَّه للإيمان حبّـ ... ـة خردل يا ناصر الإيمان
بحياة وجهك خير مسؤول به ... وبنور وجهك يا عظيم الشان
وبحقِّ نعمتك التي أَوْلَيْتَها ... من غير ما عوض ولا أثمان
وبحقِّ رحمتك التي وسعت جمي ... ع الخَلْق محسنهم كذاك الجاني
وبحقِّ أسماء لك الحسنى معا ... نيها نعوت المدح للرّحمٰن
وبحقِّ حمدك وهو حمد واسع الـ ... أكوان بل أضعاف ذي الأكوان
وبأنك اللَّه الإلٰه الحق مع ... بود الورى متقدّس عن ثان
بل كُلّ معبود سواك فباطل ... من دون عرشك للثّرى التحتاني
وبك المعاذ ولا ملاذ سواك أنـ ... ت غِياثُ كُلّ ملدّد لهفان
من ذاك للمضطر يسمعه سوا ... ك يجيب دعوته مع العصيان
إنّا توجّهْنا إليك لحاجة ... ترضيك طالبها أحق معان
فاجعل قضاها بعض أنعمك التي ... سبغت علينا منك كُلّ زمان
انصر كتابك والرّسول ودينك الـ ... عالي الذي أَنْزَلْت بالبرهان
واخترته دينًا لنفسك واصطفيـ ... ت مقيمه من أمة الإنسان
ورضيته دينًا لمن ترضاه من ... هذا الورى هو قَيّمُ الأديان
وأقِرّ عين رسولك المبعوث بالد ... ين الحنيف بِنَصْرِه المتداني
وانصره بالنصر العزيز كمثل ما ... قد كنت تنصره بكُلّ زمان
يا ربِّ وانصر خير حِزْبَيْنا على ... حزب الضّلال وعسكر الشيطان
يا ربِّ واجعل شرّ حِزْبَيْنا فِدًى ... لخيارهم ولعسكر القرآن
يا ربِّ واجعل حزبك المنصور أهـ ... ـل تراحُمٍ وتواصل وتدان
يا ربِّ وارحمهم من البدع التي ... قد أحدثت في الدِّين كُلّ زمان
يا ربِّ جَنِّبْهم طرائقها التي ... تُفْضي بسالكها إلى النيران
يا ربِّ واهدِهِمُ بنور الوحي كي ... يصلوا إليك فيظْفروا بجنان
يا ربِّ كن لَهُمُ وليًّا ناصرًا ... واحفظهم من فتنة الفتان
وانصرهم يا ربِّ بالحق الذي ... أنزلته يا منزل الفرقان

يـا ربِّ إنـهـم هُـمُ الـغـربـاء قـد ... أووا إلـيـك وأنـت ذو الإحـسـان[1]
يـا ربِّ قـد عـادوا لأجـلك كُـلّ ... هـذا الـخـلق إلّا صـادق الإيـمـان
قد فارقوهم فيك أحوج ما هُمُ ... دنيا إليهم في رضا الرّحمٰن
ورضوا وَلَايَتَكَ التي من نالها ... نال الأمان ونال كُلّ أمـاني
ورضوا بِوَحْيِكَ من سواه وما ارتضوا ... بسواه من آراء ذي الأذهان
يا ربِّ ثبتهم على الإيمان واجـ ... ـعلهم هداة التائِهِ الحَيْران
وانصر على حزب النفاة عساكر الـ ... ـإثبات أهل الحقّ والعرفان
وأقم لأهل السُّنَّة النبوية الـ ... أنصار وانصرهم بكُلّ مكان
واجعلهم للمتقين أئمة ... وارزقهم صبرًا مع الإيقان
تهدي بأمرك لا بما قد أحدثوا ... وَدَعَوْا إليها الناس بالعدوان
وأعزّهم بالحق وانصرهم به ... نَصْرًا عزيزًا أنت ذو السّلطان
واغفر ذنوبهم وأصلح شأنهم ... فلأنت أهل العفو والغفران
ولك المحامد كُلّها حَمْدًا كما ... يرضيك لا يفنى على الأزمان
ملء السمٰوات العلى والأرض والـ ... ـموجود بَعْدُ ومنتهى الإمكان
ممّا تشاء وراء ذلك كلّه ... حَمْدًا بغير نهاية بزمان
وعلى رسولك أفضل الصلوات والتـ ... ـسليم منك وأكمل الرضوان
وعلى صحابته جميعًا والألى ... تَبِعوهُمُ من بَعْدُ بالإحسان[2]

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء».

(٢) وبهذا انتهى الكتاب والتعليق عليه بمنة اللطيف الملك الوهاب سبحانه وتعالى، فله سبحانه الحمد على الدوام، ونسأله تعالى التوفيق والإعانة، والسداد والثبات، إنه ذو المنّ والعطاء.
والحمد للَّه رب العالمين.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو عبد الله

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
ترجمة شيخ الإسلام ابن قيّم الجوزية	٧
[مقدمة المصنف]	١٥
الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية	٢٥
فصل في مقدمة نافعة قبل التحكيم	٣٤
فصل وهذا أول عقد مجلس التحكيم	٣٧
فصل في قدوم ركب آخر	٣٩
فصل في قدوم ركب آخر	٣٩
فصل في قدوم ركب آخر	٤١
فصل في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن	٤٨
فصل في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القُرآن	٥٢
فصل في مذهب الاقترانية	٥٣
فصل في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة	٥٣
فصل في مذهب الكرامية	٥٤
فصل في ذكر مذهب أهل الحديث	٥٤
فصل في الزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام	٥٧
فصل في إلزامهم التشبيه للرب بالجماد الناقص إذا انتفت صفة الكلام	٥٨
فصل في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله هو عين كلام اللّه سبحانه	٥٨

فصل في التفريق بين الخلق والأمر ٥٩
فصل في التفريق بين ما يضاف إلى الربّ تعالى من الأوصاف والأعيان ٥٩
فصل في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الربّ جل جلاله ٦١
فصل في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الربّ جل جلاله ٦٣
فصل في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الربّ تعالى وكلامُهُ والانفصال عنه ٦٨
فصل في الرد على الجهمية المُعَطّلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يعبد، ولا فوق السموات إله يصلى له ويسجد، وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة ٧٢
فصلفي سياق هذا الدليل على وجه آخر ٧٤
فصل في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن اللّه تعالى فوق سمٰواته على عرشه ٧٥
فصل في الإشارة إلى ذلك من السُّنَّة ١٠٢
فصل في جناية التأويل على ما جاء به الرّسول والفرق بين المردود منه والمقبول ١٠٨
فصل فيما يلزم مدعي التأويل لتصحّ دعواه ١١١
فصل في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل ١١١
فصل في تشبيه المحرفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم وبراءة أهل الإثبات مما رموهم به من هذا الشبه ١١٤
فصل في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الإثبات بفرعون وقولهم إن مقالة العلوِّ عنه أخذوها وأنهم أولى بفرعون وهم أشباهه ١١٥
فصل في بيان تدليسهم وتلبيسهم الحق بالباطل ١١٦
فصل في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها ١١٨
فصل في بيان شبه غلطهم في تجريد اللفظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني ١٢٠
فصل في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب . ١٢١

فصل في المطالبة بالفرق بين ما يُتأول وما لا يُتأول ١٢٥
فصل في ذكر فرق آخر لهم وبيان بطلانه ١٢٥
فصل في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة نقلاً وعقلاً ١٢٦
فصل في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج ١٢٨
فصل في تلقيبهم أهل السُّنَّة بالحشوية وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين وذكر أول من لَقّبَ به أهل السُّنَّة من أهل البدع ١٣٢
فصل في بيان عدوانهم في تلقيب أهل القُرآن والحديث بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكُلّ لقب خبيث ١٣٣
فصل في بيان مورد أهل التعطيل وأنهم تعوّضوا بالقلّوط عن مورد السلسبيل .. ١٣٥
فصل في بيان هدمهم لقواعد الاسلام والإيمان بعزلهم نصوص السُّنَّة والقُرآن ١٣٦
فصل في إبطال قول الملحدين إن الاستدلال بكلام اللّه ورسوله لا يفيد العلم واليقين ١٤٠
فصل في تنزيه أهل الحديث وحملة الشريعة عن الألقاب القبيحة والشنيعة ١٤٥
فصل في نكتة بديعة تبين ميراث الملقِّبين والملقَّبين من المشركين والموحدين ١٤٦
فصل في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الأنبياء ١٤٧
فصل في جواب الربّ تبارك وتعالى يوم القيامة إذا سأل المُعَطّل والمُثْبِتَ عن قول كُلّ منهما ١٤٩
فصل في تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدىٰ عند رب العالمين ١٥١
فصل في عهود المثبتين لربّ العالمين ١٥٤
فصل في شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس في السماء إلٰه يعبد ولا للَّه بيننا كلام ولا في القبر رسولٌ ١٥٥
فصل في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم ١٥٦
فصل فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور ١٥٧
فصل في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة ١٥٨

فصل في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الإيمان وحصونه جيلاً بعد جيل ١٦٢
فصل في أحكام هذه التراكيب الستة ١٦٥
فصل في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المُعَطّلين . ١٦٨
فصل في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الالحاد ١٦٩
فصل في النوع الثالث من توحيد أهل الإلحاد ١٧٠
فصل في النوع الرابع من أنواعه ١٧١
فصل في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمُعَطّلين ١٧٢
فصل في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوتي ١٧٣
فصل في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء ربِّ العالمين وذكر انقسام الملحدين .. ١٨٢
فصل في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المُعَطّلين والمشركين ١٨٤
فصل في صف العسكرين وتقابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران ١٨٧
فصل في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المُعَطّلة وأهل الالحاد حزب جنكيزخان ١٩٠
فصل في مصارع النفاة المُعَطّلين بأسنة أمراء الإثبات الموحّدين ١٩٢
فصل في بيان أن المصيبة التي حلّت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان ١٩٤
فصل في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت ١٩٧
فصل في مبدأ العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين وبين النفاة المُعَطّلين ١٩٩
فصل في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران والإثبات أساس العلم والإيمان ٢٠٢
فصل في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقّص الرّسول ٢٠٥
فصل في تعيّن أن اتباع السُّنَّن والقُرآن طريقًا للنجاة من النيران ٢١٠

فصل في تيسير السير إلى اللَّه على المثبتين الموحدين وامتناعه على المُعَطّلين والمشركين ٢١٢
فصل في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه إلاّ على من ليس بذي عينين ٢١٤
فصل في التفاوت بين حظ المثبتين والمُعَطّلين من وحي ربِّ العالمين ٢١٥
فصل في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء ... ٢١٦
فصل في بيان شرط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين ٢٢٠
فصل في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟ ٢٢٢
فصل في الرد عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم إلى أهل الجهل والتفريط والبدعة والكفران ٢٢٣
فصل في تلاعب المكفّرين لأهل السُّنَّة والإيمان بالدِّين كتلاعب الصبيان ٢٢٦
فصل في أن أهل الحديث هم أنصار رسول اللَّه ﷺ ولا يبغض الأنصار رجلاً يؤمن باللَّه واليوم الآخر ٢٢٨
فصل في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته كما كانت فرضًا من الأمصار إلى بلدته عليه الصلاة والسَّلام ٢٣١
فصل في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المُعَطّلين ٢٣٣
فصل في شكوى أهل السُّنَّة والقُرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما إلى الرحمٰن ٢٣٥
فصل في أذان أهل السُّنَّة الأعلام بصريحها جهرًا على رؤوس منابر الإسلام ... ٢٣٧
فصل في تلازم التعطيل والشرك ٢٤٠
فصل في بيان أن المُعَطّل شرّ من المشرك ٢٤١
فصل في مثل المشرك والمُعَطّل ٢٤٣
فصل فيما أعد اللَّه تعالى من الإحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان ٢٤٤
فصل فيما أعد اللَّه تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة ٢٤٧
فصل في صفة الجنة التي أعدها اللَّه ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين

بالكتاب والسنة ٢٤٩
فصل في عدد درجات الجنة وما بين كُلّ درجتين ٢٤٩
فصل في أبواب الجنة ٢٥٠
فصل في مقدار ما بين الباب والباب منها ٢٥٠
فصل في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد ٢٥٠
فصل في مفتاح باب الجنة ٢٥١
فصل في منشور الجنة الذي يوقّع به لصاحبها ٢٥١
فصل في صفوف أهل الجنة ٢٥٢
فصل في صفة أول زمرة تدخل الجنة ٢٥٢
فصل في صفة الزمرة الثانية ٢٥٢
فصل في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى ٢٥٣
فصل في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم ٢٥٣
فصل في ذكر سن أهل الجنة ٢٥٣
فصل في طول قامات أهل الجنة وعرضهم ٢٥٤
فصل في حلاهم وألوانهم ٢٥٤
فصل في لسان أهل الجنة ٢٥٤
فصل في ريح أهل الجنة من مسيرة كم توجد ٢٥٤
فصل في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة ٢٥٥
فصل في عدد الجَنّات وأجناسها ٢٥٦
فصل في بناء الجنة ٢٥٨
فصل في أرضها وحصبائها وتربتها ٢٥٨
فصل في صفة غرفاتها ٢٥٨
فصل في خيام أهل الجنة ٢٥٨
فصل في أرائكها وسررها ٢٥٩
فصل في أشجارها وظلالها وثمارها ٢٥٩

فصل في سماع أهل الجنة ٢٦١
فصل في أنهار الجنة ٢٦٢
فصل في طعام أهل الجنة ٢٦٢
فصل في شرابهم ٢٦٣
فصل في مصرف طعامهم وشرابهم وهضْمه ٢٦٣
فصل في لباس أهل الجنة ٢٦٤
فصل في فرشهم وما يتبعها ٢٦٤
فصل في حُلِيّ أهل الجنة ٢٦٤
فصل في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهنّ ولذة وصالهنّ ومهورهنّ ٢٦٥
فصل في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا؟ ٢٧٢
فصل في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم ٢٧٣
فصل في كلام الربّ جلّ جلاله مع أهل الجنة ٢٧٧
فصل في يوم المزيد وما أعد اللَّه لهم فيه من الكرامة ٢٧٨
فصل في المطر الذي يصيبهم هناك ٢٧٨
فصل في سوق الجنة الذي ينصرفون إليه من ذلك المجلس ٢٧٩
فصل في حالهم عند رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم ٢٧٩
فصل في خلود أهل الجنة فيها ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة الموت والنوم عليهم ٢٨٠
فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار والردّ على من قال إن الذبح لملك الموت أو إن ذلك مجاز لا حقيقة ٢٨٠
فصل في أن الجنّة قيعان وأن غراسها الكلم الطيب والعمل الصالح ٢٨٢
فصل في إقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين ٢٨٣
فصل في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على خزفٍ فانٍ ٢٨٦
فصل في رغبة قائلها إلى من يقفُ عليها من أهل العلم والإيمان أن يتجرد للَّه ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فإن رأى حقًّا قَبِلَه وحمد اللَّه عليه وإن رأى باطلاً عَرّفَه به وأرشد إليه ٢٨٨

فصل في حال العدو الثاني ٢٨٩
فصل في حال العدو الثالث ٢٨٩
فصل في حال العدو الرابع ٢٩٠
فصل في توجّه أهل السُّنَّة إلى ربِّ العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين ٢٩٠